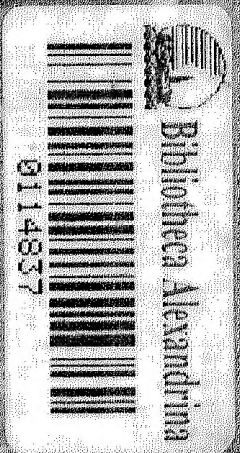


سيرة عمر بن عبد العزيز

الإمام
أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي



سيرة ومناقب

عبد العزيز

سيرة ومناقب

عبد العزيز

لإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي

تحقيق

طه عبد الرؤوف



اسكندرية ٥٤٥٩٧٢٣

الطبعة الأولى
1417 هـ - 1996 م
كافة حقوق الطبع محفوظة
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
11863 / 96
الترقيم الدولي I.S.B.N
977 - 5731 - 05 - 4

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر إتمامه

أخبرنا الشيخ الإمام ، العالم الأوحـد ، الحافظ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن الجوزى الواعظ ، قراءة عليه قال : الحمد لله الذى قدم من شاء بفضله ، وأخر من شاء بعدله . لا يعترض عليه ذو عقل بعقله ، ولا يسأله مخلوق عن علة فعله . أحـمده على حزن الأمر وسهله ^(١) ، وأصلى على رسوله محمد أشرف من وطئ الحصا بنعله ، وعلى أصحابه وآله وأهله ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فلما كنت قد أفردت لكل شخص من أعلام كل زمن وأخياره ، كتاباً للإعلام بأخباره ، ورأيت أخبار عمر بن عبد العزيز أحق بالذكر ، لأنها تنبه أولى الأمر (على أولى الأمر) ^(٢) ، وتعين الزاهد فى الدنيا على حمل أعباء الصبر . فلذلك آثرت جمع آثاره ، واخترت ضم أخباره . ولعلها تجمع لقارئها شمل دينه . ويقوى تكرارها على فكره أزر يقينه ^(٣) . فإن هذا الرجل قدوة لأرباب الولايات والولايات ، ولقد كان فى أرض الله من الآيات . والله الموفق لاجتلاب خصال الأبرار ، واجتناب خلال ^(٤) الأشرار . إنه سميع مجيب .

وقد قسمت هذا الكتاب أربعة وأربعين باباً وهذه ترجمتها:

الباب الأول : فى ذكر مولده .

الباب الثانى : فى ذكر نسبه

الباب الثالث : فى ذكر طلبه العلم وسؤاله العلماء واستشارته إياهم .

(١) حزن المكان نحسنو غلظ .

(٢) الجملة موجودة فى مختصر هذا الكتاب .

(٣) فى المختصر « تكرارها على سمع فكره »

(٤) فى المختصر : « فعال »

الباب الرابع	: فى ذكر طرفٍ مما روى من الحديث .
الباب الخامس	: فى ذكر غزارة علمه وفصاحته وثناء العلماء عليه
الباب السادس	: فى ذكر ما يروى من شهادة رسول الله ﷺ بأنه . أهل زمانه .
الباب السابع	: فى ذكر ولايته قبل الخلافة .
الباب الثامن	: فى ذكر إقدامه على قول الحق عند الخلفاء قبله .
الباب التاسع	: فى ذكر بشاراة الخضر له بأنه سيلي الخلافة .
الباب العاشر	: فى ذكر الهواتف بخلافته .
الباب الحادى عشر	: فيما يروى ^(١) أنه مذكور فى الكتب الأول ^(٢)
الباب الثانى عشر	: فى ذكر خلافته .
الباب الثالث عشر	: فى ذكر أنه من الخلفاء الراشدين المهديين .
الباب الرابع عشر	: فى ذكر أخلاقه وآدابه .
الباب الخامس عشر	: فى ذكر علو همته
الباب السادس عشر	: فى ذكر اعتقاده ومذهبه .
الباب السابع عشر	: فى ذكر سيرته وعدله فى رعيته .
الباب الثامن عشر	: فى ذكر ملاحظته لعماله ومكاتبته إياهم فى القيام
الباب التاسع عشر	: فى ذكر رده المظالم .
الباب العشرون	: فى ذكر نفور بنى مروان من عدله وجوابه لهم .
الباب الحادى والعشرون	: فى ذكر ما وعظ به .
الباب الثانى والعشرون	: فى ذكر لباسه وهيئته .

(١) فى المختصر « روى » . (٢) فى المختصر « الأول » .

الباب الثالث والعشرون	: فى ذكر زهده .
الباب الرابع والعشرون	: فى ذكر كرمه .
الباب الخامس والعشرون	: فى ذكر ورعه .
الباب السادس والعشرون	: فى ذكر تواضعه .
الباب السابع والعشرون	: فى ذكر حلمه وصفحه .
الباب الثامن والعشرون	: فى ذكر تعبده واجتهاده .
الباب التاسع والعشرون	: فى ذكر بكائه وحزنه .
الباب الثلاثون	: فى ذكر خوفه من الله تعالى .
الباب الحادى والثلاثون	: فى ذكر مناجاته ودعائه .
الباب الثانى والثلاثون	: فى ذكر خطبه ومواعظه .
الباب الثالث والثلاثون	: فى ذكر ما تمثل به من الشعر أو قاله .
الباب الرابع والثلاثون	: فى ذكر كلامه فى الفنون .
الباب الخامس والثلاثون	: فى ذكر ما رآه فى المنام .
الباب السادس والثلاثون	: فى ذكر من رآه فى المنام .
الباب السابع والثلاثون	: فى ذكر ما رآه فى المنام .
الباب الثامن والثلاثون	: فى ذكر عدد أولاده وأخباره .
الباب التاسع والثلاثون	: فى ذكر مرضه ووفاته .
الباب الأربعون	: فى ذكر تاريخ موته ، ومبلغ سنه ، وموضع دفنه .
الباب الحادى والأربعون	: فى ذكر ما روى أن السماء والأرض بكتا عليه .
الباب الثانى والأربعون	: فى ذكر تأيين الناس له بعد موته وحزنهم عليه .

الباب الثالث والأربعون : فى ذكر المنتخب من مدائحه ومراثيه بالشعر .

الباب الرابع والأربعون : فى ذكر تركته .

نفعنا الله بمحبته ، ووفقنا لمثل طاعته . إنه كريم مجيب

الباب الأول

فى ذكر مولده

حدثنا الحارث بن أبى أسامة ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : ولد عمر بن الخطاب العزير سنة ثلاث وستين . وهى السنة التى ماتت فيها ميمونة زوج النبى ﷺ .

الباب الثانى

فى ذكر نسبه

حدثنا الحارث بن أبى أسامة ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : قال ابن شوذب : لما أراد عبد العزيز بن مروان أن يتزوج أم عمر بن عبد العزيز ، قال لقيمه : اجمع لى أربع مائة دينار من طيب مالى فإنى أريد أن أتزوج إلى أهل بيت لهم صلاح ، فتزوج أم عمر بن عبد العزيز . قال ابن سعد ، وهو : عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس . أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب . ويكنى أبا حفص .

حدثنا عبد الله بن سعد الزهرى عن عمه يعقوب بن إبراهيم ، قال : أم عمر بن عبد العزيز أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

شبهه جده عمر لأمة :

قال : حدثنا عبد الله بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن جده أسلم ، قال : بينا أنا مع

عمر بن الخطاب ، وهو يعس بالمدينة ، إذ أعياه ، فأتكأ على جانب جدار فى جوف الليل ، فإذا امرأة تقول لابنتها : يا ابنتاه قومى إلى ذلك اللبن فامدقيه بالماء . فقالت لها : يا أمّته ،

أو علمت بما كان من عزيمة أمير المؤمنين اليوم ؟ فقالت : وما كان من عزمته يا بنية ؟ قالت : إنه أمر مناديه ^(١) فنادى أن لا يشاب اللبن بالماء . فقالت لها : يا ابنتاه قومى إلى اللبن فامدقيه بالماء ، فإنك بموضع لا يراك عمر ولا منادى عمر ^(٢) فقالت الصبية لأُمّها : يا أمّته ، والله ما كنت لأطيعه فى الملاء وأعصيه فى الخلا . وعمر يسمع كل ذلك . فقال : يا أسلم ^(٣) علم الباب واعرف الموضع . ثم مضى فى عسسه فلما أصبح قال : يا أسلم امض إلى ذلك الموضع فانظر من القائلة ، ومن المقول لها ، وهل لهم من بعل . فأتيت الموضع فنظرت ، فإذا الجارية أيم لا بعل لها ، وإذا تيك أمها ، وإذا ليس لها رجل . فأتيت عمر بن الخطاب فأخبرته . فدعا عمر ولده فجمعهم . فقال : هل فيكم من يحتاج إلى امرأة أزوجه ^(٤) ؟ ولو كان بأيكم حركة ^(٥) إلى النساء ما ^(٦) ما سبقه أحد منكم إلى هذه الجارية . فقال عبد الله : لى زوجة ، وقال عبد الرحمن لى زوجة . وقال عاصم يا أبتاه لا زوجة لى فزوجنى . فبعث إلى الجارية فزوجها من عاصم . فولدت لعاصم بنتاً ، وولدت البنت بنتاً ، وولدت الابنة عمر بن عبد العزيز رحمه الله . قلت : هكذا وقع فى رواية الآجرى ، فلا أدري ممن الغلط ، وإنما الصواب : فولدت لعاصم بنتاً ، وولدت البنت عمر ابن عبد العزيز ، كذلك نسبه العلماء كما ذكرنا عن محمد بن سعد وغيره .

البشائر بصلاح عمر وعدله :

حدثنا مبارك بن فضالة عن عبد الله بن عمر (أنه كان) كثيراً (ما) يقول : ليت شعرى من هذا الذى من ولد عمر فى وجهه علامة يملأ الأرض عدلاً .

وقد ذكره محمد بن سعد فى الطبقات عن نافع عن ابن عمر . وعن نافع عن عمر ابن الخطاب أنه كان يقول : ليت شعرى من ذو الشين من ولدى الذى يملأ عدلاً كما ملئت جوراً .

(١) فى المختصر « منادياً » . (٢) فى المختصر « ولا منادى عمر » ناقص من المختصر .

(٣) فى المختصر « يا أسلم » هنا وفى السطر التالى .

(٤) فى المختصر « أو زوجة » .

(٥) فى المختصر « كما » .

(٦) فى المختصر « كما » .

وذكر عن يزيد بن هارون أن دابة من دواب أبيه عبد العزيز ضربته فشجته، فجعل أبوه يمسح الدم ويقول : سعدت إن كنت أشج بني أمية (١).

قال : حدثنا أبو عوانة عن أبي يحيى إمام الموصل ، قال : أرسل إلى عبد العزيز بن مروان ، فقال : انظر هل ترى في ولدي خليفة ؟ قال نعم هذا لعمر . فلما استخلف بعث إليه ، فقال : أما تقول فينا مهدي ؟ فهل تراني ذلك المهدي ؟ قال : لا ، ولكنك رجل صالح . قال : فالحمد لله الذي جعلني رجلاً صالحاً .

قال : حدثنا سليمان بن أبي شيخ ، قال : دخل رجل على عمر بن عبد العزيز فأنشده :
إن أولى بالحق في كل حق ثم أولى بأن يكون حقيقاً
بالتقى والنهى وأخلاقه اللاتي تأبى بغيره أن تليقاً
من أبوه عبد العزيز بن مروان ومن كان جده الفاروقاً

الباب الثالث

في ذكر طلبه للعلم وسؤاله العلماء واستشارته إياهم

سماح عمر من عبيد الله :

قال ابن بكير . وحدثني يعقوب ، قال : سمعت أبي يقول : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول : لما رويت عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أكثر مما رويت عن جميع الناس .

(١) وروى ابن عبد ربه في العقد ، عن بشر بن عبد الله ، أن رجلاً من خراسان قدم على عمر بن عبد العزيز حين استخلف ، فقال : يا أمير المؤمنين ، رأيت في منامي يقول : « إن الأشج ، من بني أمية يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً » . فولى الوليد فسألت عنه ، فقيل ليس بأشج ، ثم ولى سليمان ، فسألت عنه فقيل ليس بأشج ، ووليت أنت فكنت الأشج . فقال عمر : تقرأ كتاب الله : قال : نعم ، قال : فبالذي أنعم الله عليك ، أحق ما أخبرتنى ؟ قال : نعم ، فأمره أن يقيم في دار الضيافة ، فمكث نحواً من شهرين ، ثم أرسل إليه عمر ، فقال : هل تدري لم احتبسناك ؟

قال : لا . قال : أرسلت إلى بلدك لنسأل عنك ، فإذا صدقتك وعدوك عليك سواء ، فانصرف راشداً .

قال ابن بكير ، وحدثني يعقوب عن حمزة بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال : كان عمر بن عبد العزيز يقول : لو كان عبيد الله حياً (١) ما صدرت إلا عن رأيه ، ولوددت أن لى بيوم واحد ، من عبيد الله كذا وكذا .

نشأة عمر بن عبد العزيز :

قال يعقوب بن سفيان ، وحدثنا سعيد بن عفير ، قال : حدثني يعقوب عن أبيه ، أن عبد العزيز بن مروان بعث ابنه عمر إلى المدينة يتأدب بها ، وكتب إلى صالح بن كيسان بتعاهده . وكان عمر يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله يسمع منه العلم . وكان صالح بن كيسان يلزمه الصلاة . فأبطأ يوماً عن الصلاة قال : ما حبسك ؟ قال : كانت مرحاتي تسكن شعري ، فقال : بلغ بك حبك تسكين شعرك أن تؤثره على الصلاة ؟ وكتب إلى عبد العزيز بذلك . فبعث إليه عبد العزيز رسولاً فلم يكلمه حتى حلق شعره .

قال : حدثنا أبو عكرمة عن العتبي عن أبيه ، قال : قال عمر بن عبد العزيز : كنت أصعب من الناس سراتهم . وأطلب من العلم شريفه . فلما وليت أمر الناس احتجت إلى أن أعلم سفاسف العلم ، فتعلموا من العلم جيده ورديه وسفسافه .

قال : حدثنا ابن أبي الزناد عن أبيه ، قال : ربما كنت أرى عمر بن عبد العزيز في إمارته يأتي (٢) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، فرمما حجبه ، وربما أذن له .

قال : حدثنا ضمام عن أبي فسل أن عمر بن عبد العزيز بكى وهو غلام صغير قد جمع القرآن ، فأرسلت إليه أمه فقالت : ما ييكيك ؟ قال : ذكرت الموت . قال : فبكت أمه من ذلك .

قال : حدثنا شعيب بن صفوان ، عن محمد بن مروان ، عن من سمع مزاحماً يقول : قال لى عمر بن عبد العزيز : لقد رأيتى وأنا بالمدينة غلام مع الغلمان . ثم تآقت نفسى إلى العلم ، إلى العربية فالشعر ، فأصبت منه حاجتى .

قال : حدثنا شعبة عن محمد بن عبد الرحمن قال : قال عمر بن عبد العزيز : ما بقى أعلم بحديث عائشة منها . يعنى عمرة . قال : وكان عمر يسألها .
(١) فى المختصر « لو كان جاء عبيد الله » .
(٢) فى المختصر « بأبى » .

نحول جسم عمر بعد الخلافة :

قال : حدثنا أبو المقدام هشام بن زياد قال : حدثنا محمد بن كعب القرظي قال : عهدت عمر بن عبد العزيز ، وهو أمير علينا بالمدينة للوليد بن عبد الملك ، وهو شاب غليظ ممتلئ الجسم ، فلما استخلف أتيته بخنصرة فدخلت عليه وقد قاسى ما قاسى . وإذا هو قد تغيرت حاله عما كان ، فجعلت أنظر إليه نظراً لا أكاد أصرف نظري عنه . فقال : إنك لتنظر إلى نظراً ما كنت تنظره إلى من قبل ، يا بن كعب ، قلت : تعجبني . قال وما أعجبك ؟ قلت لما حال من لونك ، ونفى من شعرك . ونحل من جسمك .

قال : فكيف لو رأيته ، يا بن كعب ، في قبري بعد ثلاثة . حين تقع حدقتي من وجنتي . ويسيل منخري ، وفمي صديداً ودوداً ، كنت لى أشد نكرة ؟

ثم قال : أعد على حديثاً حدثني عن ابن عباس ، قلت : نعم ، حدثنا ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : (إن لكل شيء شرفاً . وإن أشرف ^(٢) المجالس ما استقبل به القبلة ، وإنما تجالسون بالأمانة ، ولا تصلوا ^(٣) خلف النائم والمحدث ، واقتلوا الحية والعقرب وإن كنتم في صلاتكم ، ولا تستروا الجدر بالثياب ، ومن نظر في كتب أخيه بغير إذن فكأنما ينظر في النار ^(٤) . ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليثق الله ، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله عز وجل أوثق منه بما في يده .

طلبه النصح من العلماء :

قال : حدثنا الفضل بن ربيع قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة دعا سالم بن عبد الله ، ومحمد بن كعب القرظي ، ورجاء بن حيوة فقال : (إني قد ابتليت بهذا الأمر فأشيروا علي) .

(١) في المختصر « وما تعجبك » .

(٢) في المختصر « شرف المجالس » .

(٣) في المختصر « ولا تصلون » .

فقال له سالم : إن أردت النجاة من عذاب الله فصم عن الدنيا ، وليكن إفطارك منها الموت .

وقال له محمد بن كعب : إن أرت النجاة من عذاب الله ، فليكن كبير المسلمين عندك أباً ، وأوسطهم عندك أخاً ، وأصغرهم عندك ولداً . فوقر أباك ، وأكرم أخاك ، وتحن على ولدك .

وقال له رجاء بن حيوة : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله عز وجل ، فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك ، وأكره لهم ما تكره لنفسك ، ثم مت إذا شئت .

قال : حدثنا علي بن الحسن ، قال : أخبرني أبو ضمرة ، قال : حدثني صالح بن حسان ، قال : أرسل عمر بن عبد العزيز إلى محمد بن كعب القرظي قال : (صف لي العدل)

فقال : سألت عن أمر حسن . كن لصغير المسلمين أباً ، ولكبیرهم ابناً ، وللمثل منهم أخاً . وعاقب الناس بقدر ذنوبهم على قدر أجسامهم . ولا تضربن لغضبك سوطاً واحداً فتتعدى ، فتكون عند الله عز وجل من العادين .

قال : حدثنا عبد الرحمن بن صالح عن رجل من بني حنيفة قال : قال محمد بن كعب القرظي لعمر بن عبد العزيز :

لا تصحب من الأصحاب من خطرک عنده على قدر قضاء حاجته ، فإذا انقطعت حاجته انقطعت أسباب مودته . اصحب من الأصحاب : ذا العلى فى الخير ، والأناة فى الحق . يعينك على نفسك ، ويكفيك مؤنته .

قال ابن إسحاق : وحدثنا إسماعيل . عن جرير ، عن مغيرة قال : قال عمر : لو أدر كنى عبيد بن عبد الله بن عتبة إذ وقعت فيما وقعت فيه . لهان على ما أنا فيه .

* * *

الباب الرابع (١)

فى ذكر طرف مما أسند من الحديث عن رسول الله ﷺ

روايته عن أنس :

أسند عمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنه ، الحديث عن جماعة من الصحابة ، وعن جماعة من كبار التابعين ، إلا أنه كان مشغولاً عن الرواية . فلذلك قل حديثه . ونحن « نذكر طائفة » من حديثه يستدل بها على من سمع منه وروى عنه .

فمن جملة ما أسند عنه من الصحابة أنس بن مالك . رآه عمر وروى عنه . وصلى أنس بن مالك خلقه . ومما أسند عن أنس ما أخبرنا به أبو الحسن قال : حدثنا أو قال : حدثني - الحارث بن محمد العنزي عن إسماعيل بن أبي حكيم . عن عمر بن عبد العزيز ، عن أنس بن مالك .

قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن عليكم عدواً من غيركم ثم تدعونه فلا يستجيب لكم » .

قال الدارقطني ، وحدثني الحارث ، عن إسماعيل بن حكيم ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن أنس بن مالك ، قال : كان رسول الله ﷺ من أوجز (٢) الناس صلاة فى تمام

روايته عن ابن عمر :

ومما أسند عن ابن عمر رضى الله عنهما . قال : أخبرني سعيد بن يعيىش عن جده قال له عمرو بن سالم ، عن أبيه ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الله تبارك وتعالى يحب الشاب الذى يفنى شبابه فى عبادة الله ، ويحب

(١) هذا الباب ناقص من نسخة المختصر .

(٢) سقطت من الأصل لفظة « أوجز » . وقد ورد من هذا المعنى حديث معمر ، عن حميد ، - عن أنس قال قال رسول الله ﷺ من أتم الناس صلاة وأوجزه . رواه أحمد فى مسنده ٣ ص ١٠٠ .

الإمام المقسط ، وأجره أجر من يقوم ستين عاماً يصوم نهاره ويقوم ليله .

الدارقطني : قال عبد الله بن عمر ، وخالفه غيره . فقال ابن عمر وهو الصواب .

قال : حدثنا محمد بن الفضل بن عطية ، عن سالم الأفطس ، عن عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر ، عن النبي ﷺ ، قال : (إن الله يحب الشاب الذي يفنى شبابه في طاعة الله) .

روايته عن ابن جعفر :

ومما أسند عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، رضى الله عنه قال : حدثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن عبد العزيز^(١) ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر ، عن أسماء بنت عميس قالت : علمني رسول الله ﷺ دعوة الكرب ، قال : (إذا نزل بك كرب فقل : اللهم الله ربى لا أشرك به شيئاً)

وقد رواه الفضل بن دكين فأدخل بين عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، عن هلال ، مولى عمر ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، قال : علمتني أمي أسماء بنت عميس . شيئاً أمرها به رسول الله ﷺ أن تقول عند الكرب : (اللهم الله ربى لا أشرك به شيئاً) قال القرشي : لا شريك له .

روايته عن ابن أبي سلمة :

ومما أسند عن عمرو بن أبي سلمة المخزومي . قال : حدثنا إبراهيم بن أبي يحيى . عن إسماعيل بن أبي حكيم ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن عمر بن أبي سلمة أنه رأى النبي ﷺ يصلي في ثوب واحد متشحاً به وقد خالف بين طرفيه .

هذا غريب من حديث عمر بن عبد العزيز ، تفرد به الحسن ، عن عبد الكريم .

روايته عن السائب :

ومما روى عن السائب . والسائب هو ابن أخت نمر ، مسح رسول الله ﷺ رأسه ، ودعا له ، وحج حجة الوداع معه . قال : حدثنا عبد الرحمن بن عوف . قال : سمعت

(١) أى عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز .

عمر بن عبد العزيز يسأل السائب ابن أخت النمر : ما سمعت فى سكنى مكة ؟ (للمهاجر ثلاثة أيام بعد الصدر) .

حدثنا القاسم بن مالك المزنى عن الجعيد ، قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول للسائب بن يزيد : هل رأيت أحدا من أصحاب رسول الله يأتزر الرداء ويرتدى الرداء ثم يخرج ؟ قال : نعم . قال : لو صنع ذلك أحد اليوم لقليل : مجنون

روايته عن ابن سلام :

ومما روى عن يوسف بن عبد الله بن سلام . قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن يعقوب بن (١) عن عمر بن عبد العزيز . عن يوسف بن عبد الله بن سلام ، عن أبيه قال : كان النبي ﷺ قلّ ما يحدث ، إلاّ يلمع ببصره إلى السماء .

إرساله الحديث :

وقد أرسل الحديث عن جماعة من القدماء . منهم : عبادة بن الصامت . قال : حدثنا إبراهيم بن يحيى عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ . كان إذا دخل رمضان قال : « اللهم سلمنى لرمضان ، وسلم لى رمضان ، وتسلمه منى مقبلاً » .

ومنهم : تميم الدارى . قال : أخبرنى سعيد بن يعيىش ، عن جده عن عمر بن سالم الأبطس ، عن أبيه . عن عمر بن عبد العزيز ، عن تميم الدارى . قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من لقي الله عز وجل بخمس لم يحجب عن الجنة : النصح لله عز وجل ، والنصح لكتاب الله ، والنصح لرسول الله ﷺ ، والنصح لأئمة المسلمين . والنصح لعامة المسلمين » .

ومنهم المغيرة بن شعبة . قال : حدثنا أبو مصعب أحمد بن أبى بكر . قال : حدثنا عمر بن عبد العزيز ، عن المغيرة بن شعبة ، أن النبى ﷺ - ورواه عبد الرحمن بن عوف - قال : « إنه لم يمت نبى حتى يصلى وراء رجل صالح من أمته » .

(١) بياض فى الأصل .

وأرسل الحديث عن عائشة ، رضى الله عنها ، قال : حدثنا أسامة بن زيد ، عن زياد
ابن عبد العزيز ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول
الله ﷺ يصلى فى الحجرة ، يفرق بين الشفع والوتر ، أسمع تسليمه وأنا فى البيت .
وعن أم هانئ . قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن محمد بن قيس ، عن عمر بن عبد
العزيز ، عن أم هانئ ، قالت : صلى رسول الله ﷺ فى بيتى يوم الفتح ثمانى ركعات .
وعن خولة بنت الحكم . حدثنا سفيان بن عيينة ، عن إبراهيم بن ميسرة ، عن ابن أبي
سويد ، عن عمر بن عبد العزيز قال : سمعت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم أن رسول
الله ﷺ خرج ، وهو محتضن أحد ابني ابنته حسناً أو حسيناً عليهما السلام ، وهو يقول :
« إنكم لتبخلون وتجهلون وإنكم لمن ريحان الله عز وجل » .

فصل

قصته مع مولى على

وقد ذكر عمر بن عبد العزيز أنه سمع عدة من أصحاب رسول الله ﷺ . قال حدثنا
عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبي طالب قال : حدثنى عمر بن مورك
قال : كنت بالشام وعمر بن العزيز يعطى الناس ، قال : فتقدمت إليه ، فقال لى : ممن
أنت ؟ قلت من قريش . قال : من أى قريش ؟ قلت من بنى هاشم . قال : من أى بنى هاشم
فسكت ، فقال : من أى بنى هاشم ؟ فقلت : مولى على بن أبي طالب ، قال : فوضع يده
على صدره وقال لى : أيا مولى على بن أبي طالب ، حدثنى عدة أنهم سمعوا النبى ﷺ
يقول (من كنت مولاه فعلى مولاه) ثم قال : يا مزحم ، كم تعطى أمثاله ؟ قال : مائة
درهم أو مائتى درهم . فقال : أعطه خمسين ديناراً لولايته لعلى بن أبي طالب عليه السلام
وقد روى هذه القصة أبو النعيم فقال عن زيد بن عمر بن مورك . قال : حدثنا عمر بن
شعبة قال : حدثنى عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبي طالب قال :
حدثنى يزيد بن عمر بن مورك بهذا الحديث . إلا أنه قال : مر على وزاد فى هذا عشرة

دنانير . فقال : يعطى ستين ديناراً . ثم قال : الحق ببلدك فسيأتيك مثل ما يأتى نظراءك . وقد رواه الدارقطني فقال فيه : زريق مولى على عليه السلام .

قال : حدثنا مخلص بن أيوب النصبي . قال : حدثنا مخلص بن الحسن عن هشام قال : وفد زريق مولى على بن أبي طالب ، عليه السلام ، على عمر بن عبد العزيز ، وكان حفظ القرآن والفرائض . فقال : يا أمير المؤمنين إني رجل من أهل المدينة ، وقد حفظت القرآن والفرائض وليس لى ديوان . قال عمر : ولم يرحمك الله من أى الناس أنت ؟ قال : رجل من موالى بنى هاشم . فقال : مولى من ؟ فقال له : رجل من المسلمين . فقال له عمر : إليك أسألك - وصاح به - أتكتمنى من أنت ؟ فقال سرّاً أنا مولى على بن أبي طالب عليه السلام - وكانت بنو أمية لا يذكر على بين أيديهم - فبكى عمر حتى جرت دموعه إلى الأرض ، ثم قال : وأنا مولى على ، أتكتمنى ولاء على ؟ حدثني سعيد بن المسيب ، عن سعد بن أبي وقاص ، أن النبي ﷺ قال : « من كنت مولاه فعلى مولاه » .

فصل

روايته عن جماعة من كبار التابعين

وقد روى عمر بن عبد العزيز عن جماعة من كبار التابعين .

منهم : سعيد بن المسيب ، وعبد الله بن إبراهيم بن قارظ ، فمن حديثه عنهما ما أخبرناه على بن عمر قال : حدثني الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب قال : أخبرني عمر بن عبد العزيز ، عن عبد الله بن إبراهيم بن قارظ ، وعن سعيد بن المسيب أنهما حدثاه أن أبا هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : « إذا قلت لصاحبك أنصت ، والإمام يخطب يوم الجمعة ، فقد لغيت » . (١)

قال حدثنا معمر ، عن الزهري عن عمر بن عبد العزيز ، عن عبد الله بن إبراهيم بن قارظ ، عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « توضئوا مما مست النار » .

(١) لفظه : من اللغو . السقط في الكلام وما ليس فيه فائدة .

الأعيان الباقية عند المفلس :

وروى عن أبي بكر بن عبد الرحمن . قال : حدثنا يحيى بن سعيد الأنصارى أن أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أخبره أنه : سمع عمر بن عبد العزيز أبا بكر بن عبد الرحمن يحدث أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « من أفلس بمال قوم ، فوجد رجل متاعه بعينه فهو أحق به » . هذا حديث صحيح متفق عليه .

أخبرنا ابن أبي عمر ، قال : حدثنا ابن أيوب قال : حدثنا عبد الله بن أحمد قال : حدثنا الدارقطني عن أبي بكر بن محمد . عن عمر بن عبد العزيز ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من وجد ماله بعينه عند رجل قد أفلس فهو أحق به » .

قال : حدثنا أحمد بن علي بن ثابت ، قال : سمعت محمد بن حزم يقول : سمعت أبا بكر بن الحارث يقول : - وهو ابن عبد الرحمن بن الحارث - قال سمعت النبي ﷺ يقول : « من أدرك ماله بعينه عند رجل أو إنسان قد أفلس فهو أحق به من غيره » .

قال حدثنا سفيان عن يحيى بن سعيد ، عن أبي بكر الأنصارى ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « من وجد ماله عند رجل مفلس فهو أحق به » .

وعن النبي ﷺ أنه سجد في : ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ ^(١) و : ﴿ اقرأ ﴾ ^(٢) .

حديث خديجة بشأن جبريل :

قال : حدثنا إسماعيل بن حكيم ، قال : حدثني عمر بن عبد العزيز ، قال : حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ، قال : حدثني أم سلمة ، قالت : سمعت خديجة رضى الله عنها ، تقول لرسول الله ﷺ : يا رسول الله أتستطيع إذا جاءك هذا الذى يأتيك أن تخبرني به ؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم . قالت خديجة ، فجاءه جبريل عليه السلام يوماً وأنا عنده فقال رسول الله ﷺ : يا خديجة هذا أخى الذى يأتينى قد جاء ، فقلت له : قم فاجلس على فخدى هذا . فقام فجلس على فخدى الأيمن ، فقلت له : هل تراه ؟ قال :

(٢) سورة العلق آية : ١ .

(١) سورة الانشقاق آية : ١ .

نعم فقلت له : قم ، فتحرك فاجلس على فخذي الأيسر . فقلت : له هل تراه ؟ قال نعم .
قالت خديجة : فتحسرت فطرححت عني خماري . ثم قلت : هل تراه قال : لا ، فقلت
والله هذا ملك كريم ، لا والله ما هذا شيطان ، قالت خديجة : فقلت لورقة بن نوفل .
ذلك بما أخبرني به محمد ﷺ . فقال ورقة : أحق يا خديجة حديثك هذا : قلت : نعم .
قال : فإنه نبي حقاً .

روايته عن سالم بن عبد الله بن عمر :

قال : حدثنا مبشر بن إسماعيل ، عن نوفل بن أبي الفرات الحلبي . عن عمر ، عن
سالم ، عن أبيه ، قال : قال النبي ﷺ : « اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك عمر أو
أبي جهل » .

قال : حدثنا مبشر بن إسماعيل الحلبي ، عن نوفل بن أبي الفرات . قال : ذكر عن
عمر بن عبد العزيز رفع اليدين في الصلاة ، فقال : أترون سالماً لم يحفظ عن أبيه ؟ أترون
أن أبيه لم يحفظ عن النبي ﷺ ؟

روايته عن ابن عبد الرحمن :

وروى عن ابن سلمة بن عبد الرحمن . قال : حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن قيس .
قال : حدثنا عمر بن عبد العزيز : أنسجد في : ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ (١) فقلت لا .
فقال عمر بن عبد العزيز : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة : أن رسول
الله ﷺ كان يسجد في : ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ .

قال : حدثنا إبراهيم بن عمرو بن بكر السكاسكي ، قال : حدثنا أبي ، عن أبي سنان
الشيباني : عن عمر بن عبد العزيز ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، عن ربيعة
ابن كعب . أن النبي ﷺ قال : « أفضل طعام الدنيا والآخرة اللحم » تفرد به محمد بن
داود الرملي .

قال : حدثني أبو علقمة السعدي ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن أبي سلمة بن

(١) سورة الانشقاق آية : ١ .

عبد الرحمن . عن أبي هريرة وابن عباس ، عن رسول الله ﷺ قال : « من قرأ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ (١) إحدى عشرة مرة ابتغاء وجه الله نزع الفقر من بين يديه وجعل غناه في قلبه ، وحشى قلبه الحكمة » .

روايته عن عروة :

وروى عن ابن الزبير . قال : حدثنا مروان بن سالم الجري ، عن عبد العزيز مولى عمر بن عبد العزيز ، عن هلال مولى لهم ، عن عمر بن عبد العزيز ، قال : حدثني عروة بن الزبير ، عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينام وهو جنب توضأ وضوءه للصلاة .

قال : حدثنا ابن علاثة قال : حدثنا إبراهيم ابن أبي عبلة قال : سمعت عمر بن عبد العزيز قال : حدثني عروة بن الزبير ، عن عائشة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من ساعة تمر بآدم لم يكن ذا كراً الله فيها بخيراً إلا حسر عليها يوم القيامة » تفرد به ابن علاثة .

قال : حدثني شيبه الخضرى قال : كنا عند عمر بن عبد العزيز ، فحدثنا عن عروة بن الزبير . عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاث أحلف عليهن : لا يجعل الله عز وجل من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له . وأسهم الإسلام ثلاثة : الصلاة والصوم والزكاة ولا يتولى الله عبداً في الدنيا فيوليه يوم القيامة . ولا يحب رجل قوماً إلا جعله الله معهم . والرابعة لو حلفت عليها لرجوت أن لا آثم لا يشتر الله على عبد في الدنيا إلا ستره يوم القيامة » .

روايته عن عبيد الله بن عتبة ، وخارجة بن زيد بن ثابت :

وروى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة . قال : حدثنا مبشر بن إسماعيل ، عن نوفل ابن أبي لفرات . عن عمر بن عبد العزيز ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان أجود من الريح المرسلة إذا نزل عليه جبريل عليه السلام يدارسه القرآن .

وروى عن خارجة بن زيد بن ثابت ، قال : حدثني ابن عبد الخالق ، مولى حازم ، عن

(١) سورة الإخلاص آية : ١ .

عبد الوهاب بن بحت قال : حضرت عمر بن عبد العزيز وأتى موالٍ لسليمان في جراح كانت بينهم ، وعنده سليمان بن حبيب المحابي فقال عمر : قم فاقض بينهم ، واعلم أن رسول الله ﷺ لم يقض في شجة دون الموضحة ، كما حدثني خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبيه ، عن رسول الله ﷺ قال : حدثنا مبشر بن إسماعيل ، عن نوفل بن أبي الفرات ، عن عمر ، عن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبيه أن النبي ﷺ قرأ : ﴿ فيومئذ لا يُعذب عذابه أحد * ولا يُوثق وثاقه أحد ﴾ . (١)

روايته عن عامر بن سعد بن أبي وقاص :

وروى عن عامر بن سعد بن أبي وقاص . قال : حدثنا محمد بن المنذرى ، عن عامر ابن سعد بن أبي وقاص ، عن أسامة بن زيد ، عن رسول الله ﷺ قال : ذكر الطاعون عنده فقال : « إنه رجس ، أو رجز ، عذبت به أمة من الأمم ، وقد بقيت منه بقايا ، فإذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع وأنتم بأرض فلا تهربوا منها » قال محمد بن المنذر فحدث بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز فقال : هكذا حدثني عامر بن سعد بن أبي وقاص .

قال : حدثني محمد بن أبي يحيى ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر ، وهو أبو طوالة ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه أن النبي ﷺ قال : « من أكل سبع تمرات عجوة فيما بين لابتى المدينة حين يصبح لم يضره شيء حتى يمسي » .

روايته عن أبي بردة :

وقد روى عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري . قال : حدثنا أبو الدهماء ، عن ثابت البناني ، عن عمر ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم القيام ، جمع الله الخلائق في صعيد واحد ، ثم ترفع لكل قوم آلهتهم التي كانوا يعبدون ، فيوردونهم النار ، ويبقى الموحدون ، فيقال لهم : ما تنتظرون ؟

فيقولون : نتظر رباً كنا نعبد بالغيب . فيقال لهم : أوتعرفونه ؟

فيقولون : إن شاء عرفنا نفسه فيتجلى لهم فيخرون سُجداً .

فيقال لهم : يا أهل التوحيد . ارفعوا رؤوسكم ، فقد أوجب الله لكم الجنة . وجعل

(١) سورة الفجر الايتان : ٢٥ - ٢٦ .

مكان كل رجل منكم يهودياً أو نصرانياً في النار» .

قال : حدثنا علي بن زيد ، عن عمارة القرشي ، عن أبي بردة قال : رُفدنا إلى الوليد ابن عبد الملك ، وكان الذي يقبل في حوائجي عمر بن عبد العزيز ، قال : فلما قضيت حوائجي أتيت فودعته ، وسلمت عليه ، ثم نهضت فذكرت حديثاً حدثني به أبي ، سمعه من رسول الله ﷺ ، فأحببت أن أحدثه . فرجعت إليه ، فلما رأيته قال : لقد رد الشيخ حاجة فلما قربت منه قال : أليس قد قضيت حاجتك ؟ قال : قلت : بلى ولكن حديث سمعته من أبي ، سمعه من رسول الله ﷺ ، فأحببت أن أحدثك به لما أوليتني ، قال : فقال : وما هو ؟ قال : حدثني أبي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا كان يوم القيامة ، مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون في الدنيا ، ويبقى أهل التوحيد . فيقال لهم : ما تنتظرون و؟ ذهب الناس ؟ فيقولون : إن لنا رباً كنا نعبد في الدنيا لم نره ، قال : وتعرفونه إذا رأيتموه ؟ فيقولون : نعم . فيقال لهم : وكيف تعرفونه ولم تروه ؟ قالوا : إنه لا شبه له . فيكشف لهم الحجاب ، فينظرون إلى الله تبارك وتعالى ، فيخرون له سجداً . وبقي أقوام في ظهورهم مثل صياصي البقر ، فيريدون السجود فلا يستطيعون ، فذلك قول الله علا وجل : ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ﴾ ^(١) فيقول الله عز وجل : عبادي ، ارفعوا رؤوسكم ، فقد جعلت بدل كل رجل منكم رجلاً من اليهود والنصارى ، في النار » .

فقال عمر بن عبد العزيز : الله الذي لا إله إلا هو ، يحدثك أبوك هذا الحديث سمعه من رسول الله ﷺ ؟ فحلفت له ثلاثة أيمان على ذلك فقال عمر : ما سمعت في أهل التوحيد حديثاً هو أحب إلي من هذا الحديث

روايته عن الربيع بن سبرة:

وروى عن الربيع بن سبرة الجهني . قال : حدثنا عبد الرحمن بن معزا ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عمر ، عن الربيع بن سبرة الجهني ، عن أبيه قال : نهى النبي ﷺ عن متعة النساء يوم الفتح .

(١) سورة القلم الآية : ٤٢ .

روايته عن عراك بن مالك :

وروى عن عراك بن مالك . قال . قال : حدثنا حماد بن سلمة . عن خالد الحذاء عن خالد بن أبي الصلت قال : كنا عند عمر بن عبد العزيز ، فذكروا الرجل يجلس على الخلاء فيستقبل القبلة ، وكرهوا ذلك ، فحدث عن عراك بن مالك ، عن عائشة أن ذلك ذكر عند النبي ﷺ فقال : « أوقد فعلوها حولوا مقعدى إلى القبلة » .

قال : حدثني زياد بن أبي زياد مولى عياش ، عن عراك بن مالك قال : سمعته يحدث عمر بن عبد العزيز ، عن عائشة بنت أبي بكر قالت : جاءتنى مسكينة تحمل ابنتين لها ، فأطعمتها ثلاث تمرات ، فأعطت بنتيها كل واحدة ثمرة ، ورفعت ثمرة إلى فيها لتأكلها ، فاستطعمتها ابنتها ، فشقت التمرة التي أرادت أن تأكلها بينهما . فأعجبني شأنها ، فذكرتها والذي صنعت لرسول الله ﷺ ، فقال : « إن الله ، عز وجل ، قد أوجب لها بهما الجنة ، وأعتقها من النار بهما » .

روايته عن أبيه :

وقد روى عن أبيه . قال : حدثنا المغيرة بن أبي السعدى قال . حدثنا الحسن بن أبي الحسن ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن أبيه عن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا خشى أحدكم نسيان القرآن فليقل : اللهم ارحمنى بترك المعاصي أبداً ما أبقيتنى وارحمنى بترك ما لا يعينى ، وارزقنى حسن النظر فيما يرضيك عنى ، وألزم قلبى حفظ كتابك كما علمتنى ، ونور به بصرى ، واشرح به صدرى . واجعلنى أتلوه كما يرضيك عنى ، وافتح به قلبى ، وأطلق به لسانى » .

روايته عن الزهرى :

وروى عن الزهرى . قال : حدثنا على بن عياش ، عن أبي مطيع الاطرابلسى . عن عباد بن كثير . عن عمر ، عن الزهرى ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : إن لكل دين خلقاً ، وإن خلق الإسلام الحياء .

روايته عن محمد بن كعب :

وروى عن محمد بن كعب . قال : حدثنا جعفر بن سليمان قال : حدثنا هشام بن أبي هشام ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز بعث إلى وأنا في المدينة ، فقدمت عليه ، فلما دخلت ، جعلت أنظر إليه نظراً لا أصرف بصرى عنه تعجباً ، فقال : يا كعب ، إنك لتنظر إلى نظراً ما كنت تنظره ؟ قال : قلت : تعجباً ! قال ما أعجبك ؟ قلت : يا أمير المؤمنين . أعجبنى ما حال من لونك ، ونحل من جسمك . ونفى من شعرك . قال : فكيف لو رأيته بعد ثلاث وقد دليت في حفرتي ، وسالت حدقتي على وجنتي . وسال منخري صديداً ودوداً . كنت لى أشد نكرة ؟

حدثنا حديثاً نحفظه عن ابن عباس قال : قلت : أخبرنا ابن عباس ، عن رسول الله ﷺ ، أن من أشرف المجالس ما استقبل القبلة ، ولا تصلوا خلف النائم والمحدث ، ولا تستروا الجدر بالثياب ، واقتلوا الحية والعقرب وإن كنتم في صلاتكم ، ومن نظر في كتب أخيه بغير إذن فكأنما ينظر في النار .

وقال من سره أن يكون أقوى الناس ، فليتوكل على الله ، عز وجل ، ومن سره أن يكون أكرم الناس ، فليثق الله ، ومن سره أن يكون أغنى الناس ، فليكتف برزق الله . (١)

صفات شرار الناس :

ثم قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أنبئكم بشراركم » ؟ قلنا : بلى يا رسول الله . قال : « الذي يأكل وحده ، ويمنع رفده ، ويجلد عبده » .

ثم قال : ألا أنبئكم بشر من هذا ؟ قلنا : بلى يا رسول الله . قال : « الذي يبغض الناس ويبغضونه » .

ثم قال : ألا أنبئكم بشر من هذا ؟ أو قال : من ذلك ؟ قلنا : بلى يا رسول الله . قال : « الذين لا يقبلون عثرة . ولا يغفرون ذنباً . ولا يقبلون معذرة » .

ثم قال : « ألا أنبئكم بشر من هذا » ؟ قلنا : بلى يا رسول الله . قال : « من خيف

(١) سبق إيراد هذا مع تغيير في اللفظ .

شره ولم يُرج خيره . إن عيسى ابن مريم قام فى بنى إسرائيل فقال : يا بنى إسرائيل . لا تكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها . ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ، ولا تظالموا بينكم . ولا تعاقبوا ظالماً بظلمه فيبطل فضلكم . إنما الأمور ثلاثة : أمر تبين لك رشده فاتبعه وأمر تبين لك غيه فاجتنبه ، وأمر اختلف فيه فردّه إلى الله تعالى عز وجل .» (١)

سماعه من أبى سلام :

وقد سَمِع من أبى سلام - واسمه مطور الحبشى - وهو يروى عن ثوبان وأبى أمامة . قال : حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن العباس بن سالم اللخمي قال : بعث عمر بن عبد العزيز إلى أبى سلام الحبشى يحمل على البريد .

فلما قدم عليه قال : لقد شق علىّ . قال عمر : ما أردنا ذلك . ولكنه بلغنى عنك حديث ثوبان فى الحوض ، فأحببت أن أشفهك به . فقال : سمعت ثوبان يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن حوضى من عدن إلى عمان البلقاء . ماءه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل . وأكوابه عدد نجوم السماء . من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً أول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين » .

قال عمر بن الخطاب هم الشعث رؤوساً . الدنس ثياباً . الذين لا ينكحون الممتعات ولا تفتح لهم أبواب السدد .

فقال عمر بن عبد العزيز : لقد فتحت لى السدد . ونكحت الممتعات . لا جرم ، لا أدهن رأسى حتى يشعث . ولا أغسل ثوبى الذى على بدننى حتى يتسخ .

روايته عن أبى حازم وغيره :

وقد روى عن أبى حازم ، وخلق يطول ذكرهم ، اقتصرنا على من ذكرنا لأنهم المقدمون من الكل . والله الموفق بفضله .

(١) أورد هذا ابن عبد ربه فى العقد الفريد « ج ٢ ص ٢٦٢ بعد خبر رد عمر بن عبد العزيز « فذك » إلى ما كانت عليه على عهده » .

الباب الخامس

فى ذكر غزارة علمه وفصاحته وثناء الناس عليه

صلاته أشبه بصلاة رسول الله ﷺ:

قال : حدثنا فليح ، عن محمد بن مساحق ، عن عامر بن عبد الله - يعنى ابن الزبير - عن أنس ، قال : ما رأيت إماماً أشبه بصلاة رسول الله ﷺ من إمامكم هذا - لعمر بن عبد العزيز وهو بالمدينة يومئذ وكان عمر لا يطيل القراءة .

قال : حدثنا العطاء بن خالد المخزومي ، قال : حدثنا زيد بن أسلم قال : صلينا مع عمر بن عبد العزيز الظهر ، ثم انصرفنا إلى أنس بن مالك وكان شاكياً . فلما جلسنا قال : أصليتم ؟ قلنا : نعم . قال : يا جارية هلمى وضوءاً ، ما صليت خلف إمام بعد رسول الله ﷺ ، أشبه بصلاة رسول الله من إمامكم - يعنى عمر بن عبد العزيز - قال زيد : وكان عمر يتم الركوع والسجود ، ويخفف القيام والقعود .

قال الدارقطني : وحدثنا محمد بن القاسم بن زكريا قال : حدثنا أبو كريب قال : حدثنا رشدين بن سعد ، عن عبد الرحمن بن عمر ، مولى عفرة ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن أنس بن مالك قال : ما رأيت أحد أشبه بصلاة النبي ﷺ من هذا الغلام - يعنى عمر بن عبد العزيز - قال : حدثنا عبد الله بن عمر بن كيسان ، عن أبيه ، قال : سمعت وهب بن قابوس ، عن سعيد بن جبير ، قال : سمعت أنساً يقول : ما رأيت أحداً أشبه بصلاة رسول الله ﷺ ، من هذا الغلام - يعنى عمر بن عبد العزيز - فحررنا عشر تسبيحات فى ركوعه وعشرأ فى سجوده .

علمه وفصاحته :

قال : حدثنا أبو بكر بن أبي الأسود قال : حدثنا جعفر بن سليمان ، عن هشام قال : لما جاء نعى عمر بن عبد العزيز ، قال الحسن : مات خير الناس .

قال : حدثنا ميسر بن عبد اسماعيل ، عن جعفر بن برقان ، عن ميمون بن مهران قال أتينا عمر بن عبد العزيز فظننا أن يحتاج إلينا ، فإذا نحن عنده تلاميذه - أو قال تلامذة .

قال : حدثنا جعفر بن برقان ، قال : حدثني ميمون بن مهران ، قال : حدثنا عمر بن عبد العزيز معلم العلماء .

قال حدثنا سفيان ، عن عمر بن عبد العزيز : كانت العلماء مع يعنى عمر بن عبد العزيز تلامذة .

قال : حدثنا سفيان ، عن جعفر - أو قال حدثنا عن جعفر بن برقان - عن ميمون بن مهران قال : ما كان العلماء عند عمر بن عبد العزيز إلا تلامذة .

قال : حدثنا عبد الرحمن قال : ما رأيت رجلاً خيراً من يعنى عمر بن عبد العزيز .

قال : حدثنا أبو هاشم القرشي قال : قال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز : قد زوجك أمير المؤمنين فاطمة بنت عبد الملك ، فقال : وصلك الله يا أمير المؤمنين ، فقد أجزلت العطية ، وكفيت المسألة ، فأعجب عبد الملك ، فقال بعض أولاد عبد الملك : هذا كلام تعلمه فأداه^(١) فدخل على عبد الملك يوماً فقال : يا عمر كيف نفقتك ؟ فقال : الحسنة بين السيتين^(٢) يا أمير المؤمنين ، قال : فما هما ؟

قال : ﴿ والدين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴾ . فقال عبد الملك : من علمه هذا .

كلامه لما خطبت إليه أخته :

قال : حدثني محمد بن عبيد الله القرشي ، عن أبي المقدم قال : كانت قریش تستحسن من الخاطب الإطالة ، ومن المخطوب إليه التقصير ، فشهدت محمد بن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان خطب إلى عمر بن عبد العزيز أخته ، أم عمر بن عبد العزيز ، فتكلم محمد بن الوليد بكلام جاز الحفظ فقال عمر : الحمد لله ذى الكبرياء . وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء . أما بعد . فإن الرغبة « منك دعيت إلينا . والرغبة »^(٣) فيك

(١) في المختصر « فأداه » . (٢) في المختصر « السيتين » .

(٣) مثبتة في المختصر المطبوع .

أجبت (منا) ^(١) وقد أحسن بك ظناً ^(٢) من أودعك كريمته واختارك ولم يختار عليك .

قال : حدثني محمد بن كعب القرظي قال : اجتمع نفر من علماء أهل الشام وعلماء أهل الحجاز ، فكلّمنا عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز فقلنا : نحب أن تسأل ^(٣) عمر ونحن نسمع عن قول الله تعالى : ﴿ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَافُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ ^(٤) قال فسأله ونحن نسمع ، فقال عمر : سألت عن التناوش وهي التوبة طلبوها حين لم يقدرُوا عليها .

قال : حدثنا ابن وهب قال : حدثني الليث أن إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز حدثه أنه سمع أباه يقول لابن شهاب : ما أعلمك تعرض عليّ شيئاً إلا شيئاً قد مر ^(٥) عليّ مسامعي إلا أنك أوعى له مني .

قال : حدثنا حماد بن زيد ، عن معمر ، عن الزهري قال : سمعت ^(٦) مع عمر بن عبد العزيز ليلة ، فحدثته فقال : كل ما حدثت به فقد سمعته ، ولكنك حفظت ونسيت . ^(٧)

زيارة مكحول لقبر عمر :

قال هشام بن الغاز : نزلنا منزلاً مرجعنا ^(٨) من دابق ، فلما ارتحلنا مضى مكحول ولم يعلمنا أين ذهب ، فسرنا كثيراً حتى رأيناه ، فقلنا : أين ذهبت ؟ قال : أتيت قبر عمر بن عبد العزيز ، وهو على خمسة أميال من المنزل ، فدعوت له ثم قال : لو حلفت ما استثنيت ما كان في زمانه أخوف لله ، عز وجل ، من عمر ، ولو حلفت ما استثنيت ، ما كان في زمانه أزهد في الدنيا من عمر .

قال : حدثنا سفيان قال : مات عمر بن عبد العزيز ، حين مات وما يزداد عما بعد عام إلا فضلاً .

(١) مثبتة في المختصر المطبوع . (٢) في المختصر « الظن » . (٣) في المختصر « نسال » .

(٤) سورة سبأ آية ٥٢ . (٥) في المختصر قدم . (٦) في المختصر « شهدت » . (٧) في المختصر « ونسبت » .

(٨) محذوفة في المختصر .

قال : حدثنا سعيد بن عامر ، عن أحمد بن الأشعث ، عن سعيد بن أبي عروبة ، قال له رجل : رأيت فلاناً لم يقبل الحجر ، قال : قد رأيت من هو خير منه يقبله ، فقيل له : من يا أبا النضر خير منه قيل : الحسن ؟ قال : خير منه ^(١) رأيت عمر بن عبد العزيز يقبل الحجر .

الباب السادس

فى ذكر ما يروى من شهادة رسول الله ﷺ له بأنه خير أهل زمانه

حكاية الهاتف من الجن :

قال : حدثنا محمد بن ^(٢) - أو قال : حدثنا محمد بن فضيل - عن أبيه ، عن العباس بن راشد ، قال ، قال : نزل بنا عمر بن عبد العزيز (منزلاً) ^(٣) ، فلما رحل ، قال لى مولاي ، اخرج معه فشيعة .

قال : فخرجت معه ، فمررنا بواد فإذا نحن بحية ميتة على الطريق ، قال : فنزل عمر فنحاهها وواراها ، ثم ركب وسرنا فإذا نحن بهاتف يهتف ، وهو يقول : يا خرقاء ! يا خرقاء ! قال فالتفتنا ^(٤) يميناً وشمالاً فلم نر أحداً .

فقال عمر : أسألك بالله أيها الهاتف إن كنت ممن يظهر إلا ظهرت وإلا أخبرتنا ما الخرقاء ؟ فقال : الحية التى دفنتم بمكان كذا وكذا ، فإنى سمعت رسول الله ﷺ ، يقول لها يوماً : يا خرقاء ! تموتين بفلاة من الأرض . يدفنك خير مؤمن أهل الأرض يومئذ .

فقال له عمر : من أنت ، يرحمك الله ؟

قال أنا من التسعة الذين بايعوا رسول الله ﷺ فى هذا الوادى . فقال له : الله ! لأنت سمعت هذا من رسول الله ؟

قال : الله ! إننى سمعت هذا من رسول الله . فدمعت عينا عمر وانصرفنا . قال :

(١) فى المختصر « قال خير من الحسن » . (٢) بياض فى الأصل .

(٣) من المختصر . (٤) فى المختصر « فالتقينا » .

وحدثنا العباس بن راشد قال : زار عمر بن عبد العزيز مولاى ، فلما أراد الرجوع قال لى شيعه .

فلما برز فإذا نحن بحية سوداء ميتة . فنزل عمر ، فدفنها . فإذا هاتف يهتف : يا خرقاء ! يا خرقاء ! إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول لهذه الحية : لتموتن بفلاة من الأرض وليدفنك خير أهل الأرض يومئذ .

فقال عمر : نشدتك الله إن كنت ممن يظهر إلا ظهرت لى فقال : أنا من التسعة الذين بايعوا رسول الله ﷺ فى هذا الوادى . وإنى سمعته يقول لهذه الحية : لتموتن بفلاة من الأرض ، وليدفنك خير أهل الأرض يومئذ .

قال : فبكى عمر حتى كاد يسقط عن راحلته . وقال يا راشد أنشدك الله لا تخبر بهذا أحداً حتى يوارينى التراب .

وقد روى من غير طريق راشد . قال : حدثنى يوسف بن الحكم قال : حدثنى فياض ابن محمد الرقى ، أن عمر بن عبد العزيز . بينا هو يسير على بغلة له ومعه ناس من أصحابه ، إذا هو بجبان ميت على قارعة الطريق ، فنزل عمر ، فأمر به فعدل به عن الطريق ، ثم حفر له قدفنه ، وواراه ، ثم مضى .

فإذا هو بصوت عال يسمعونه ولا يرون أحداً وهو يقول : لتهنك البشارة من الله يا أمير المؤمنين ، أنا وصاحبى هذا ، الذى دفنته آنفاً ، من النفر من الجن الذين قال الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمْعُونَ الْقُرْآنَ ﴾ ^(١) وإنا لما أسلمنا وآمنا بالله ورسوله . قال رسول الله لصاحبى هذا : أما أنك ستموت فى أرض غربة ، يدفنك فيها يومئذ خير أهل الأرض .

(١) سورة الأحقاف آية : ٢٩ .

الجزء الثانى .

الباب السابع

فى ذكر ولايته قبل الخلافة

قال حدثنا محمد بن سعد قال : قال أبو الزناد : ولى عمر بن عبد العزيز المدينة فى ربيع الأول سنة سبع وثمانين ، وهو ابن خمس وعشرين سنة ، ولاة إياها الوليد بن عبد الملك . فولى عمر على قضائها أبابكر محمد بن عمرو بن حزم . ودعا عمر عشرة نفر من فقهاء البلدة ^(١) منهم : عروة . والقاسم . وسالم ، فقال : إني دعوتكم لأمر تؤجرون فيه ، وتكونون فيه أعواناً على الحق ، إن رأيتم أحداً يتعدى ، أو بلغكم عن عامل لى ظلامة ، فأخرج بالله على أحد بلغه ذلك إلا أبلغنى . فجزوه خيراً وافترقوا :

قال ابن سعد : وقال أبو إسرائيل : حدثنى على بن بزيمة قال : رأيته فى المدينة وهو أحسن الناس لباساً ^(٢) ومن أطيب الناس ريحاً ، ومن أخيل الناس فى مشيته . ثم رأيته بعد ذلك يمشى مشية الرهبان . ^(٣)

شروط عمر لقبوله ولاية المدينة :

قال : حدثنا عبد الرحمن بن حسن ، قال : أخبرنى أبى ، قال : بلغنى أن الوليد بن عبد الملك استعمل عمر (بن عبد العزيز على الحجاز ، المدينة ومكة والطائف) ^(٤) فأبطل عن الخروج ، فقال الوليد لحاجبه : ويليك ما بال عمر لا يخرج إلى عمله ؟ قال : زعم أن له إليك ثلاث حوائج . قال : فعجله على . فجاء به الوليد ، فقال له عمر : إنك استعملت من كان قبلى ، فأنا أحب أن لا تأخذنى بعمل أهل العدوان والظلم والجور .

(١) فى المختصر « البلد يعنى المدينة » .

(٢) فى المختصر « لباس » .

(٣) وزاد أبو يوسف فيما رواه فى « كتاب الخراج » قال : فمن حدثك أن المشية سجية بعد عمر بن عبد العزيز ، فلا تصدقه .

(٤) هذه الزيادة من المختصر .

فقال : له الوليد : اعمل بالحق ، وإن لم ترفع إلينا درهماً واحداً فقال : والحج - قد بلغت (١) ما ترى من السن والحال .

وأشك في العطاء أن يكون سأل إياه أن يخرج له للناس .

قال : حدثنا مغيرة بن زياد ، عن أبي عمر مولى أسماء بنت أبي بكر ، قال : خرجت من جدة بهدايا لعمر بن عبد العزيز ، وهو على المدينة ، فأتيته في مجلسه الذي يصلي فيه الفجر ، والمصحف في حجره ، ودموعه تسيل على لحيته .

قال : حدثنا ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، قال : كان عمر بن عبد العزيز ، وهو أمير على المدينة ، إذا أراد أن يجود بالشي قال : ابتغوا أهل بيت بهم حاجة (٢)

ندم عمر على ضرب خبيب :

قال العلماء بالسير : كان خبيب بن عبد الله بن الزبير قد حدث عن النبي ﷺ أنه قال « إذا بلغ بنو أبي العاص (٣) ثلاثين رجلاً اتخذوا عباد الله خولاً ، ومال الله دولاً » فبعث الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز ، وهو واليه على المدينة ، أن يضربه فمات . فكان عمر إذا قيل له : أبشر (٤) قال : كيف بخبيب على الطريق .

قال : وحدثني عمي مصعب بن الزبير ، قال : كان خبيب قد لقي العلماء وقرأ الكتب (٥) ، وكان من النساك . وأدركت (٦) أصحابنا وغيرهم يذكرون أنه كان تعلم علماً كثيراً لا يعرفون وجهه ، ولا مذهبه فيه ، يشبه ما يدعى الناس من علم النجوم .

أطوار خبيب وكيفية ضربه :

قال عمي مصعب : وحدثت عن مولى لخالته (٧) أم هانئ بنت منظور يقال له : يعلى ابن عقبة ، قال : كنت أمشي معه « يعنى مع خبيب » وهو يحدث نفسه إذا وقف ثم قال : سألت قليلاً ، فأعطى كثيراً وسألت كثيراً ، فأعطى قليلاً . فطعنه ، فقتله . ثم قال :

(١) قوله : « قد بلغت » ليست في المختصر .

(٢) في المختصر : « ابتغوا من له أهل بهم حاجة » . (٣) في المختصر : « بنو العاص » .

(٤) في المختصر : « الشيء » . (٥) في المختصر : « ولا يكتب » .

(٦) في المختصر : « وأجد أن » . (٧) في المختصر : « عن قولي لخالته » .

أقبل على فقال : قتل عمرو بن سعد الساعة . ثم مضى . فوجد ذلك اليوم الذى قتل فيه له أشباه هذا يذكرونها والله أعلم ما هى ^(١) وكان مع ذلك طويل الصلاة قليل الكلام وكان الوليد بن عبد الملك قد كتب إلى عمر بن عبد العزيز ، إذ كان والياً له على المدينة بجلده مائة سوط وبحبسه . فجلده عمر مائة سوط ، وبرّد له ماء فى جرة ثم صبه فى غداة باردة فكز ^(٢) فمات فيها . وكان عمر قد أخرجه من السجن حين اشتد وجعه ، وندم على ما به صنع ، فنقل إلى آل الزبير .

موت خبيب وحزن عمر عليه :

قال عمى مصعب بن عبد الله : أخبرنى مصعب بن عثمان أنهم نقلوه إلى دار عمر ابن مصعب بن الزبير ، بقيق الزبير ، واجتمعوا عنده حتى مات ، فبينما هم جلوس ، إذ جاءهم الماجشون يستأذن عليهم ، وخبيب مسجى بثوبه . وكان الماجشون يكون مع عمر ابن عبد العزيز فى ولايته على المدينة . فقال عبد الله بن عروة : ائذنوا له . فلما دخل قال : كأنك فى مرية ^(٣) من موته ، اكشفوا له عنه ^(٤) فكشفوا عنه فلما رآه الماجشون انصرف . قال الماجشون : فانتهيت إلى دار مروان فقرعت الباب ودخلت ، فوجدت عمر كالمرأة المخاض قائماً وقاعداً فقال لى : ما وراءك ؟ فقلت مات الرجل . فسقط إلى الأرض فزعاً ثم رفع رأسه يسترجع ، فلم يزل يعرف فيه حتى مات واستعفى من المدينة ، وامتنع عن الولاية وكان يقال له : إنك قد صنعت كذا فأبشر فيقول : كيف بخبيب ؟ .

وحدثنى عمى مصعب بن عبد الله قال : حدثنى هارون بن أبى عبيد ، عن عبد الله ابن مصعب أبى قال : سمعت أصحابنا يقولون : قسم فينا عمر بن عبد العزيز قسماً فى خلافته خصنا به ، فقال الناس : دية خبيب .

قال : حدثنى عثمان بن صلحة ، عن أفلح بن حميد ، أن عبد الله بن مروان لما توفى أسف عليه عمر بن عبد العزيز أسفاً منعه من العيش ، وقد كان ناعماً ، فاستشعر مسحاً سبعين ليلة ، فقال له القاسم بن محمد : أعلمت أن من مضى من سلفنا كانوا يحبون

(١) فى المختصر : « فإنما حلم ما هى » .

(٢) كزالشئ كرازة وكزوزة يمس وانقبض .

(٣) فى المختصر : « مدينة » . (٤) قوله : اكشفوا له عنه « محذوف من المختصر . (٥) فى المختصر : « أنه إنك » .

استقبال المصائب بالتجمل ؟ ومواجهة النعم بالتذلل : فراح من عشية يومه ^(١) في مقتطعات من حبرة أهل اليمن ^(٢) . أو قال اليمن - شراؤها ثمان مائة دينار ، وفارق ما كان يصنع .

الباب الثامن

في ذكر إقدامه على قول الحق عند الخلفاء قبله

كتاب عمر إلى عبد الملك :

قال : حدثنا عبد الوهاب بن بخت المكي ، قال : حدثني عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان :

« أما بعد .. فإنك راع ، وكل راع مسؤول عن رعيته » . حدثني أنس بن مالك أنه سمع رسول الله ﷺ . يقول كل راع مسؤول عن رعيته ﴿ اللّهُ لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً ﴾ . ^(٣)

فغضب عبد الملك حين بدأ باسمه ف قيل : إنه كان يفعل ذلك من قبلك ، فسكن غضب عبد الملك .

براءة عمر من الكذب :

قال : حدثنا محمد بن أبي عمر المكي ، وسفيان بن وكيع ، قالا : حدثنا ابن عيينة عن رجل قال : وقال سفيان عن الماجشون : قال : كلم عمر بن عبد العزيز الوليد في شيء فقال له : كذبت . فقال عمر : ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه .

قال : حدثنا يعقوب بن سفيان قال : حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال : أخبرني أشهب عن مالك قال اقتتل غلمان لسليمان بن عبد الملك ، وغلمان لعمر بن عبد العزيز ،

(١) في المختصر : « عيشة » .

(٢) في المختصر : « في مقتطعات من خيرة أهل اليمن » .

(٣) سورة النساء آية : ٨٧ .

قال : فضرب « غلمان عمر » غلمان سليمان ، وقيل له : هذا ما صنعت سر به وفعلت به . فدخل عليه عمر فقال له سليمان ، ما هذا ؟ ضرب غلمانك غلماني . فقال عمر : ما علمت هذا قبل مقاتلتك الآن . فقال له كذبت فقال له عمر : تقول لي كذبت ؟ وما كذبت منذ شددت على إزارى ، وإن فى الأرض عن مجلسك هذا لسعة . ثم خرج من عنده وتجهز يريد الخروج إلى مصر . فسأل عنه سليمان حين استبطأه فقالوا : إنه يريد الخروج إلى مصر ، وقد تجهز فأرسل إليه سليمان أن ارجع فادخل على . وقال للرسول : إذا جاءني فلا يعاتبني فإن فى المعاتبة حقداً^(١) فجاءه عمر فقال له سليمان : ما أهمنى أمر قط إلا خطرت فيه على بالى .

قال : حدثنا سعيد بن أسد قال : حدثنا ضمرة ، عن ابن شوذب قال : قال عمر بن عبد العزيز : الوليد بن عبد الملك بالشام ، والحجاج بالعراق ومحمد بن يوسف باليمن ، وعثمان بن حيان بالحجاز ، وقرّة بن شريك بمصر ، امتلأت الأرض والله جوراً .

تأنيب عمر لولى عهد سليمان :

قال : حدثنى الليث بن سعد ، عن عبد العزيز بن أبى سلمة ، وأخبرنا على بن إبراهيم قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، قال : حدثنى عبد العزيز بن أبى سلمة . عن طلحة بن عبد الملك الأيلى ، قال : دخل عمر بن عبد العزيز على سليمان بن عبد الملك . وعنده أيوب ابنه ، وهو يومئذ ولى عهده ، وقد عقد له من بعده ، فجاء إنسان يطلب ميراثاً من بعض نساء الخلفاء ، فقال سليمان : ما إخال النساء يرثن فى العقار^(٢) شيئاً فقال عمر بن عبد العزيز : سبحان الله ، وأين كتاب الله ، فقال : يا غلام اذهب فأتنى بسجل عبد الملك ابن مروان الذى كتب فى ذلك فقال له عمر : لكأنك أرسلت إلى المصحف . قال أيوب : والله ليوشكن الرجل يتكلم بمثل هذا عند أمير المؤمنين ثم لا يشعر حتى يفارقه رأسه ، فقال له عمر إذا أفضى الأمر إليك وإلى مثلك ، فما يدخل على أولئك أشد مما خشيت أن يصيبهم من هذا فقال سليمان لأيوب : مه ، لأبى حفص تقول هذا : فقال عمر : والله لئن جهل علينا ، يا أمير المؤمنين ، ما حلمنا عنه .

(١) فى المختصر : « فإن المعاتبة » . (٢) فى المختصر : « العقاد » .

قال : حدثني محمد بن بكير ، قال : حدثنا ابن وهب . قال : حدثني مالك : أن عمر ابن عبد العزيز كان عند سليمان بن عبد الملك . وهو بمنزله ، وكان سليمان يقول : ما هو إلا أن يغيب عني هذا الرجل ، فما أجد أحدا يفقه عني . فقال له عمر بن عبد العزيز يوماً : حق هذه المرأة ألا تدفعه إليها . قال : وأى امرأة ؟ قال : فاطمة بنت عبد الملك . فقال سليمان : أو ما علمت وصية أمير المؤمنين عبد الملك ؟ قم يا فلان فأنتي بكتاب أمير المؤمنين . وكان كتب أنه ليس للبنات شيء . فقال له عمر : إلى المصحف أرسلته ؟ فقال ابن سليمان عنده : ما يزال مني رجال يعيرون كتب الخلفاء ، مرهم حتى تضرب وجوههم . فقال له عمر : إذا كان هذا الأمر إليك وإلى ضرباتك ، كان ما يدخل على العامة من ضرر ذلك أشد مما يدخل على ذلك الرجل من ضرب وجهه . فغضب عند ذلك سليمان ، فسب ابنه ذلك . وقال : أتستقبل أبا حفص بهذا ؟ فقال عمر : إن كان عجل علينا فقد استوفينا .

تهكم عمر على سليمان :

قال : حدثنا أبو إسحاق الطالقاني ، عن الفضل بن موسى ، عن داود بن عبد الرحمن عن خالد بن عبد الرحمن قال : كنا في عسكر سليمان بن عبد الملك ، فسمع غناء في الليل ، فأرسل إليهم بكرة فجىء بهم ، فقال : إن الفرس ليصهل فتستودق له البغلة ^(١) ، وإن الفحل ليخطر فتضبع ^(٢) له الناقة . وإن التيس لينب فتستجوم له العنزة وإن الرجل ليغنى فتشتاق إليه المرأة . ثم قال : أخصوهم . قال عمر بن عبد العزيز : هذا مثله ولا تحل فخلي سبيلهم .

إغرائي عمر في الأخذ بمبدأ المساواة :

قال : حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى ، قال : حدثنا أبي عن جدي قال : كان عمر ابن عبد العزيز ينهى سليمان بن عبد الملك عن قتل الحرورية ، ويقول : ضمنهم الحبوس حتى يحدثوا توبة . فأتى سليمان بحرورى مستقتل ، فقال سليمان : على بعمر بن عبد العزيز . لما أتاه عمر عاود سليمان الحرورى ، فقال : ماذا تقول ؟ فقال : ماذا أقول

(١) في المختصر : « الزمكية » . (٢) في المختصر : « لتضبع » .

يا فاسق ابن الفاسق ؟ فقال سليمان لعمر : ما ترى عليه يا أبا حفص ؟ فسكت . فقال : عزمت عليك لتخبرني ماذا ترى عليه : قال : أرى عليه أن تشتمه كما تشتمك ، وتشتم أباه كما تشتم أباك فقال سليمان : ليس إلا ؟ « قال : ليس إلا ، فلم يرجع سليمان إلى قوله » ^(١) فأمر به فضربت عنقه .

حسن نظر عمر في توليته عماله :

قال : حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى ، قال : حدثني أبي ، عن جدي ، قال : كان عمر بن عبد العزيز ينهى سليمان عن قتل الحرورية . ويقول : ضمنهم الحبس حتى يحدثوا توبة . فأتى سليمان بحرورى مستقتل فقال له سليمان ، إيه ؟ فقال إيه ؟ نزع الله لحبيك يا فاسق ابن الفاسق .

قال سليمان : علىّ بعمر بن عبد العزيز ، فلما أتاه عمر ، عاود سليمان الحرورى ، فقال له : ما تقول ؟ قال : وماذا أقول يا فاسق ابن الفاسق ؟ قال سليمان لعمر : يا أبا حفص ماذا ترى ؟ فسكت عمر . فقال : عزمت عليك لتخبرني ماذا ترى عليه ؟ قال : أرى عليه أن تشتمه كما تشتمك . قال سليمان : ليس إلا ؟ « قال ليس إلا . فلم يرجع سليمان إلى قوله » ^(٢) ، فأمر به فضربت عنقه . وقام سليمان وخرج ، وتبعه خالد بن الريان صاحب حرس سليمان ، فقال يا أبا حفص ، تقول لأمير المؤمنين ما أرى عليه إلا أن تشتمه كما تشتمك ؟ والله لقد كنت متوقعا أن يأمرنى بضرب عنقك .

قال : لو أمرك لفعلت : قال إني والله لو أمرنى لفعلت . فلما أفضت الخلافة إلى عمر ، جاء خالد بن الريان وقام مقام صاحب الحرس - وكان قبل ذلك على حرس الوليد وعبد الملك - فنظر إليه عمر فقال : يا خالد ضع هذا السيف عنك ، اللهم إني قد وضعت لك بخالد بن الريان ، اللهم لا ترفعه أبداً ، ثم نظر عمر فى وجوه الحرس ، فدعا عمرو بن مهاجر الأنصارى ، فقال : والله إنك لتعلم يا عمرو أنه ما بينى وبينك قرابة إلا قرابة الإسلام ولكنى قد سمعتك تكثر تلاوة القرآن ، ورأيتك تصلى فى موضع تظن أن لا يراك فيه

(١) هذه الزيادة من رواية بن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة .

(٢) هذه الزيادة من رواية بن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة .

أحد، فرأيتك حسن الصلاة ، خذ هذا السيف قد وليتك حرسى .

قال : حدثنى يعقوب ، وحدثنى حرملة قال : حدثنا ابن وهب قال : حدثنى الليث . أن خالد بن الريان عزله عمر - وكان سيافاً يقوم على رؤوس الخلفاء - وقال إنى لأذكره بأوه^(١) وهيته ، اللهم إنى أضعه لك فلا ترفعه أبداً .

قال فحدثنى نوفل بن الفرات قال : ما رأيت شريفاً حمد ذكره حتى لا يذكر ، حتى كل الناس ليقولون : ما فعل خالد ؟ أحي هو أم قد مات ؟

قال وحدثنى الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب أن عمر بن عبد العزيز أخبره أن الوليد ابن عبد الملك أرسل اليه بالظهير^(٢) ، فى ساعة لم يكن يرسل اليه فى مثلها ، فوجده فى قيطون صغير له بابان : باب يدخل عليه منه ، وباب خلفه ينحرف منه إلى أهله قال : فدخلت عليه . فإذا هو قاطب بين عينيه ، فأشار إلى أن اجلس ، فجلست بين يديه مجلس الخصم^(٣) ، وليس عنده إلا ابن الريان قائماً بسيفه . فقال : ما تقول فيمن يسب الخلفاء أترى أن يقتل ؟ قال : فسكت . قال : فانتهرنى وقال : ما لك لا تتكلم ؟ فسكت . فعاد لمثلها ، فقلت : أقتل يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا ولكنه يسب^(٤) الخلفاء ، قال : فقلت : فإنى أرى أن ينكل فيما انتهك حرمة الخلفاء ، قال : فرفع رأسه إلى ابن الريان ، وما أظن إلا أنه يقول : اضربوا رقبتى . فقال : إنه فيهم لثأته . ثم حول وركه ، فدخل إلى أهله فقال لى ابن الريان : انقلب فانقلبت ، وما تهب من ورائى ريح إلا وأظنه رسولاً يردنى إليه .

وعظ عمر لسليمان بن عبد الملك فى عقبة عسفان :

قال : حدثنى إبراهيم بن هشام عن يحيى بن يحيى قال : حدثنى أبى ، عن جدى قال : حج سليمان بن عبد الملك ، ومعه عمر بن عبد العزيز ، فلما أشرف على قبة عسفان نظر سليمان إلى عسكره فأعجبه ما رأى من حجره وأبنيته فقال : كيف ترى ما ها هنا يا عمر ؟ قال : أرى دنيا يأكل بعضها بعض ، أنت المسؤول عنها ، والمأخوذ بما فيها . فطار غراب من حجرة سليمان ينعب ، فى منقاره كسرة ، فقال سليمان : ما ترى هذا الغراب

(١) بأوه من البأر : الكبير والفخر . (٢) فى المختصر : « بالظهرة » . (٣) فى المختصر : فجلست بين يديه فجلست إلى الخصم . (٤) فى المختصر : « فسب » .

يقول ؟ قال : أظنه يقول : من أين دخلت هذه الكسرة ؟ وكيف خرجت ؟ قال : إنك لتجىء بالعجب يا عمر .

قال : حدثني ضمرة ، عن أبي شوذب ، قال : راود ^(١) الوليد بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز على أن يخلع سليمان فقال : يا أمير المؤمنين ، إنا بايعنا لكما في عقدة واحدة ، فكيف نخلعه ونتركك ؟

ما قاله عمر لسليمان لما أفرعه الرعد :

قال : حدثنا عبد الله بن شوذب قال : حج سليمان ومعه عمر بن عبد العزيز ، قال : فخرج سليمان إلى الطائف ، فأصابه رعد وبرق ، ففرع سليمان فقال لعمر : أما ترى ما هذا يا أبا حفص ؟ قال : هذا عند نزول رحمته ، فكيف لو كان عند نزول نعمته ؟

قال : حدثنا يعقوب بن سليمان ^(٢) قال : حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى قال : حدثني أبي ، عن جدي قال : بينما عمر بن عبد العزيز مع سليمان بعرفات ، إذ برقت ورعدت رعداً شديداً فزع منه سليمان ، فنظر إلى عمر وهو يضحك ، فقال : يا عمر أتضحك وأنت تسمع ما تسمع : قال : يا أمير المؤمنين ! هذه رحمة الله قد أفرعتك . كيف لو جاءك عذابه ؟

قال : حاتم بن الليث قال : حدثنا خالد بن خدّاش قال : حدثنا عفان بن راشد قال : كان عمر بن عبد العزيز واقفاً مع سليمان بعرفة ، فرعدت رعدة من رعد هامة ، فوضع سليمان صدره على مقدم الرجل وجزع منها ، فقال له عمر : يا أمير المؤمنين ! هذه جاءت برحمته ، كيف لو جاءت بسخطه ؟ قال : ثم نظر سليمان إلى الناس ، فقال : ما أكثر الناس ؟ فقال عمر : خصماؤك يا أمير المؤمنين . فقال له سليمان : ابتلاك الله بهم .

قال : حدثنا عمر بن مدرك قال : سمعت مكى بن إبراهيم يقول ، كنا عند عبد العزيز بن أبي رواد في المسجد ، فارتفعت سحابة ، فجاءت برعد وبرق وصواعق ، ففرع القوم ، فتفرقنا . فلما سكنت عدنا ، فقال عبد العزيز : خرج سليمان بن عبد الملك يوماً إلى بعض الوادى ، فأصابهم نحو هذا ، ففرع « سليمان ونادى : يا عمر ! يا عمر ! وكانوا

(١) وفي نسخة « أراد » . (٢) بياض في الأصل

- يعنى بنى أمية - إذا أصابتهم شدة فزعوا ^(١) » ^(٢) إلى عمر بن عبد العزيز، فإذا عمر ينادى هأنذا . قال : ألا ترى : قال : يا أمير المؤمنين إنما هذا صوت نعمة ^(٣) . فكيف لو سمعت صوت عذاب ؟ فقال : خذ هذه المائة ألف درهم وتصدق بها . فقال عمر : أواخر من ذلك يا أمير المؤمنين . قال : وما هو ؟ قال : قوم صحبوك فى مظالم لهم لم يصلوا إليك . قال : فجلس سليمان فرد المظالم .

الباب التاسع

فى ذكر بشارة الخضر له بأنه سيلى الخلافة

. قال : حدثنا ضمرة - يعنى ابن ربيعة - عن السرى بن يحيى ، عن رياح بن عبيدة ، قال رأيت عمر بن عبد العزيز ، وهو أمير على المدينة ، وشيخ متوكئ على يده ، قال : فقلت فى نفسى : إن ذا الشيخ جاف حيث يتوكأ على يد الأمير ، فلما صلى ودخل تبعته ، فقلت : أصلح الله الأمير ، من الشيخ الذى كان متوكئاً على يدك : قال : أفرأيت يا رياح ؟ قلت : نعم ، قال : ذلك أخى الخضر ، عليه السلام ، أتانى فأعلمنى أنى سألنى الأمر وأنى سأعدل فيه .

قال ابن مخلد ، وحدثنا ابن داود القنطرى ، وحدثنا إسماعيل بن أحمد قال : حدثنا عبد الله بن جعفر بن درستويه قال : حدثنا يعقوب بن سفيان قال : حدثنا أبو يوسف قال : حدثنا محمد بن عبد العزيز ، عن رياح بن عبيدة ، قال : رأيت رجلاً يمشى عمر بن عبد العزيز معتمداً على يده ، فقلت فى نفسى ، إن هذا الرجل جاف . فلما صلى ، قلت : يا أبا حفص ، من الرجل الذى كان معك معتمداً على يدك آنفاً ؟ قال : وقد رأيتاه يا رياح ؟ قلت : نعم . قال : إني لأراك رجلاً صالحاً ، ذلك أخى الخضر ، بشرنى أنى سألنى وأعدل . قال : حدثنا ضمرة بن ربيعة ، عن السرى بن يحيى ، عن رياح بن عبيدة قال : أتيت

(٢) من المختصر

(١) فى المختصر « فزعوا » و « فزعوا »

(٣) فى المختصر : « رحمه » .

عمر بن عبد العزيز ، وهو أمير على المدينة قبل أن يستخلف ، فلم أجده في منزله ، فإذا هو مقبل ورجل قد اتكأ عليه ، قال : فقلت في نفسي : ما أجفى هذا الشيخ - أو هذا الرجل - يتكئ على الأمير ؟ ثم افترقته ، فقلت : أصلح الله الأمير ، من الذى كان يتوكأ عليك ؟ قال : ورأيتك يا رياح ؟ قلت : نعم . قال : إني لأراك رجلاً صالحاً يا رياح ، ذلك أخى الخضر ، أتاني فبشرني وقال : إنك ستلى هذا الأمر فتعدل فيه .

قال : حدثنا ضمرة بن ربيعة ، عن السري بن يحيى ، عن رياح بن عبيدة قال : خرج عمر بن عبد العزيز إلى الصلاة وشيخ متوكئ على يده ، فقلت في نفسي : إن هذا الشيخ جاف . فلما صلى ودخل ، لحقته فقلت : أصلح الله الأمير ، من الشيخ الذى كان متوكئاً على يدك ؟ فقال : يا رياح رأيتك ؟ قلت : نعم . قال : ما أحسبك يا رياح إلا رجلاً صالحاً ، ذاك أخى الخضر ، أتاني فأعلمنى أنى سألنى هذه الأمة ، وأنى سأعدل فيها . والله أعلم .

الباب العاشر

فى ذكر الهاتف بخلافته

قال : حدثنى محمد بن نصر بن الوليد ، عن أبى عبد الرحمن الطائى . عن أبى حمزة الثمالى ، عن رجل ، قال : بينما أنا فى جبال مكة إذ وجدت قرطاساً فيه كتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم

براءة لعمر بن عبد العزيز من العذاب الأليم

وسمعت قائلأ يقول : دان الزمان . وذل السلطان . وحبسنا الشيطان لعمر بن عبد العزيز

قال : فوالله ما لبثنا إلا أياماً حتى أتنا خلافته . فلما مات أتيت ذلك الموضع الذى وجدت فيه القرطاس ، فإذا أنا بصوت - أسمعته ولا أرى الوجه - يقول :

عَنَّا جَزَاكَ مَلِيكَ النَّاسِ صَالِحَةً فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ وَالْفَرْدَوْسِ يَا عَمْرُ
أَنْتَ الَّذِي لَا نَرَى عَدْلًا نُسَرُّ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ مَا جَرَتْ شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ

قال : حدثنا عثمان بن عبد الرحمن قال : حدثنا يعقوب بن جعدة عن حماد العدوي
قال : سمعت صوتاً عند وفاة سليمان بن عبد الملك :

اليوم حَلَّتْ واستقرَّت ، قرارُها على عمر المهدي قام عمودُها

الباب الحادى عشر

فيما يروى أنه مذكور فى الكتب الأول

عمر بن عبد العزيز فى الإسرائيليات :

قال : حدثنا هشام بن حسان ، عن خالد الربيعى ، قال : قرأت فى التوراة أن السماء
والأرض تبكى على عمر بن عبد العزيز أربعين سنة .

قال : حدثنا معتمر بن سليمان ، عن هشام ، عن خالد الربيعى ، قال : مكتوب فى
التوراة أن السماء تبكى على عمر بن عبد العزيز أربعين صباحاً . قال : حدثنا جعفر ، قال
سمعت مالك بن دينار يقول : قرأت فى التوراة عمر بن عبد العزيز صديق . قال : حدثنا
محمد بن فضالة أن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وقف براهب بالجزيرة ، فى صومعة له
قد أتى عليه عمرٌ طويل ، وكان ينسب إليه من علم الكتب ، فهبط إليه ، ولم ير هابطاً إلى
أحد ، وقال : أتدرى لِمَ هبطت إليك ؟ قال : لا . قال : لحقَّ أهلك . إنا نجده من أئمة العدل
بموضع رجب من الأشهر الحرم . قال : حدثنا ابن لهيعة قال : وجدنا فى بعض الكتب :
تقتله خشية الله . يعنى عمر بن عبد العزيز .

الباب الثاني عشر

فى ذكر خلافته

حمى دابق التى مات بها سليمان :

قال : حدثنا محمد بن سعيد الدارى أنه سمع أباه يذكر أن سليمان بن عبد الملك ، كان ربما نظر فى المرأة فيقول : أنا الملك الشاب . قال : فنزل مرج دابق ، فمرض مرضه الذى مات فيه ، وفشت الحمى فى أهله وأصحابه ، فدعا جارية بوضوء فبينما هى توضئه ، إذ سقط الكوز من يدها ، فقال : ما قصتك ؟ قالت : محموعة . قال : ففلان ؟ قالت : محموم . قال : ففلانة ؟ قالت : محموعة . قال : الحمد لله الذى جعل (١) خليفته فى أرضه ليس عنده من يوضئه . ثم التفت إلى خاله الوليد بن القعقاع العيسى فقال :

قنرب وضوءك يا وليد فإنما هذى الحياة تعلقة ومتاع
فأجابه الوليد :

فاعمل لنفسك فى حياتك صالحاً فالدهر فيه : فرقة وجماع

قال : أخبرنى محمد أنه سمع عبيد الله بن محمد التيمى (يقول) : كان سليمان بن عبد الملك جالسا ، فنظر فى المرأة إلى وجهه - وكان حسن الوجه - فأعجبه ما رأى من جماله . وكانت على رأسه وصيفة له ، فقال : أنا الملك الشاب . فقال ابن عائشة فرأى شفتى جاريته تتحرك عند قوله ما قال ، فقال : ما قلت ؟ قالت : خيراً . قال : فتخبرينى - وأعاد عليها - قالت : قلت :

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان
وزاد غيره فى الشعر :

(١) فى المختصر : « جعلنى » .

أنت خلوت من العيوب ، ومما يكره الناس ، غير أنك فإن
ثم خرج إلى المسجد ، فسمع أقصى من في المسجد صوته . ثم لم يزل يضعف ،
فانصرف محمواً حمى موصولة بمنيته .

وكانت وفاته سنة تسع وتسعين . وهو ابن أربعين سنة .

قال : حدثنا عبد الله بن سعد الزهرى ، عن عمه يعقوب بن إبراهيم ، قال : توفي
سليمان بن عبد الملك بدابق ، من أرض قنسرين ، يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة
تسع وتسعين . واستخلف عمر بن عبد العزيز فى ذلك اليوم .

كيف عهد سليمان إلى عمر :

قال : حدثنا محمد بن سعد قال : قال رجاء بن حيوة : لما كان يوم الجمعة ، لبس
سليمان بن عبد الملك ثياباً خضراً من خز ، ونظر فى المرأة فقال : أنا ، والله ، الملك الشاب
فخرج إلى الصلاة يصلى بالناس الجمعة ، فلم يرجع حتى وعك ، فلما ثقل كتب كتاب
عهده إلى ابنه أيوب ، وهو غلام لم يبلغ . فقلت : ما تصنع يا أمير المؤمنين ؟ إنه مما يحفظ به
الخليفة فى قبره أن يستخلف الرجل الصالح . فقال : كتاب أستخير فيه ، وأنظر ولم أعزم
عليه . فمكث يوماً أو يومين ثم خرقة . ثم دعانى فقال : ما ترى فى داود بن سليمان ؟
فقلت : هو غائب بقسطنطينية ، وأنت لا تدري أحي هو أم ميت . قال : يا رجاء فمن
ترى ؟ فقلت : رأيك يا أمير المؤمنين ، وأنا أريد أن أنظر من تذكر . فقال : كيف ترى فى
عمر بن عبد العزيز ؟ فقلت : أعلمه والله ، فاضلاً خياراً مسلماً . (قال) : هو والله ذلك
ولعن وليته ولم أول أحداً من ولد عبد الملك لتكونن فتنة ، ولا يتركونه أبداً يلى عليهم إلا
أن أجعل أحدهم بعده . ويزيد بن عبد الملك يومئذ غائب على الموسم . قال : فأجعل
يزيد بن عبد الملك بعده ، فإن كان مما يسكنهم ويرضون به . قلت : رأيك ، فكتب بيده .

عهد سليمان إلى عمر :

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز إني وليته الخلافة

بعدي ، ومن بعده يزيد بن عبد الملك . فاسمعوا له وأطيعوا ، واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم .

حديث عمر وهشام مع رجاء :

وختم الكتاب . وأرسل إلى كعب بن جابر صاحب شبرطته أن مر أهل بيتي أن يجتمعوا بجمعهم . ثم قال سليمان لرجاء : بعد اجتماعهم اذهب بكتابي هذا اليهم ، فأخبرهم أنه كتابي ، ومرهم فليبايعوا من وليت ، ففعل رجاء ، فقالوا ؟ قال : نعم ، فدخلوا ، فقال لهم عهدي فاسمعوا له وأطيعوا ، وبايعوا لمن سميت في هذا الكتاب ، قال فبايعوه رجلاً رجلاً ، ثم خرج بالكتاب مختوماً في يد رجاء . قال رجاء . فلما تفرقوا جاءني عمر بن عبد العزيز فقال : يا أبا المقدام ، إن سليمان كانت لي به حرمة ومودة ، وكان بي برأ وملطفاً ، فأنا أخشى أن يكون قد أسند إلى من هذا الأمر شيئاً ، فأنشدك الله وحرمتي الا أعلمتني إن كان ذلك ، حتى أستعفيه الآن ، قبل أن تأتي حال لا أقدر فيها على ذلك . فقال رجاء : لا والله ما أنا مخبرك حرفاً واحداً . فذهب غضبان . قال رجاء : ولقيني هشام بن عبد الملك ، فقال : يا رجاء إن لي حرمة ومودة قديمة ، وعندي شكر ، فأعلمني أهذا الأمر إلى ، فإن كان إلى علمت ، وإن كان إلى غيري تكلمت ، فليس مثلي قصر به ، ولا نحى عنه هذا الأمر . فلك الله أن لا أذكر اسمك أبداً ، فأعلمني ، فأبيت ، وقلت : والله لا أخبرك حرفاً واحداً ، فانصرف هشام وهو مؤيس ، وهو يضرب بإحدى يديه على الأخرى ويقول : فإلى من إذا محيت عني ؟ أتخرج من بني عبد الملك ؟ قال رجاء : ودخلت على سليمان وهو يموت ، فجعلت إذا أخذته سكرة من سكرات الموت حرفته إلى القبلة ، فجعل يقول ، وهو يفارق ، لم يأن لذلك بعد يا رجاء ، حتى فعلت ذلك مرتين ، فلما كانت الثالثة قال : من الآن يا رجاء ، إن كنت تريد شيئاً أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فحرفته ومات . فلما غمضته ، سجيته بقطيفة خضراء ، وأغلقت الباب ، وأرسلت إلى زوجته : كيف أصبح ؟ فقلت : نام وقد تغطى ، فنظر الرسول اليه مغطى ، فرجع فأخبرها فقبلت .

أثر رجاء فى استخلاف عمر :

قال رجاء : وأجلست على الباب من أثق به وأوصيته أن لا يريم حتى آتية ، ولا يُدخل على الخليفة أحداً ، فخرجت فأرسلت إلى كعب بن جابر ، فجمع أهل بيت أمير المؤمنين فاجتمعوا فى مسجد دابق فقلت : بايعوا . قالوا : قد بايعنا مرة ونباع أخرى ؟ قلت هذا أمير المؤمنين ، بايعوا على ما أمر به ومن سُمى فى هذا الكتاب المختوم ، فبايعوا رجلاً رجلاً ، فرأيت أنى قد أحكمت الأمر فقلت : قوموا إلى صاحبكم قد مات وقرأت عليهم الكتاب ، فلما انتهيت إلى ذكر عمر بن عبد العزيز نادى هشام : لا نبايعه أبداً ، قال : قلت والله أضرب عنقك ، قم فبايع ، فقام يجبر رجليه . قال رجاء : وأخذت بضبعي^(١) عمر ، فأجلسته على المنبر ، وهو يسترجع لما وقع فيه ، وهشام يسترجع لما أخطأه ، فلما انتهى هشام إلى عمر قال : إنا لله وإنا إليه راجعون حين صار هذا الأمر إليك على ولد عبد الملك فقال عمر : نعم ، وإنا لله وإنا إليه راجعون حين صار إلى لكراحتى له .

تواضع عمر وسلوكه عقب استخلافه :

وغسل سليمان وكفن ، وصلى عليه عمر بن عبد العزيز ، فلما فرغ من دفنه أتى بمراكب الخلافة : البراذين ، والخيل ، والبغال ، ولكل دابة سائس . فقال ما هذا ؟ قالوا : مراكب الخلافة . فقال عمر : دابتي أوفق لى . فركب بغلته وصرفت تلك ، ثم أقبل فقيل تنزل منزل الخلافة ؟ فقال : فيه عيال أبى أيوب ، وفى فسطاطى كفاية حتى يتحولوا ، فأقام فى منزله حتى فرغوه بعد ، فلما كان مساء ذلك اليوم ، قال : يا رجاء ادع لى كاتباً ، فدعوته . وقد رأيت منه ما يسرنى ، صنع فى المراكب ما صنع ، وفى منزل سليمان - فلما جلس الكاتب أملى عليه كتاباً واحداً ، من فيه إلى يد الكاتب بغير نسخة ، فأملى أحسن إملاء ، وأبلغه وأوجزه ، ثم أمر بذلك الكتاب ، فنسخ إلى كل بلد . وبلغ عبد العزيز « بن » الوليد ، وكان غائباً ، موت سليمان ، ولم يعلم بمبايعة عمر ، فبايع لنفسه . ثم أقبل بريد دمشق ، فبلغه أن عمر بن عبد العزيز بايعوا له بعهد سليمان ، فدخل عليه وقال : لم يبلغنى أن الخليفة عهد إلى أحد ففرقت^(٢) على الأموال أن تنتهب ، فبايعت لنفسى . فقال

(١) الضبع : وسط العضد بلحمه : الإبط

(٢) فرقت ، خفت وجزعت وفزعت .

عمر له : والله لو بويعت وقمت بالأمر ما نازعتك ذلك ، ولقعدت فى بيتى ، وبائع عمر .

عود إلى أخبار استخلاف عمر :

قال : وقد روى ابن سعد طريق آخر عن رجاء بن حيوة أنه قال : لما ثقل سليمان ، رآنى ^(١) عمر فى الدار أخرج وأدخل ، فقال : يا رجاء أذكرك ^(٢) الله والإسلام أن تذكرنى لأمر المؤمنين ، أو تشير بى عليه . إن استشارك ، فوالله ما أقوى على هذا الأمر ، فانتهرته ، وقلت : إنك لحريص على الخلافة ، أتطمع أن أشير عليه بك ؟ فاستحيا ، ودخلت ، فقال سليمان : من ترى لهذا الأمر ؟ فقلت : اتق الله ، فإنك قادم عليه وسائلك عن هذا الأمر وما صنعت فيه ؟ قال : فمن ترى ؟ قلت : عمر بن عبد العزيز .

قال : حدثنا إبراهيم بن محمد الشافعى قال : سمعت جدى محمد بن على بن شافع يقول : إننى لأرجوا أن يدخل الله سليمان بن عبد الملك الجنة باستعماله عمر بن عبد العزيز .

قال : حدثنى من شهد دابقاً ، وكانت دابق يجتمع فيها حين يغزو الناس ، فكان ، سليمان ثمة حيث يجتمع الناس ، فمات سليمان بدابق ولم يكن له ابن وإنما هم الإخوة ، ورجاء صاحب أمره ومشورته ، فخرج إلى الناس فأعلمهم بموته ، وصعد المنبر ، فقال : إن أمير المؤمنين كتب كتاباً ، وعهد عهداً ، فسامعون أنتم مطيعون ؟ قال الناس : نعم . قال هشام : نسمع ونطيع ، إن كان رجلاً من بنى عبد الملك . قال : فجذبه الناس حتى سقط إلى الأرض ، فقال الناس : سمعنا وأطعنا ، فقال رجاء : قم يا عمر - وهو يومئذ عند المنبر - فقال عمر : والله ، إن هذا الأمر ما سألته قط فى سر ولا علانية .

قال : وروى أبو بكر أبى خيثمة ، من حديث الوليد بن مسلم . عن عبد الرحمن بن حسان ، أن رجاء بن حيوة قال : لما مات سليمان بن عبد الملك ، فتحت كتابه ، بعد أن أخذت البيعة لمن فيه ، فإذا فيه العهد لعمر بن عبد العزيز ، فقالوا : أين عمر بن عبد العزيز ؟ فطلبوه ؟ فإذا هو فى مؤخر المسجد ، فأتوه ، فسلموا عليه بالخلافة ، فعقر ^(٣) به ، فلم يستطع النهوض حتى أخذوا بضبعه ، فدنوا به إلى المنبر ، فلم يقدر على الصعود حتى

(١) فى المختصر « رأى » . (٢) فى المختصر : « اذكر » . (٣) عقر به : طال حبسه فلم يستطع الوقوف .

أصعدوه ، فأجلسوه ، فجلس طويلاً لا يتكلم . ثم بايعوه ، فجاء إلى منزله ، فجعل يكتب بيده إلى العمال في الأمصار . قال : حدثنا عبد الله بن يونس ، عن يسار بن الحكم ، قال : لما دخل سليمان بن عبد الملك قبره ، أدخله عمر بن عبد العزيز وابنه سليمان ، فاضطرب على أيديهما ، فقال ابنه عاش ، والله ، أبى ، فقال : لا والله ، ولكن عوجل أبوك .

قال : حدثني محمد بن أبي عثمان ، قال : حدثني محمد بن الضحاك بن عثمان ، عن أبيه ، قال : لما انصرف عمر بن عبد العزيز عن قبر سليمان بن عبد الملك صفت له مراكب سليمان فقال :

لولا التقي ، ثم النهى ، خشية الردى لعاصيت في حب الصبي كل زاجر
قضى ما قضى ، فيما مضى ثم لا ترى له صبوة أخرى الليالي الغواير
ثم قال : إن شاء الله ، لا قوة إلا بالله ، قدموا إلى بغلتي .

اهتمام عمر بما لأفراد الأمة على الخليفة من حقوق :

قال : حدثني أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، قال : كان أول ما روى منه - يعنى عمر بن عبد العزيز - قُدم إليه برذون ^(١) سليمان فأبى ، فركب بغلته ورجع - يعنى حين فرغ من دفن سليمان - فقال : ليس أحد من أمة محمد ﷺ ، إلا له عندي شرفها وغربها .

قال : حدثني عبد الله بن وهب ، قال : كان سفيان بن عيينة قال : لما رجع عمر بن عبد العزيز من دفن سليمان ، كان أول شيء راعهم منه ، حين قدموا إليه مركبه ، فقال : آخروه . فقربوا إليه بغلته فركبها . فلما رجع إلى منزله دخل ، فقال له مولاه : يا أمير المؤمنين ، كأنك مهتم ؟

فقال : لمثل الأمر الذى نزل بي اهتمامت ، إنه ليس من أمة محمد ، فى مشرق ولا مغرب ، إلا له قبلى حق يحق على أداؤه إليه ، غير كاتب إلى فيه ، ولا طالبه منى .

(١) البرذون : دابة معروفة .

خطبته عقب استخلافه :

قال : حدثني ابن المنذر بن جارود ، قال : فلما استخلف عمر بن عبد العزيز صعد المنبر ، فقال : أيها الناس ، إني والله ما استؤمرت في هذا الأمر ، وأنتم بالخيار . ثم نزل .

قال : حدثني سهل بن يحيى بن محمد المروزي ، قال : أخبرني أبي عن عبد العزيز « ابن عمر بن عبد العزيز » قال : لما دفن عمر بن عبد العزيز سليمان بن عبد الملك ، وخرج من قبره ، سمع للأرض هدة ، أو رجة . فقال : ما هذه ؟ فقيل : هذه مراكب الخلافة يا أمير المؤمنين . قربت اليك لتركبها . فقال : ما لي ولها ، نحوها عني ، قربوا إليّ بغلتي . فقربت إليه بغلته ، فركبها . فجاءه صاحب الشرطة يسير بين يديه بالحربة ، فقال : تنح عني ، مالي ولك ، إنما أنا رجل من المسلمين . فسار وسار معه الناس حتى دخل المسجد فصعد المنبر واجتمع إليه الناس فقال : أيها الناس ، إني قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأي كان مني فيه ، ولا طلبه له ، ولا مشورة من المسلمين . وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي فاختراروا لنفسيكم .

فصاح الناس صيحة واحدة : قد اخترناك يا أمير المؤمنين ، ورضينا بك . قل أمرنا باليمن والبركة . فلما رأى الأصوات قد هدأت ، ورضى به الناس جميعاً ، حمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على النبي ﷺ ، وقال : أوصيكم بتقوى الله ، فإن تقوى الله خلف كل شيء ، وليس من تقوى الله عز وجل خلف . واعملوا لآخرتكم ، فإنه من عمل لآخرته كفاه الله تبارك وتعالى أمر دنياه . وأصلحوا سرائركم يصلح الله الكريم علانيتكم . وآثروا ذكر الموت ، وأحسنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم ، فإنه هادم اللذات . وإن من لا يذكر من آبائه - فيما بينه وبين آدم عليه السلام - أباً حياً ، لمعرق له في الموت . وإن هذه الأمة لم تختلف في ربها عز وجل ، ولا في نبيها ﷺ ، ولا في كتابها وإنما اختلفوا في الدينار والدرهم . وإنسى والله لا أعطى أحداً باطلاً ، ولا أ منع أحداً حقاً .

ثم رفع صوته حتى أسمع الناس فقال :

يا أيها الناس ، من أطاع الله وجبت طاعته ، ومن عصى الله فلا طاعة له . أطيعوني ما أطيعت الله ، فإذا عصيت الله ، فلا طاعة لي عليكم .

ابن عمر يعظ عمر :

ثم نزل فدخل فأمر بالسُّتور فهِتكت ، والثياب التي كانت تبسط للخلفاء^(١) ، فحملت ، وأمر ببيعها وإدخال أثمانها في بيت مال المسلمين ، ثم ذهب يتبوأ مقيلاً . فأتاه ابنه عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ماذا تريد أن تصنع ؟ قال : أى بنى ، قال : تقيل ولا ترد المظالم ؟ فقال : أى بنى ، إني قد سهرت البارحة في أمر عمك سليمان ، فإذا صليت الظهر ؟ رددت المظالم . قال : يا أمير المؤمنين من لك أن تعيش إلى الظهر ؟ قال : ادن منى أى بنى . فدنا منه ، فالتزمه وقبل بين عينيه ، وقال : الحمد لله الذى أخرج من صلبى من يعيننى على دينى . فخرج ولم يقبل ، وأمر مناديه أن ينادى : ألا من كانت له مظلمة فليرفعها . فجعل لا يدع شيئاً مما كان فى يد سليمان وفى يد أهل المظالم إلا ردها مظلمة مظلمة .

إجلال الخوارج لعمر :

فلما بلغت الخوارج سيرة عمر ، وما ردّ من المظالم ، اجتمعوا وقالوا : ما ينبغي لنا أن نقاتل هذا الرجل .

قال حدثنا محمد بن سعد قال : قال عمر بن عبد العزيز : لو كان كل بدعة يميتها الله على يدي ، وكل سنة ينعشها الله على يدي ببضعة من لحمي ، حتى يأتى آخر ذلك على نفسي ، كان في الله يسيراً .

قال : حدثنا ابن وهب قال : حدثني مالك أن عمر بن عبد العزيز قام في الناس - وهو خليفة - على المنبر يوم الجمعة فقال : أيها الناس إني أنساكم ها هنا ، وأذكركم في بلادكم فمن أصابته مظلمة من عامله فلا إذن له على ، ومن لا فلا أرينه ، وإني والله إن منعت نفسي وأهل بيتي هذا المال وضننت به عنكم ، إني إذن لضنين ، ولولا أن أنعش سنة ، أو أعمل بحق ، ما أحببت أن أعيش فواقاً .

(١) في المختصر « للخلافة » .

سرور الناس باستخلاف عمر :

قال : حدثنا سليمان بن داود الخولاني أن رجلاً بايع عمر بن عبد العزيز ، فمد يده إليه ثم قال : بايعني بلا عهد ولا ميثاق ، تطيعني ما أطعت الله ، فإن عصيت الله فلا طاعة لي عليك ، فبايعه .

قال : حدثنا جويرية عن إسماعيل بن أبي حكيم ، قال : لما مات سليمان بن عبد الملك ، انطلقت أنا ومزاحم إلى نفقة كانت لعمر في رحله فغيبناها ، ثم أقبلت أريد المسجد ، فلقيني رجل فقال : هذا صاحبك يخطب الناس ، فقلت : خليفة ؟ قال : فأنتهيت إليه وهو على المنبر فكان ما سمعته يقول :

يا أيها الناس إني والله ما سألتها الله في السر ولا في علانية قط، فمن كره منكم فأمره إليه .

فقال رجل من الأنصار (١) : يا أمير المؤمنين ، ذاك والله أسرع فيما يكره ، ابسط يدك فلنبايعك . فكان أول من بايعه الأنصارى هذا . ولا أدري عن إسماعيل ، هو أو غيره ، وأظنه إسماعيل . قال : ومشى عمر في جنازة سليمان ، قال ودخل قبره ، فلما فرغ من دفنه وقد جرى بمراكب الخلفاء ، فلم يركب شيئاً منها وقال : بغلتي . فركبض إنسان من العسكر ، وقعد عمر حتى جرى ببغلته ، قال : وقد ضربت أبنية الخلفاء ، قال : فأحسبه أنه لم يستظل في شيء منها حتى جرى ببغلته ، فركبها ثم رجع .

سباق الخيل في دولة بني أمية :

قال : وقد كان سليمان أمر أهل مملكته أن يقودوا الخيل بسبق بينهم ، فقل قرية (٢) من المسلمين إلا كان قد أخذهم ليقودوا إليه الخيل (٣) ، فمات من قبل أن تُجرى الحلبة . قال : فلما ولي أبي أن يعجزها ، فقل له : يا أمير المؤمنين تكف الناس مؤونات عظاماً ، وقادوها من بلا بعيدة ، وفي ذا غيظ للعدو ، فلم يزالوا يكلمونه حتى أُجرى الحلبة ، وأعطى

(١) هو سعيد بن عبد الملك كما جاء في العقد الفريد لابن عبد ربه « ج ٢ ص ٢٦١ » وزاد فيه قوله : أتريد أن نختلف ويضرب بعضنا بعضاً . قال رجل : سبحان الله ، وليها أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ولم يقرلوا هذا ، ويقوله عمر ؟

(٢) في المختصر : « ليسبق بينها فقل الجرية » . (٣) في المختصر : « بقود الخيل » .

الذين سبقوا ، ولم يخيب الذين لم يسبقوا ، أعطاهم دون ذلك قال : وقد كان الناس لقوا جهداً شديداً فى القسطنطينية من الجوع ، فأقفل الناس ، وبعث اليهم بالطعام .

خطبة عمر :

قال : حدثنا عبد الله بن يونس الثقفى ، عن يسار ، قال : كان أول ما علم من عمر ابن عبد العزيز ، أنه لما دفن سليمان بن عبد الملك ، أتى بدابة سليمان التى كان يركب ، فلم يركب دابته التى جاء عليها ، فدخل القصر وقد مهدت له فرش سليمان ، فلم يجلس عليها ، ثم خرج إلى المسجد وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد .. فإنه ليس بعد نبيكم ، ﷺ ، نبي ، ولا بعد الكتاب الذى أنزل عليه كتاب ، إلا ما أحل الله ، عز وجل ، حلال إلى يوم القيامة ، وما حرم الله حرام إلى يوم القيامة . ألا لست بقاصٍ ولكنى منفذٌ ألا وإنى لست بمبتدع ، ولكنى متبع . ألا أنه ليس لأحد أن يطاع فى معصية الله ، عز وجل ، ألا أنى لست بخيركم ، ولكنى رجل منكم ، غير أن الله جعلنى أثقلكم حملاً . ثم ذكر حاجته .

حدثنا جويرية بن أسماء ، عن إسماعيل بن أبى حكيم ، قال : أول كلمة سمعتها من عمر بن عبد العزيز يوم استخلف وهو على المنبر يقول :

أيها الناس ، إنى والله ما سألتها الله فى سر ولا علانية قط ، فمن كره منكم فأمره إليه فقام رجل من الأمصار فبايعه ، وبايعه الناس .

قال : حدثنا الحارث بن عمير ، عن إبراهيم بن عقبة ، قال : بلغنى أن عمر بن عبد العزيز قال : إنى والله ما أنا بمبتدع ، ولكنى متبع ، وإنى والله ، ما أنا بخيركم ، ولكنى أثقلكم حملاً ، وإنه والله ما من أحد من خلق الله له طاعة فى معصية .

قال : حدثنا ابن زيد ، عن عمار بن عبيدة قال : أول ما أنكر عمر بن عبد العزيز أنه خرج فى جنازة ، فأتى ببرد كان يلقي للخلفاء يقعدون عليه إذا خرجوا إلى جنازة ، فألقى له فضربه برجله ، ثم قعد على الأرض ، فقالوا : ما هذا ؟ فجاء رجل فقعد بين يديه ، فقال يا أمير المؤمنين ، اشتدت بى الحاجة ، وانتهت بى الفاقة ، والله يسألك عن مقامى هذا بين

يديك - وفي يده قضيب قد اتكأ عليه - فقال : أعد ما قلت ، فأعاد عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، اشتدت بى الحاجة ، وانتهت بى الفاقة ، والله سائلك عن مقامى هذا بين يديك فبكى حتى جرت دموعه على القضيب ، ثم قال له : ما عيالك ؟ قال : خمسة ، أنا وامراتى وثلاثة أولاد ، قال : فإننا نفرض لك ولعيالك عشرة دنانير ، ونأمر لك بخمس مائة مائتين من مالى ، وثلاث من مال الله ، تبلغ بها حتى يخرج عطاؤك .

زهد عمر فى التمتع :

قال : حدثنا أبو الصباح قال : حدثنا سهل بن صدقة ، مولى عمر بن عبد العزيز ، قال : حدثنى بعض خاصة عمر بن عبد العزيز أنه حين أفضت اليه الخلافة ، سمعوا فى منزله بكاء عالياً ، فسئل عن البكاء ، قيل : إن عمر بن عبد العزيز قد خير جواريه ، فقال : إنه قد نزل بى أمر قد شغلنى عنكن ، فمن أحب أن أعتقه أعتقه ، ومن أراد أن أمسكه أمسكه ، ولم يكن منى إليها شىء . فبكى يأساً منه رحمه الله .

قال : حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى ، قال : حدثنى أبى ، عن جدى قال : كنت أنا ، وابن أبى زكريا بباب عمر ، فسمعنا بكاء فى داره ، فسألنا عنه ، فقالوا : خير أمير المؤمنين امرأته بين أن تقيم فى منزلها - وأعلمها أنه قد شغل عن النساء بما فى عنقه - وبين أن تلحق بمنزل أبيها ، فبكت ، فبكى جواريهما لبكائها .

قال : حدثنى سليمان بن حميد المدنى ، عن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع القرشى ، أنه دخل على فاطمة بنت عبد الملك فقال لها ، ألا تخبرينى عن عمر ؟ فقالت : ما أعلم أنه اغتسل من جنابة ، ولا من احتلام ، منذ استخلفه الله إلى أن قبضه .

حالة جسمه ولباسه وهو خليفة :

قال : حدثنا عبيد الله ، قال : سمعت شيخاً كان فى حرس عمر بن عبد العزيز ، قال رأيت عمر بن عبد العزيز ، حين ولى « فإذا به من حسن اللون ، وجوده الثياب ، والبزة ، ثم دخلت عليه ، بعد ، وقد ولى » ^(١) فإذا قد احترق ، واسود ، ولصق جلده بعظمه حتى

(١) من النسخة المختصرة

ليس بين الجلد وبين العظم «لحم» وإذا عليه قلنسوة بيضاء ، قد اجتمع قطنها ، يعلم أنها قد غسلت ، وعليه سحق انبجانية قد خرج سداها ، وهو على شاذكونة قد لصقت بالأرض وتحت الشاذكونة عباءة قطوانية من مشاققة الصوف ، فأعطاني مالا أتصدق به بالركة ، قال : ولا تقسمه إلا على نهر جار ، فقلت : إنه يأتيني من لا أعرف ^(١) ، فمن أعطى قال : أعط من مد يده إليك .

الباب الثالث عشر

في ذكر أنه من الخلفاء الراشدين المهديين

حدثنا علي بن الحسين قال : أخبرني خاتمة بن مصعب ، عن ابن عوف ، عن مجاهد ، قال : المهادي سبعة مضى خمسة وبقي اثنان . قال خاتمة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم .

قال : حدثني عبد الرزاق بن همام قال : حدثني أبي قال : قال وهب بن منبه : إن كان في هذه الأمة مهدي ، فهو عمر بن عبد العزيز .

قال حدثنا ضمرة ، عن ابن شوذب قال : قال الحسن : إن كان مهدي ، فعمر بن عبد العزيز وإلا فلا مهدي إلا عيسى ابن مريم ، عليه السلام .

قال حدثنا سهيل بن عباس ، عن ابن إسحاق ، عن إبراهيم بن عقبة ، عن عطاء مولى أم بكر الأسلمية ، عن حبيب بن هند الأسلمي ، قال : قال لي سعيد بن المسيب ، ونحن على عرفة ، إنما الخلفاء ثلاثة ، قلت : من الخلفاء ؟ قال : أبو بكر وعمر وعمر ، يعني عمر « بن عبد العزيز » قلت : هذا أبو بكر وعمر قد عرفناهما ، فمن عمر ؟ قال : إن عشت أدركته وإن مت كان بعدك قال : حدثنا أبو عبيدة بن يحيى بن أخى هنادين ، قال سمعت قبيصة بن عقبة يقول : سمعت سفيان الثوري يقول : الخلفاء خمسة أبو بكر

(١) في المختصر « يأتي ولا أعرف » .

وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنهم .

عمر إمام عدل :

قال : وقد رواه قبيصة ، عن عباد ، عن سفيان ، قال : حدثنا قبيصة قال : حدثنا عباد السماك قال : سمعت سفيان يقول : أئمة العدل خمسة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز .

قال : حدثنا عباد السماك قال : سمعت سفيان الثوري يقول : أئمة العدل خمسة أبو بكر وعمر وعلي وعمر بن عبد العزيز ، من قال غير هذا فقد اعتدى .

قال : حدثنا قبيصة ، قال : سمعت عباد السماك يقول : سمعت الأئمة خمسة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز .

قال : حدثنا عبد الله بن أحمد بن شبيب قال : سمعت أبي قال : سمعت وكيعاً يقول سمعت سفيان يقول : لا أوافق رأى أحب أحد إلى من عمر بن عبد العزيز ، لأنه كان إمام هدى .

قال : حدثنا مزاحم الخاقاني قال : حدثني عمي ، أبو علي عبد الرحمن بن يحيى بن خاقان ، أنه ذكر لأحمد بن حنبل أنه يروى عن سفيان الثوري أنه قال : أئمة الهدى : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز . فقال له أحمد بن حنبل : هذا كذا هو .

عمر مرشد المائة الأولى والشافعي مرشد المائة الثانية :

قال : حدثنا محمد بن الحسن بن الجنيد قال : سمعت عثمان بن علي يقول : سمعت حميد بن أنجويه النسائي يقول : قال : أحمد بن حنبل : يروى في الحديث أن الله يبعث على رأس كل مائة عام من يصح لهذه الأمة دينها ، فنظرنا في المائة الأولى فإذا هو عمر بن عبد العزيز ، ونظرنا في المائة الثانية فنراه الشافعي .

قال : حدثنا أبو سعيد الفريابي قال : قال أحمد بن حنبل : إن الله تعالى يقيض للناس ، في كل رأس مائة سنة ، من يعلمهم السنن ، وينفي عن رسول الله ﷺ الكذب ، فنظرنا ، فإذا في رأس المائة عمر بن عبد العزيز وفي رأس المائتين الشافعي .

بشارة أحمد بن حنبل لمن ينشر محاسن عمر :

قال : حدثني من سمع أحمد بن حنبل يقول : إذا رأيت الرجل يحب عمر بن عبد العزيز ، ويذكر محاسنه وينشرها ، فاعلم أن من وراء ذلك خيراً ، إن شاء الله .

قال : حدثنا خالد بن حسان ، عن جعفر ، يعني ابن برقان ، و فرات بن سليمان ، عن ميمون بن مهران قال : إن الله عز وجل ، تعاهد الناس بعمر بن عبد العزيز .

عمر أمة وحده :

قال : أخبرني عطاء بن مسلم الخفاف ، عن عمر بن قيس الملائى قال : سئل محمد بن علي بن حسين عن عمر بن عبد العزيز ، فقال : أما علمت أن لكل قوم نجيباً ، وأن نجيب بنى أمة عمر بن عبد العزيز ، وأنه يبعث يوم القيامة أمة وحده ؟

قال : حدثنا ضمرة ، عن رجاء ، عن ابن عون قال : كان ابن سيرين ، إذا سئل عن الطلاء^(١) قال : نهى عنه إمام هدى . يعني : عمر بن عبد العزيز .

قال : حدثني الفريابي ، عن عباد بن كثير قال : دخلت على أبي جعفر فقلت : يا أمير المؤمنين ، أما تستحيون أن تجيء بنو أمة بعمر بن عبد العزيز ، ولا تجهضون بمثله ؟

قال : حدثنا ضمرة عن علي بن نخولة ، عن أبي عنبس قال : كنت واقفاً مع خالد بن يزيد بن معاوية ، في مسجد بيت المقدس ، إذا أقبل فتى شاب ، فسلم علي ، خالد ، فأقبل عليه خالد ، فقال الفتى لخالد : هل علينا من عين ؟ قال : فبادرت أنا فقلت : - - - من الله عين بصيرة ، فترقرقت عين الفتى ، ونزع يده من يد خالد ، ثم ولّى ، فقلت لخالد من هذا ؟ قال : أما تعرف هذا عمر بن عبد العزيز ، ابن أخي أمير المؤمنين ، ولعن طالت بك وبه حياة لترينه إمام هدى .

قال : حدثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن زفر : يعني العجلي ، عن قيس بن حبتر قال : مثل عمر في بنى أمة ، مثل مؤمن آل فرعون .

(١) الطلاء : الخمر .

الباب الرابع عشر فى ذكر أخلاقه وآدابه

قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة قال : كان لعمر بن عبد العزيز سمّاً ر^(١) . يستشيرهم فيما يرفع اليه من أمور الناس ، وكان علامة بينه وبينهم ، إذا أحب أن يقوموا قال : إذا شئتم قال : حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس ، قال : سمعت بعض شيوخنا يذكر أن عمر ابن عبد العزيز أتى بكاتب يخط بين يديه - وكان مسلماً ، وكان أبوه كافراً^(٢) - فقال عمر للذى جاء به : لو كنت جئت به من أبناء المهاجرين . فقال الكاتب : ما ضر رسول الله ﷺ كُفر أبيه . فقال عمر : قد جعلته مثلاً ، لا تخط بين يدى بقلم أبداً .

حسن سياسة عمر للحرورية :

قال : حدثنا أرطاة بن المنذر قال : سمعت أبا عون يقول ، دخل ناس من الحرورية على عمر بن عبد العزيز ، فذاكروه شيئاً ، فأشار إليه^(٣) بعض جلسائه أن يرعبهم ، ويتغير عليهم ، فلم يزل عمر بن عبد العزيز يرفق بهم حتى أخذ عليهم ، ورضوا منه أن يرزقهم ويكسوهم ما بقى . فخرجوا على ذلك . فلما خرجوا ضرب عمر ركبة رجل يليه من أصحابه ، فقال : يا فلان ! إذا قدرت على دواء تشفى به صاحبك ، دون الكى فلا تكوينه أبداً .

قال : حدثنا الوليد بن مسلم ، عن مالك بن أنس قال : قال : عمر بن عبد العزيز : ما كذبت كذبة منذ شددت على إزارى .^(٤)

قال : حدثنا سفيان بن يحيى بن سعد ، أن رجلاً قال لعمر بن عبد العزيز : إن قرابتى كذا ، قال : إن ذاك . قال : إني أريد أن يكلم لى أمير المؤمنين فى كذا كذا ، قال : لعل ذلك . قال : فقضيت حاجة الرجل وما يشعر .

(١) فى المختصر : « سماع » . (٢) خ نصرانياً . (٣) فى المختصر : « عليه » . (٤) ذكر فيما سبق .

قال : حدثنا أبو بكر بن عباس ، عن عاصم ، قال : كنت عند عمر بن عبد العزيز ، فدخل عليه رجل فرفع صوته ، فقال عمر : مه حسب المرء ما أسمع به جليسه من كلامه .

اجتماع بنى مروان لاستعطاف عمر عليهم :

قال : حدثنا عمر بن علي المقرئ ، عن حجاج بن عنبسة بن سعيد قال : اجتمع بنو مروان فقالوا : لو دخلنا على أمير المؤمنين فعطفناه علينا ، وأذكرناه أرحامنا . قال : فدخلوا فتكلم رجل منهم ، فمزح ، فنظر إليه عمر . قال : فوصل له رجل كلامه بالمزاح ، فقال عمر : لهذا اجتماعكم ، لأنفس الحديث ولما يورث الضغائن ؟ إذا اجتمعتم ، فأفيضوا في كتاب الله ، فإن تعديتم فعليكم بمعالى الحديث .

أدبه وسمره وما كان يشترط على أصحابه :

قال محمد بن سعيد . قال : حدثنا العلاء بن عمر ، عن سعيد بن عبد العزيز قال : كان عمر بن عبد العزيز إذا خطب على المنبر فخاف فيه ^(١) العجب قطع ، وإذا كتب كتاباً فخاف فيه العجب مزقه ، ويقول : اللهم ، إني أعوذ بك من شر نفسي .

قال : حدثنا ضمرة ، عن رجاء قال : قدم عبد الله بن الحسن - وهو إذا ذاك فتى شاب - على سليمان بن عبد الملك في حوائجه ، فكان يختلف إلى عمر بن عبد العزيز ، يستعين به على سليمان في حوائجه ، فقال له عمر : رأيت أن لا تقف ببابي إلا في الساعة التي ترى أنه يؤذن لك فيها على ، فإني أكره أن تقف ببابي فلا يؤذن لك على ^(٢) . قال : فجاءه ذات يوم فقال : إن أمير المؤمنين قد بلغه أن في العسكر مطعوناً ^(٣) فالحق بأهلك ، فإني أضن بك .

قال : حدثنا ضمرة ، عن العلاء بن هارون ، قال : كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ في منطقته ، لا يتكلم بشيء من الخنا ، فخرج به خراج في إبطه ، فقالوا : أي شيء عسى أن يقول الآن ؟ فقالوا : يا أبا حفص ، أين خرج منك هذا الخراج ؟ قال : في باطن يدي .

قال : حدثني موسى بن رباح قال : بلغني - أو قال : بلغنا - أن عمر جلس إلى ناس ، فنسى السلام ، فذكر أنه لم يسلم ، فقام قائماً ثم سلم عليهم ثم جلس .

(١) خ « عليه » . (٢) جملة « فإني أكره ... » . ناقصة من المختصر . (٣) أي مصاب بالطاعون

قال : حدثني جعفر بن محمد أبى العالية الرياحى قال : سهرت مع عمر بن عبد العزيز ليلة ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما يبقى منك تعب النهار مع سهر الليل ؟ قال : لا تفعل يا أبا العالية ، فإن لقاء الرجال تلقيح لألبابها .

قال : حدثنا عمر بن على ، عن عبد ربه ، عن ميمون بن مهران ، قال : كنت فى سمر عمر بن عبد العزيز ذات ليلة ، فقلت له : يا أمير المؤمنين ما بقاؤك على ما أرى ، أنت بالنهار مشغول فى حوائج الناس ، وبالليل أنت معنا هاهنا ثم الله أعلم بما تخلو به ؟ قال : فعدل عن جوابي . ثم قال : إليك عنى يا ميمون ، فإنى وجدت لقاء الرجال تلقيحاً لألبابهم .

قال : حدثنا أبو خلود ، عن الأوزاعى ، قال : قال عمر لجلسائه : من صحبني منكم فليصحبني بخمس خصال : يدلني من العدل إلى ما لا أهدى له ، ويكون لى على الخير عوناً . ويبلغنى حاجة من لا يستطيع إبلاغها ، ولا يغتاب عندى أحداً ، ويؤدى الأمانة التى حملها منى ومن الناس ، فإذا كان كذلك فحى هلا به ، وإلا فهو خرج من صحبتى والدخول على .

قال : حدثنا مالك بن أنس ، قال : سمعت الزهرى يقول : كان عمر بن عبد العزيز إذا أراد الحمام أمر أن يخلى له ، فلا يدخله غيره ، أو بعض ولده ، أو بعض خدمه حتى يخرج .

قال : حدثنا وهيب أن عمر بن عبد العزيز كان يقول : أحسن بصاحبك - يعنى الظن - ما لم يغلبك .

ما قاله للذى يدعو الله وهو يلعب :

قال : حدثنا المسيب بن واضح ، عن محمد بن الوليد قال : مرّ عمر بن عبد العزيز برجل فى يده حصاة يلعب بها ، وهو يقول : اللهم زوجنى من الحور^(١) العين ، قال : فقام إليه ، فقال : بئس الخاطب أنت ! ألا ألقىيت الحصاة ، وأخلصت إلى الله الدعاء ؟

(١) فى المختصر : « الحوراء » .

ما كان يقرؤه في صلاة الجمعة :

قال : حدثنا الحكم بن عمر الرعيني قال : شهدت عمر بن عبد العزيز يخرج إليه المنبر فيخطب الناس ، ثم ينزل فتقام الصلاة ، وتنصب بين يديه حربة تجاهه ثم يصلي . وسمعتة يقرأ يوم الجمعة سورة الجمعة و : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾ ^(١) لا يعدوها كل جمعة . قال : ورأيت عمر يأتي يوم العيد ماشياً .

الباب الخامس عشر

في ذكر علو همته

نفس عمر تواقة إلى العلى :

قال : حدثني أبو معمر ، عن سفيان قال : قال لى عمر بن عبد العزيز : كانت لى نفس تواقة فكنت لا أنال شيئاً إلا تآقت إلى ما هو أعظم منه ، فلما بلغت نفسى الغاية ، تآقت إلى الآخرة .

قال : حدثني جويرية بن أسماء قال : قال عمر : إن نفسى هذه تواقة ، لم تعط من الدنيا شيئاً إلا تآقت إلى ما هو أفضل منه قال سعيد : الجنة أفض من الخلافة ؟

قال : حدثني شعيب . عن أبى صفوان ، عن محمد بن مروان بن أبان عثمان ، عن من سمع مزاحماً يقول : قلت لعمر بن عبد العزيز : إلاً رأيت ^(٢) فى أهلك خللاً . فقال : يا مزاحم : أما يكفيهم ، أعطيتهم ما يصيبون من المقاسم مع المسلمين من فيعهم مع مال عمر ، فقلت له : وأين يقع ذلك منهم ، مع ما يمنون ، ومع ضيافتهم وكسوتهم نساءهم ؟ وأين يقع ذلك : قد والله خشيت أن تصيبهم مخمصة . فقال لى عمر : إن لى نفساً تواقة . لقد رأيتنى وأنا بالمدينة غلام مع الغلمان ، ثم تآقت نفسى إلى العلم ، إلى العربية والشعر ، فأصبت منه حاجتى ، وما كنت أريد . ثم تآقت نفسى إلى السلطان ،

(١) سورة المنافقون آية : ١ .

(٢) فى المختصر « إنى رأيتك فى أهلك خللاً » .

فاستعملت على المدينة ، ثم تآقت نفسى . وأنا فى السلطان ، إلى اللبس والعيش والطيب فلما علمت أن أحداً من أهل بيتى ، ولا غيرهم ، كان فى مثل ما كنت فيه ثم تآقت نفسى إلى الآخرة والعمل بالعدل ، فأنا أرجو ما تآقت نفسى ليه من أمر آخرتى ، فلست بالذى أهلك آخرتى بدنياهم .

الباب السادس عشر فى ذكر اعتقاده ومذهبه

قال : حدثنى إسماعيل بن يونس قال : نبئت أن عمر بن عبد العزيز قال : من جعل دينه عرضاً للخصومات أكثر التنقل .

قال : حدثنا عبد الرحمن - يعنى ابن مهدي - عن سفيان ، عن جعفر بن برقان ، أن عمر بن عبد العزيز قال لرجل ، وسأله عن الأهواء قال : عليك بدين الصبى الذى فى الكتاب والأعرابى ، واله (١) عما سواهما .

قال ابن مهدي : وحدثنا عبد الله بن المبارك . عن الأوزاعى قال : قال عمر بن عبد العزيز : إذا رأيت قوماً يتناجون فى دينهم بشيء دون العامة ، فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة .

رأيه فى القدرية :

قال : أخبرنى مالك . عن عمه أبى سهيل ، قال : سألتنى عمر بن عبد العزيز عن القدرية . ما ترى فيها ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، استتبههم . فإن تابوا ، وإلا فاعرضهم على السيف . « فقال عمر » (٢) ذلك رأى فىهم قال حدثنا : إسماعيل ابن علية ، عن أبى مخزوم عن سيار قال : قال عمر بن عبد العزيز فى أصحاب القدر : يستتابون ، فإن تابوا ، وإلا نفوا من ديار المسلمين .

قال : حدثنا إسماعيل بن عباس الحمصى ، عن أبى بكر بن عبد الله بن أبى مریم

(٢) من المختصر .

(١) فى المختصر « والى »

الغسانى، عن حكيم بن عمير قال : قال عمر بن عبد العزيز: ينبغي لأهل القدر أن يتقدم إليهم فيما أحدثوا من القدر ، فإن كفوا ، وإلا ألسنتهم استلت من أقفيتهم استللاً .

كتابه إلى عماله بشأنهم :

قال : حدثنا خلاد بن يحيى ، عن سفيان الثورى قال : بلغنى عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى بعض عماله :

« أوصيك بتقوى الله ، والاقتصاد فى أمره ، واتباع سنة رسوله ، وترك ما أحدث المحدثون بعده مما قد جرت سنته وكفوا مؤونته ، واعلم أنه لم يبتدع إنسان قط بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها وعبرة فيها . فعليك بلزوم السنة ، فإنها لك بإذن الله عصمة ، واعلم أن من سن سنة قد علم ما فى خلافها من الخطأ والزلل والتعمق والحمق ، ، فإن السابقين الماضين على علم توقفوا . وببصر ناقد كفوا » .

قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن أبى رجاء الهروى ، عن شهاب بن خراش قال : كتب عمر إلى رجل :

« أما بعد فإنى أوصيك - وذكر مثله وزاد - وهم كانوا على كشف الأمور أقوى ، وما أحدث إلا من اتبع غير سبيلهم ، ورغب بنفسه عنهم . لقد قصر دونهم أقوام فجفوا وطمع^(١) عنهم آخرون فعلوا » .

قال : حدثنا يوسف بن أسباط ، عن سفيان الثورى قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن أرطاة ، وكان عامله على البصرة :

« أما بعد فإذا أتاك كتابى هذا ، فاستتب القدرية مما دخلوا فيه . فإن تابوا فخل سبيلهم ، وإلا فانفهم من ديار المسلمين » .

رسالته إلى نفر كتبوا بالكذب بالقدر :

قال : وهذه رسالة مروية عن عمر بن عبد العزيز فى الأول^(٢) وجدت « أكثر »^(٣) كلماتها لم تضبطها النقلة على الصحة ، فانتقيت منها كلمات صالحة :

(١) فى المختصر « وطمح » . (٢) فى المختصر : « فى الأصول » . (٣) من المختصر .

أخبرنا سليمان بن نفيح القرشي ، عن خلف أبي الفضل القرشي ، عن كتاب عمر بن عبد العزيز إلى نفر كتبوا بالتكذيب بالقدر :

« أما بعد .. »

فقد علمتم أن أهل السنة كانوا يقولون : الاعتصام بالسنة نجاة ، وسينقص العلم نقصاً سريعاً ، ومنه قول عمر بن الخطاب وهو يعظ : إنه لا عذر لأحد عبد الله بعد البينة ، بضلالة ركبها حسبها هدى ، ولا فى هدى تركه حسبه ضلالة . فقد تبينت الأمور ، وثبتت الحجة وانقطع العذر . فمن رغب عن أنباء النبوة وما جاء به الكتاب ، تقطعت من يده أسباب الهدى ، ولم يجد له عصمة ينجو بها من الردى . وبلغكم أنى أقول : إن الله قد علم ما العباد عاملون ، فأنكرتم ذلك ، وقد قال تعالى : ﴿ إنا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون ﴾ ^(١) وقال : ﴿ ولوردوا لعادوا لمانهوا عنه ﴾ ^(٢) وزعمتم فى قول الله : ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ ^(٣) إن المشيئة فى أى ذلك أحببت من ضلال أو هدى ؟ والله يقول : ﴿ وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ ^(٤) فبمشيئته لهم شاؤوا .

وقد حرص إبليس على ضلالتهم جميعاً ، فما ضل منهم إلا من كان فى علم الله ضالاً .

وأنكرتم أن يكون سبق لأحد من الله ضلالة أو هدى ، وأنكم الذين هديتم أنفسكم من دون الله ، وحجرتموها عن المعصية بغير قوة من الله . ومن زعم ذلك منكم . فقد غلا فى القول ، لأنه لو كان شئ لم يسبق فى علم الله وقدره ، لكان لله فى ملكه شريك تنفذ مشيئته فى الخلق دون الله ، والله يقول : ﴿ حجب اليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان ﴾ ^(٥) وسميتم نفاذ حكم الله فى الخلق حيفاً ، وقد جاء الخبر أن الله ، عز وجل ، خلق آدم ، فنشر ذريته بين يديه ، فكتب أهل الجنة وما هم عاملون ، وكتب أهل النار وما هم عاملون . »

(١) سورة الدخان آية : ١٥ . (٢) سورة الأنعام آية : ٢٨ . (٣) سورة الكهف آية : ٢٩ .

(٤) سورة التكوين آية ٢٩ (٥) سورة الحجرات آية ٧

الباب السابع عشر

فى ذكر سيرته وعدله فى رعيته

ما كان يتناقله الناس عند استخلافه :

قال : حدثنا مالك بن دينار قال : لما ولى عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله ، قالت رعاة الشاء فى ذروة الجبال : من هذا الخليفة الصالح الذى قد قام على الناس ؟ فقيل لهم : وما علمكم بذلك ؟ قالوا : إنا إذا قام على الناس خليفة صالح ، كفت الذئاب والأسد عن شائنا .

قال : حدثنى حسن القصبار قال : كنت أحلب الغنم فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، فمررت براع ، وفى غنمه نحو من ثلاثين ذئباً ، فحسبتها كلاباً - ولم أكن رأيت الذئاب قبل ذلك - فقلت : يا راعى ! ما ترجو بهذه الكلاب كلها ؟ فقال : يا بنى : إنها ليست كلاباً ، إنما هى ذئاب . فقلت : سبحان الله ، ذئب فى غنم لا يضرها ؟ فقال : يا بنى ! إذا صلح الرأس ، فليس على الجسد بأس . وكان ذلك فى خلافة عمر بن عبد العزيز .

قال : حدثنا موسى بن أعين قال : كنا نرعى الشاء بكرمان ، فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، فكانت الشاء والذئب ترعى فى مكان والله واحد . فبينما نحن ذات ليلة ، إذ عرض الذئب لشاة ، فقلت : ما نرى الرجل الصالح إلا قد هلك ، قال حماد : فحدثنى هذا أو غيره أنهم حسبوا ، فوجدوه قد مات فى تلك الليلة .

قال : حدثنى بقية بن الوليد ، عن عبد الحميد بن زياد ، عن ميمون بن مهران ، قال : ولأننى عمر بن عبد العزيز على الأرض - وذكره - :

استدراجه إلى الخير :

قال : حدثنى فرات بن سليمان ، عن ميمون بن مهران بن مهران ، أنه عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز قال : يا أبة ! ما يمنعك أن تمضى لما تريد من العدل ؟ فوالله ، ما كنت

أبألى ، لو غلت بى وبك القدور فى ذلك . قال : يا بنى ! إنما أروّض الناس رياضة الصعب
إنى لأريد أن أحىي الأمور من العدل ، فأؤخر ذلك حتى أخرج معه طمعاً من طمع
الدنيا . فينفروا لهذه ويسكنوا لهذه .

قال : حدثنا محمد بن سلمة ، عن هشام بن عبد الملك قال : قال عمر بن عبد
العزيز : ما طاوعنى الناس على ما أردت من الحق ، حتى بسطت لهم من الدنيا شيئاً .

اقتصاده فى مال الأمة :

قال حدثنا عمرو بن ميمون قال : حدثنى أبى قال : ما زلت أنا وعمر بن عبد العزيز
ننظر فى أمور الناس ، حتى قلت : يا أمير المؤمنين ! ما بال هذه الطوامير ^(١) التى تكتب
فيها بالقلم الجليل ، وتمد فيها وهى من بيت مال المسلمين ؟ فكتب إلى العمال أن لا يكتبن
فى طومار ولا يمد فيه ، قال : فكانت كتبه شبراً أو نحو ذلك . قال : إياس بن معاوية بن
قرة : ما شبهت عمر بن عبد العزيز إلا برجل صناع ، حسن الصنعة ، ليس له أداة يعمل
بها ، يعنى لا يجد من يعينه .

قال : حدثنا محمد بن سعد قال : قال إدريس بن قادم قال عمر لميمون بن مهران :
كيف لى بأعوان على هذا الأمر أثق بهم وآمنهم ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! لا تشغل قلبك
بهذا ، فإنك سوق ، وإنما يحمل إلى كل سوق ما ينفق فيها ، فإذا عُرِف أن الإنفاق عندك
الصحيح ، لم يأتوك إلا بالصحيح .

قال : حدثنا عبد الله بن يونس ، عن سيار أبى الحكم قال : كان عمر بن عبد العزيز
يقول : أيها الناس : الحقوا ببلادكم ، فإنى أذكركم هناك ، وأنساكم عندى إلا من ظلمه
الأمير ، فليس عليه إذن ليأتى .

قال : حدثنى عبد العزيز ، عن عبيد الله بن عمر بن عبد الملك بن عبيد الله بن عاصم
نحال عمر بن عبد العزيز ، أنه قال : قدمنا على عمر بن عبد العزيز ، حين استخلف ،
و: إيه الناس من كل مكان ، قال : فجلس على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

(١) طوامير : ج طومار : الصحيفة .

« أما بعد ، أيها الناس ! فالحقوا ببلاذكم ، فإننى أنساكم هاهنا ، وأذكركم فى بلادكم وإننى قد استعملت عليكم عمالاً ، لا أقول هم خياركم ، فمن ظلمه عامل بمظلمة ، فلا إذن له على إلا ولا أرينه . وإيم الله لئن كنت منعت نفسى وأهل بيتى هذا المال ، ثم ضننت به عليكم إنى إذن لضنين ، والله لولا أن أنعش سنة ، وأسير بحق ما أحببت أن أعيش فواقاً ^(١) . »

ما كتب فى المحابس :

قال : حدثنا محمد بن سعد قال : قال عبد الله بن أبى هلال : كتب عمر بن عبد العزيز فى المحابس : « لا يقيد أحد بنقيد يمنع من تمام الصلاة » .

قال : حدثنى الأوزاعى قال : نقش رجل على خاتم عمر بن عبد العزيز ، فحبسه خمس عشرة ليلة ، ثم خلى سبيله .

كتابه إلى أهل الموسم :

قال : حدثنا عمرو بن عثمان قال : حدثنا خالد بن زيد ، عن جعونة قال : كتب عمر ابن عبد العزيز إلى أهل الموسم :

« أما بعد ، فإننى أشهد الله ، وأبرأ إليه فى الشهر الحرام ، والبلد الحرام ، ويوم الحج الأكبر ، أنى برى من ظلم من ظلمكم وعدوان من اعتدى عليكم ، أن أكون أمرت بذلك أو رضيت ، أو تعمدته ، إلا أن يكون وهماً منى ، وأمرأ خفى على لم أتعمده ، وأرجو أن يكون ذلك موضوعاً عني ، مغفوراً لى ، إذا علم منى الحرص والاجتهاد . ألا وإنه لا إذن على مظلوم دونى ، وأنا معول كل مظلوم ألا وأى عامل من عمالى رغب عن الحق ، ولم يعمل بالكتاب والسنة ، فلا طاعة له عليكم ، وقد صيرت أمره إليكم حتى يراجع الحق وهو ذميم ، ألا وإنه لا دولة بيسر أغنيائكم ، ولا أثر على فقرائكم فى شىء من فيثكم . ألا وأيما وارد فى أمر يصلح الله به ، خاصة أو عامة ، فله ما بين مائة دينار إلى ثلاثمائة دينار على قدر ما نوى ^(٢) من الحسبة ، وتجشم من المشقة ، فرحم الله امرأ لم يتعاضمه سفر يحيى الله به حقاً لمن وراءه ، ولولا وأمر من الباطل أماتها الله عنكم ، فلا تحمدوا غيره ،

(١) سبق هذا قريباً . (٢) فى المختصر : (نرى)

ولو وكلني إلى نفسي كنت كغيري ، والسلام عليكم » .

قال : حدثنا عبد الله الرقاشي ، عن جعفر بن سليمان ، عن أسماء بن عبيد قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى صاحب الحجاز : أن مُرْ قاصُّك أن يقص على ثلاثة أيام مرة - أو قال قاصكم - .

قال : حدثنا عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : عرضني رسول الله ﷺ في القتال يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة . فلم يجزني ، فلما كان يوم الخندق عرضني . وأنا ابن خمس عشرة ، فأجازني .

قال نافع ، فقدمت على عمر بن عبد العزيز ، وهو يومئذ خليفة ، فحدثته بهذا الحديث أن هذا الحد بين الكبير والصغير .

فكتب إلى عماله أن يفرضوا لابن خمس عشرة سنة ، ويلحقوا من دون ذلك في العيال .

عدله بين الخصوم :

قال : حدثنا الحكم بن عمر الرعيني قال : شهدت مسلمة بن عبد الملك يخاصم أهل دير إسحاق عند عمر بن عبد العزيز بالناعورة .

فقال عمر لمسلمة : لا تجلس على الوسائد وخصماؤك بين يدي ، ولكن وكل بخصومتك من شئت ، وإلا فجأني القوم بين يدي . فوكل مولى له بخصومته ، فقضى عليه بالناعورة .

قال : حدثنا مالك أن عمر ، لما ولي الخلافة ، جاءه الناس ، فلما رأوه لا يعطيهم إلا ما يعطى العامة ، تفرقوا عنه ، ثم قرّب إليه العلماء الذين ارتضاهم .

قال : حدثني مالك أن عمر بن عبد العزيز ، حين ولي جاءه الناس ، فلم يقبل إلا رجلاً فيه خير وتقوى ، فكلّم في صديق له ، فقال : تركناه كما تركنا الخز والموشى .

قال : حدثنا موسى بن المغيرة ، قال : سمعت رياح بن عبيدة الباهلي قال : كنت عند

عمر بن عبد العزيز ، فجاء أعرابي فقال : يا أمير المؤمنين ! جاءت بى اليك الحاجة (١) ، وانتهت بى الفاقة ، - أو قال الغاية - والله سائلك عنى يوم القيامة ، فقال : ويحك ، أعد على فأعاد عليه ، فنكس عمر رأسه ، وأرسل دموعه حتى ابتلت الأرض ، ثم رفع رأسه وقال : ويحك ! كم أنتم ؟ قال : أنا وثمان بنات . ففرض له على ثلاثمائة ، وفرض للبنات - أو قال لبناته - على مائة ، وأعطاه مائة درهم ، وقال هذه المائة أعطيتك من مالى ، ليس من مال المسلمين ، اذهب فاستنفقها حتى تخرج أعطيات المسلمين فتأخذ معهم .

إرساله المرشدين ليفقهوا الناس فى البادية :

قال : حدثنا نعيم بن حماد ، عن ضمرة بن ربيعة ، عن عبد الحكيم بن سليمان ، عن ابن أبي غيلان قال : بعث عمر بن عبد العزيز يزيد بن أبى مالك الدمشقى والحارث بن يمجدة الأشعرى يفقهان الناس فى البدو وأجرى عليهما رزقاً . فأما يزيد فقبل ، وأما الحارث فأبى أن يقبل ، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز بذلك . فكتب عمر : إنا لا نعلم بما صنع يزيد بأساً ، وأكثر الله فينا مثل الحارث بن يمجدة .

قال : حدثنا سليمان أن عمر بن عبد العزيز كان كثيراً ما يردد هذا القول : « ما يرد على نفسى من نفس إن أنا قتلتها ، فلو كان لى نفسان فأغدر (٢) بإحداهما وأمسك الأخرى » .

الرجوع إلى الحق خير من التماذى فى الباطل :

قال : حدثنا مسلم بن زياد قال : سألت فاطمة بنت عبد الملك عمر بن عبد العزيز أن يجرى عليها خاصة . فقال لها : لا لك فى مالى سعة . قالت : فلم أنت كنت تأخذ منهم ؟ قال : كانت المهنة لى ، والإثم والتبعة عليهم ، أما إذا وليت فلا أفعل ذلك فيكون إثمه على .

قال : حدثنى فياض بن محمد الرقى ، عن عبيدة بن حسان السنجارى أن رجلاً من أهل أذربيجان أتى عمر بن عبد العزيز ، فقام بين يديه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أذكر بمقامى هذا مقاماً لا يشغل الله عنك فيه كثرة من يخاصم من الخلائق ، يوم تلقاه بلا ثقة من

(١) تقدم فيما سبق . (٢) كذا فى المختصر .

العمل ، ولا براءة من الذنب . قال : فبكى بكاء شديداً ، ثم قال : ويحك ، اردد عليّ كلامك هذا . فجعل يردده عليه وعمر يبكي وينتحب . ثم قال : ما حاجتك ؟ قال . إن عامل أذربيجان عدا عليّ فأخذ مني اثني عشر ألف درهم ، فجعلها في بيت مال المسلمين فقال عمر : اكتبوا له الساعة ، إلى عاملها حتى يرده إليه . أو عليه .

قال : حدثني رياح بن حيان . وكان على المدينة . قال : ما قدم علينا يريد لعمر بن عبد العزيز بالشام إلا بإحياء سنة ، أو قسم مال ، أو أمر فيه خير .

قال : وعن مالك ، عن يحيى بن سعيد . وربيعة بن أبي عبد الرحمن ، قالوا : كان عمر بن عبد العزيز يقول : ما من طينة أهون على فئنا ، ولا من كتاب أيسر على من كتاب قضيت به ، ثم أبصرت أن الحق في غيره ففتتها .

قال : حدثني يعقوب ، أراه عن أبيه ، قال : أذن عمر بن عبد العزيز لزياد بن أبي زياد . والأمويون هناك ينتظرون الدخول عليه . قال هشام : أما رضى ابن عبد العزيز أن يصنع ما يصنع حتى أذن لعبد ابن عباس أن يتخطى رقابنا . فقال الفرزدق في هذا :

يا أيها القارئ المقضى حاجته هذا زمانك إنى قد خلا زمنى

وعن يعقوب ، عن أبيه قال ، دخل على هذا زمانك إنى قد خلا زمنى من أهل الشام شيخ جليل ، فقال يا أمير المؤمنين : إنى دخلت مصر مع مروان . وغزوت دير الجماجم ، وغزوة كذا ، وغزوة كذا ، فتأمر لى بشيء فقال : اجلس أيها الشيخ . ويشور غلام من الأنصار فقال : يا أمير المؤمنين أنا فلان ابن فلان ، أبى ممن شهد العقبة ، وشهد بدرأ وأحدأ . حتى ذكر مغازى . فقال عمر : أين الشيخ الذى ذكر ما ذكر ؟

قال : فجئى الشيخ على ركبتيه . أو قام . فقال : ها هوذا أنا يا أمير المؤمنين ، قال : هذه المكارم لا ما تعده أيها الشيخ منذ اليوم .

تلك المكارم لا قعبان من لبن شييا بماء فصارا بعد أبوالا^(١)

خذلوا حاجة الفتى .

(١) شييا : من الشوب : خلطا .

الأكباد الجائعة أولى بالصدقات من البيت الحرام :

قال : حدثني ميسر بن أبي الفرات ، قال : كتبت الحجة إلى عمر بن عبد العزيز يأمر للبيت بكسوة ، كما كان يفعل من كان قبله ، فكتب إليهم : إني رأيت أن أجعل ذلك في أكباد جائعة ، فإنه أولى بذلك من البيت .

قال : حدثني الليث بن يحيى بن مسعد ، وغيره أن عمر بن عبد العزيز قدم عليه بعض أهل المدينة ، فجعل يسأله عن أهل المدينة ، فقال : ما فعل المساكين الذين كانوا يجلسون في مكان كذا وكذا ؟ قال : قد قاموا منه يا أمير المؤمنين وأغناهم الله . وكان من أولئك المساكين من يبيع الخبط للمسافرين فالتمس ذلك منهم بعد ، فقالوا : قد أغنانا الله عن بيعه بما يعطينا عمر .

قال : حدثني ابن زيد ، عمر بن عبد العزيز سنتين ونصفاً - ثلاثين شهراً - لا والله مات عمر بن عبد العزيز حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم ، فيقول : اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء ، فما يرح حتى يرجع بماله ، قد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس .

منذ كم لعنتم فرعون ؟

قال : حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني قال : حدثني أبي . عن جدي قال : بلغني أن ناساً من الحرورية جمعوا بناحية من الموصل ، فكتبت إلى عمر بن عبد العزيز أعلمه بذلك ، فكتب إلي يأمرني أن أرسل إلى منهم رجالاً من أهل الجدل ، وأعطهم رهناً وخذ منهم رهناً ، واحملهم على مراكب البريد إلى ففعلت ذلك ، فقدموا عليه ، فلم يدع لهم حجة إلا كسرهما ، فقالوا : لسنا نجيبك حتى تكفر أهل بيتك ، وتلعنهم وتبترأ عنهم فقال عمر : إنه لا يسعكم في دينكم إلا الصدق . منذ كم دنتم الله بهذا الدين ؟ قالوا : منذ كذا سنة . قال : فهل لعنتم فرعون وتبرأتم منه ؟ قالوا : لا قال : فكيف وسعكم تركه ؟ ألا يسعني ترك أهل بيتي وقد كان فيهم المحسن والمسيء ، والمصيب والمخطئ ؟ قالوا : قد بلغنا ما هاهنا فكتب إلي عمر : أن خذ من في أيديهم من رهنك ، يعني ودع من في يدك من رهنهم ، وإن كان رأى القوم أن يسيحوا في البلاد ، على غير فساد على أهل الذمة ، ولا تناول أحد من الأمة ، فليذهبوا حيث شاؤوا ، وإن هم تناولوا أحداً من المسلمين وأهل الذمة ، فحاكمهم إلى الله .

كتابه إلى الحرية :

. وكتب إليهم :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

من عبد الله : عمر بن عبد العزيز ، أمير المؤمنين ، إلى العصابة الذين خرجوا « أما بعد ، فإنني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو » ^(١) أما بعد ، فإن الله يقول : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ - إلى قوله - .
﴿ بالمهتدين ﴾ ^(٢) وإنني أذكركم الله أن تفعلوا كفعل كبرائكم : ﴿ الذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط ﴾ ^(٣) . أبذنبى تخرجون من دينكم ، وتسفكون الدماء وتنتهكون المحارم ؟ ولو كانت ذنوب ، فقد كانت آباؤكم فى جماعتهم ، فلم ينزعوا « فما ينزعكم » ^(٤) على المسلمين وأنتم بضعة وأربعون رجلاً ، وإنني أقسم لكم بالله ، لو كنتم أبكارى من ولدى ، فوليتم عما أدعوكم إليه من الحق ، لدقت دماءكم ألتمس بذلك وجه الله والدار الآخرة . فهذا النصح ، فإن استغششتمونى فقدima ^(٥) ما استغش الناصحون » .

. كتابه إلى يحيى بن يحيى :

فأبوا إلا القتال وحلقوا رءوسهم وساروا إلى يحيى بن يحيى . فأتاهم كتاب عمر ، ويحيى بن يحيى بين مواقعهم للقتال :

« من عبد الله : عمر ، أمير المؤمنين ، إلى يحيى بن يحيى . أما بعد ، فإنني ذكرت آية فى كتاب الله : ﴿ ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾ ^(٦) . وإن من العدوان : قتل النساء والصبيان ، فلا تقتلن امرأة ولا صبياً ، ولا تقتلن أسيراً ، ولا تطلبن هارباً ، ولا تجهزن على جريح ، إن شاء الله » .

(١) من المختصر . (٢) سورة النحل آية : ١٢٥ (٣) سورة الأنفال آية : ٤٧ (٤) من المختصر .

(٥) فى المختصر « تقديم » (٦) سورة البقرة آية : ١٩٠ سورة المائدة آية : ٨٧

قال : حدثنا محمد بن الحسين وعبيد الله بن أبي سلمة ، قال : صلى عمر بن عبد العزيز ذات ليلة ، فلما ذهب ليدخل ، أتاه هاتف به . يا أمير المؤمنين ! فقال عمر ، وأقبل عليه أظنه مذعوراً ، فقال : ويحك ! ما شأنك ؟ أتغدر على حجابي ؟ - أو قال اذن - فقال لا يا أمير المؤمنين ، ولكنى قدمت الساعة ، وجئتك مبادراً . قال : مبادراً ماذا ؟ قال : أن تسبقنى بنفسك . قال : ولم ؟ قال لأننى رأيت اللجنة سريعة الذهاب . فجلس عمر ثم قال : حاجتك ؟ قال : فقال الرجل : يا أمير المؤمنين اذكر بمقامى هذا مقاماً لا يشغل الله عنك فيه كثرة من تخصم إليه من الخلائق يوم القيامة بلا ثقة من العمل ، ولا براءة من الذنب ، فبكى ثم قال : أعد ، فأعاد . قال : ما حاجتك ؟ فأخبره بحاجته .

قال : حدثنا سعيد بن عامر ، عن غيلان بن ميسرة ^(١) أن رجلاً أتى عمر بن عبد العزيز فقال : زرعت زرعاً فمرّ به جيش من أهل الشام فأفسده . فعوضه منه عشرة آلاف درهم . قال : حدثنا زياد بن أنعم الألهاني ، عن عمر بن عبد العزيز أنه أتى إليه بسارق ، فشكا إليه الحاجة ، فعذره وأمر له بنحو عشرة دراهم .

رفق عمر بالحيوان :

قال : حدثنا يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية ، عن أبي عثمان الثقفى . قال : كان لعمر بن عبد العزيز غلام على بغل له يأتيه بدرهم كل يوم ، فجاءه يوماً بدرهم ونصف . فقال : ما بدا لك . قال : نفقت السوق ، قال : لا ، ولكنك أتعبت البغل ، أجمه ^(٢) ثلاثة أيام .

قال : حدثنا زياد بن مخراق قال : سمعت عمر بن عبد العزيز ، وهو يخطب الناس ، يقول : لولا سنة أحييها ، أو بدعة أميتها ، لما باليت أن لا أعيش فواقاً . ^(٣)

قال : حدثنا الحسن بن أحمد بن أبي شعيب الحراني ، قال : سمعت جدى : أبا شعيب عبد الله بن مسلم ، عن أبيه ، قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، وعنده كاتب يكتب ، قال : وشمعة تزهو ، وهو ينظر فى أمور المسلمين ، قال : فخرج الرجل ، فأطفئت الشمعة وجيء بسراج إلى عمر ، فدنوت منه ، فرأيت عليه قميصاً فيه رقعة قد

(١) فى المختصر : « يسرة » . (٢) أجم : كره . (٣) سبق فيما تقدم

طبق ما بين كتفيه ، قال : فنظر في أمرى .

قال : حدثنا عمرو بن مهاجر أن عمر بن عبد العزيز كانت له الشمعة ما كان حوائج المسلمين ، فإذا فرغ من حوائجهم أطفأها ، ثم أسرج عليه سراجَه .

قال : حدثني عبد الحميد بن شيبه أن عمر بن عبد العزيز أتى برجل قال لرجل : يالوطى « فضربه تسع عشرة . فلما كان من الغد ، سأل ^(١) ثم ضربه ثمانين ، وحاسبه بالتسعة عشر » .

قال : حدثنا حسين بن وردان قال : مر عمر بن عبد العزيز بحمام عليه صورة ، فأمر بها فطمست وحكت . ثم قال : لو علمت من عمل هذا لأوجعته ضرباً .

ما كان مكتوباً على فلوس عمر بن عبد العزيز :

قال : حدثنا جرير ، عن المختار بن فلفل ، قال : ضربت لعمر فلوس ، فكتب عليها : « أمر عمر بالوفاء » . فقال : اكسروها واكتبوا : « أمر الله بالوفاء والعدل »

قال : حدثنا إسماعيل ، عن عمرو بن مهاجر الأنصارى ، قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز أتى بعنبرة عظيمة ، فوضعت بين يديه ، فقام رجل فنادى بأعلى صوته : أنا بالله وبك يا أمير المؤمنين ، مرتين ، فقال على بالرجل .

قال : ما شأنك ؟ قال : عنبرتى ، يا أمير المؤمنين . قال : وما شأنها : قال : بعثتها من سليمان بن عبد الملك بسبعة آلاف درهم ، وهى خير من ثمانية عشر ألف درهم ، قال : ويحك ! أخافوك ؟

قال : لا قال : أكرهوك ؟ قال : لا قال : أغضبوك ؟ قال : لا . قال : فماذا ؟ قال : عنبرتى ، يا أمير المؤمنين . قال : تأخر ، فلا حق لك ، وأنا وددت أن لا أبيع شيئاً ولا أبتاعه إلا بطيحت صاحبه - يعنى أخذته برخص - .

(١) أى سأل العلماء عن الحكم الشرعى فى المسألة .

الباب الثامن عشر

فى ملاحظته لعماله ومكاتبته إياهم فى القيام بالعدل

قال : أخبرنى : عبد الرحمن بن زيد ، عن أبيه ، قال : ما طلع كتاب عمر بن عبد العزيز من الثمبة إلا بإحدى ثلاث : إحياء سنة ، وإماتة بدعة ، وقسم يقسمه بين المسلمين .
قال : حدثنا عمرو بن ميمون قال : حدثنى أبى قال : كتب عمر إلى العمال أن لا تكتبن فى طومار بقلم جليل ولا تمدن فيه (١) .

جوابه على كتاب عمرو بن حزم :

قال : حدثنى محمد بن حمزة قال : حدثنا الثقة أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبى بكر « بن محمد » بن عمرو بن حزم :

« أما بعد فإنك كتبت إلى سليمان كتباً لم ينظر فيها حتى قبض ، رحمه الله ، وقد بليت بجوابك . فاستمع : كتبت إلى سليمان تذكر أنه يقطع لعمال المدينة من بيت مال المسلمين لثمن شمع كانوا يستضيئون به حين يخرجون إلى صلاة العشاء وصلاة الفجر ، وتذكر أنه قد نفذ الذى كان يستضاء به ، وتساءل أن يقطع لك من ثمنه بمثل ما كان للعمال ، وقد عهدت لك ، وأنت تخرج من بيتك فى الليلة المظلمة الماطرة الوحلة بغير سراج ، ولعمري ، لأنك يومئذ خير منك اليوم . والسلام » .

قال : حدثنا حفص بن عمر قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبى بكر بن عمرو ابن حزم :

« أما بعد ، فقد قرأت كتابك ، الذى كتبت به إلى سليمان بن عبد الملك ، وكنت المبتلى بالنظر فيه دوله . كتبت تسأله أن يقطع لك من الشمع ، مثل الذى كان يقطع لمن قبلك . وتذكر أن الشمع الذى قبلك قد نفذ . ولعمري قد طالما رأيتك تخرج من منزلك

(١) سبق هذا الخبر .

إلى مسجد رسول الله ﷺ ، فى الليلة المظلمة الوحلة بغير ضياء ، ولعمري لأنت يومئذ خير منك اليوم . والسلام عليك . وكتبت تسأله أن يقطع لك شيئاً من القراطيس ، مثل الذى كان يقطع قبلك ، فأدق قلمك ، وقارب بين سطورك ، واجمع حوائجك ، فإني أكره أن أخرج من أموال المسلمين ما لا ينتفعون به والسلام .

كتاب أبى بكر بن حزم إلى عمر وجوابه عليه :

قال : حدثنا جويرية بن أسماء قال : كتب أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم إلى عمر بن عبد العزيز - وكان عامله على المدينة .

« سلام عليك . أما بعد ، فإن أشياخاً^(١) من الأنصار قد بلغوا أسناناً ولم يبلغوا الشرف من العطاء ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يبلغ بهم الشرف من العطاء فليفعل . »

وكتب إليه صحيفة أخرى :

« سلام عليك . أما بعد ، فإن من كان قبلى من أمراء المدينة يُجرى عليهم برزق فى شمه فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لى برزق فى شمه ، فليفعل . »

وكتب إليه فى صحيفة أخرى :

« سلام عليك . أما بعد ، فإن بنى عدى بن النجار ، أخوال رسول الله ﷺ ، انهدم مسجدهم ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لهم ببناؤه ، فليفعل . »

قال : فأجابه عن هؤلاء الصحائف الثلاث بجواب واحد فى صحيفة واحدة :

« سلام عليك . أما بعد ، جاءنى كتابك تذكر أن أشياخاً من الأنصار قد بلغوا أسناناً ، ولم يبلغوا الشرف من العطاء ، وإنما الشرف شرف الآخرة ، فلا أعرفن ما كتبت به إلى فى نحو هذا . »

وجاءنى كتابك تذكر أن من كان قبلك من أمراء المدينة كان يجرى عليهم رزق من شمة ، ولعمري ، يابن أم حزم ، لطالماً مشيت إلى مسجد رسول الله ﷺ ، فى الظلمة ، لا

(١) كذا فى المختصر هنا وفيما يأتى .

يمشى بين يديك بالسمع ، ولا يوجف خلفك أبناء المهاجرين والأنصار ، فارض لنفسك اليوم ما كنت ترضى به قبل اليوم .

وجاءنى كتابك أن بنى عدى بن النجار ، أخوال رسول الله ﷺ انهدم مسجدهم ، وقد كنت أحب أن أخرج من الدنيا لم أضع حجراً على حجر ، ولا لبنة على لبنة ، فإذا أتاك كتابى هذا فابنه لهم بلبن ، بناء قاصداً والسلام عليك » .

قال : حدثنا محمد بن سعد قال : قال إبراهيم بن جعفر ، عن أبيه : رأيت أبا بكر بن عمرو بن حزم يعمل بالليل كعمله بالنهار ، لاستحثاث عمر إياه .

ترجيحه التحقيق العادل على التحقيق الصارم :

قال : حدثنا الثقة أن عدى بن أرطاة كتب إلى عمر بن عبد العزيز :

« من عدى بن أرطاة . أما بعد ، أصلح الله أمير المؤمنين ، فإن قبلى أناساً من العمال قد اقتطعوا من مال الله عز وجل مالا عظيماً ، لست أرجو استخراجه من أيديهم إلا أن أمسهم بشيء من العذاب ، فإن رأى أمير المؤمنين أصلحه الله أن يأذن لى فى ذلك ، أفعل » .

قال : فأجابه :

« أما بعد ، فالعجب كل العجب من استئذائك إياى فى عذاب بشر ، كأن لك جنة ^(٢) من عذاب الله ، وكأنى رضائى عنك ينجليك من سخط الله عز وجل ، فانظر من قامت عليه بينة عدول ، فخذ بهما قامت عليه به البينة ، ومن أقر لك بشيء فخذ بهما أقر به ، ومن أنكر فاستحلفه بالله العظيم ، وخلّ سبيله ، وإيم الله لأن يلقوا الله عز وجل بخياناتهم أحب إلى من أن ألقى الله بدمائهم . والسلام » .

قال : حدثنا العكلى ، عن عبد الله بن أبى خالد ، عن الهيثم بن عدى ، قال : كتب

(١) فى المختصر : « أقدر على » . (٢) جنة : سترأ .

عدى بن أرطاة إلى عمر بن عبد العزيز :

« أما بعد ، فإن قبلى ناساً من العمال قد اقتطعوا من مال الله مالا عظيماً ، لست أقدر على استخراجهم من أيديهم إلا أن يمسه شئ من العذاب ، فإن ير أمير المؤمنين أن يأذن لى فى ذلك ، أفعل » .

فكتب إليه عمر :

« أما بعد ، فالعجب كل العجب من استئذانك إياى فى عذاب بشر ، كأن لك جنة من عذاب الله ، وكأن رضائى ينجيك من سخط الله ، فانظر فمن قامت عليه البينة فخذها بما قامت عليه به ، ومن أقر لك بشئ فخذها بما أقر به ، ومن أنكر فاستحلفه بالله ، وخل سبيله ، فوالله لأن يلقوا الله عز وجل بخياناتهم أحب إلى من أن ألقى الله بدمائهم » .

قال : حدثنا يزيد بن مزيد أنه قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد :

« قد جاءنى كتابك تذكر أن قبلك قوماً من العمال قد اختانوا مالا فهو عندهم ، وتستأذنى فى أن أبسط عليهم ، فالعجب منك فى استئمارى إياى فى عذاب بشر ، كأنى جنة لهم ، وكأن رضائى ينجيك من سخط الله ، فإذا جاءك كتابى هذا فانظر من أقر منهم بشئ فخذها بالذى أقر به على نفسه ، ومن أنكر فاستحلفه وخل سبيله ، فلعمرى لأن يلقوا الله بخياناتهم ، أحب إلى من أن ألقاه بدمائهم . والسلام » .

قال : حدثنا اسماعيل بن عياش قال : كتب بعض عمال عمر إليه : « إنك قد أضرت بيت المال » . أو نحوه . قال :

فقال عمر : « أعط ما فيه ، فإذا لم يبق فيه شئ ، فاملأه زبلاً »

قال : حدثنا جويرة بن أسماء قال : قال عمر بن عبد العزيز : « قرّة عين الملوك فى استفاضة الأمن فى البلاد . وظهر مودة الرعية لهم وحسن ثنائهم عليهم ^(١) »

(١) فى المختصر : « وخشن ثيابهم عليهم » .

أنا حجيج المسلمين في أموالهم :

قال : حدثنا يحيى بن حسان ، عن نعيم بن ميسرة النحوى ، عن عنبسة بن غصن قال كان وهب بن منبه على بيت مال اليمن : فكتب إلى عمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنه : « إني فقدت من بيت مال المسلمين ديناراً » . قال : فكتب إليه :

« إني لا أتهم دينك ولا أمانتك ، ولكن أتهم تضييعك وتفريطك . وأنا حجيج المسلمين في أموالهم ، ولأخسهم عليك أن تحلف . والسلام » .

قال : حدثنا أشهب ، عن مالك قال : لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إليه بعض ولاته :

« إن الناس ، لما سمعوا بولايتك ، تسارعوا إلى أداء الزكاة ، زكاة الفطر ، فقد اجتمع من ذلك شيء كثير . ولم أحب أن أحدث فيها شيئاً حتى تكتب إلى برأيك » . فكتب إليه عمر :

« لعمرى ، ما وجدوني وإياك على ما ظنوا ، وما حسبك إيها إلى اليوم . فأخرجها حين تنظر في كتابي » .

لا حاجة لي برجل صبغ يده بدماء المسلمين :

قال : حدثنا عبد الرحمن بن حسن الزرقى ، عن أبيه قال : كان الجراح بن عبد الله ، عامل عمر بن عبد العزيز على خرسان كلها - حربها وصلاتها ومالها - قال : فكتب إليه عمر : « إنه بلغنى أنك استعملت عبد الله بن الأهتم ، وأن الله لم يبارك لعبد الله بن الأهتم فى العمل فاعزله وإنه على ذلك لذو قرابة لأمير المؤمنين ، وبلغنى أنك استعملت عمارة ، ولا حاجة لي بعمارة ، ولا بضرب عمارة ، ولا برجل قد صبغ يده فى دماء المسلمين ، فاعزله » .

قال : حدثنى إبراهيم بن زيد أن عمر بن عبد العزيز خرج على حلقة من حرسه - وقد نهاهم قبل ذلك أن يقفوا له (١) إذا خرج عليهم - فوسعوا له ، فجاس . فقال : أيكم

(١) فى المختصر : « أن يقوموا له » .

يعرف الرجل الذى بعثناه إلى مصر ؟ قالوا : كلنا نعرفه . قال : فليذهب إليه أحدثكم سنأ فليدعه . قال : وذلك فى يوم الجمعة - فذهب اليه الرجل ، فظن الرسول أن عمر بن عبد العزيز قد استبطأه ، فقال له : لاتعجلنى حتى أشد على ثيابى . فشده عليه ثيابه . فأتى عمر فقال : لا روع عليك ، إن اليوم يوم الجمعة ، فلا تبرح حتى تصلى الجمعة . وقد بعثناك لأمر عجلة من أمر المسلمين ، فلا يحملنك استعجالنا إياك أن تؤخر الصلاة عن ميقاتها ، فإنك لا محالة مصليها ، فإن الله قال لقوم أضاعوا الصلاة ، واتبعوا الشهوات . ﴿ فسوف يلقون غيا ﴾ . ولم تكن إضاعتهم أن تركوها ، ولكن أضاعوا المواقيت .

توزيع صدقات الأغنياء على الفقراء :

قال : حدثنا يحيى بن حمزة ، عن زيد بن وafd ، أن ابن جحذم حدثه أن عمر بن عبد العزيز بعثه على صدقات بنى تغلب ، وكان عهد إليه أن يقبضها ثم يردها على فقرائهم ، قال : فكتب :

« آتى الحى وأدعوهم بأموالهم ، فأقبض ما كان فيهم ، ثم أدع فقرائهم وأقسمها فيهم حتى إنه ليصيب الرجل الفريضتين أو الثلاث ، فما أفارق الحى وفيهم فقير ، ثم آتى الحى الآخر فأصنع بهم كذلك ، فما أنصرف إليه بدرهم » .

قال : حدثنا خالد بن حسين ، عن الأوزاعى ، عن سليمان بن حبيب المحربى - وكان قاضياً لعمر بن عبد العزيز - قال : كتب إلى عمر بن عبد العزيز أن أجز للأسير ما صنع فى ماله ، فهو ماله يفعل به ما يشاء . قال حنبل ، وحدثنا الهيثم بن خارجة قال : أخبرنا شهاب ابن خراش ، عن الفضل بن سويد قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن أرطاة .

« أما بعد ، فإنه بلغنى أن قوماً إذا رفعت طساس من بين أيدهم قبل أن تمتلى ، وذلك من زى الأعاجم أخذوه ، فإذا أتاك كتابى هذا فلا ترفعوا طستاً حتى يمتلى أو يفرغ من آخر القوم » .

قال : حدثنا ضمرة ، عن الوليد بن راشد قال : زاد عمر الناس فى أعطياتهم عشرة عشرة : العربى والمولى سواء .

قال : الغلابي ، عن ابن عائشة قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامل له :
« اتق الله ، فإن التقوى هي التي لا يقبل غيرها ، ولا يرحم إلا أهلها ، ولا يثاب إلا عليها ، وأن الواعظين بها كثير ، والعاملين بها قليل » .

نهيه عماله عن صنائع الحجاج :

قال : حدثنا محمد بن حمزة قال : حدثنا الثقة أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عدى ابن أرطاة :

« أما بعد ، فإنني كتبت إليك بكتب كثيرة أرجو بذلك الخير من الله تعالى ، والثواب عليه ، وأنهاك فيها عن أمور الحجاج بن يوسف ، وأرغب عنها وعن اقتدائك بها ، فإن الحجاج كان بلاء وافق خطيئة قوم بأعمالهم ، فبلغ الله ، عز وجل ، في مدته ما أحب من ذلك ، (ثم انقطع ذلك) ^(١) وأقبلت عافية الله ، عز وجل ، فلو لم يكن ذلك إلا يوماً واحداً ، أو جمعة واحدة ، كان ذلك عطاء من الله ، عز وجل ، ونهيتهك عن فعله في الصلاة ، فإنه كان يؤخرها تأخيراً لا يحل له ، ونهيتهك عن فعله في الزكاة ، فإنه كان يأخذها في غير حقها ثم يسيء مواقعها ^(٢) فاجتنب ذلك منه ، واحذر العمل به ، فإن الله عز وجل ، قد أراح منه ، وطهر العباد والبلاد من شره ، والسلام » .

قال : حدثنا عمرو بن عثمان ، قال : حدثنا أبي ، قال : سمعت جدي . قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن أرطاة :

« بلغني أنك تستن بسنن الحجاج ، فلا تستن بسننه ، فإنه ذلك أضيع » .

قال : حدثنا مبشر بن أبي الفرات قال : كنت عاملاً لعمر بن عبد العزيز ، فكنت أختتم على بيادر أهل الدمة ، فجاءني كتاب عمر بن عبد العزيز أن لا تفعل ، فإنه بلغني أنها كانت من صنائع الحجاج ، وأنا أكره أن أتأسى به .

قال : حدثنا أبو إسحاق الفزاري ، عن الأوزاعي أن أبا مسلم ، لما خرج في بعث المسلمين ، رده عمر بن عبد العزيز من دابق ، وقال : ليس بمثله يستعين المسلمون في قتال

(١) من المختصر . (٢) في المختصر : « مواضعها » .

عدوهم . وكان عطاؤه ألفين ، فرده عمر إلى ثلاثين . فرجع من دابق إلى طرابلس ، لأنه كان سيفاً للحجاج ، وكان ثقيفاً .

وقال : حدثنا خالد بن يزيد ، عن جمونه ، قال : استعمل عمر عاملاً ، فبلغه أنه عمل الحجاج ، فعزله . فأتاه يعتذر إليه ، فقال : لم أعمل له إلا قليلاً .

قال : حسبك من صحبة شري يوم أو بعض يوم . قال : حدثنا عبد الله بن رجاء عن هشام بن حسان ، قال : قال عمر : لو أن الأمم تخابثت يوم القيامة ، فأخرجت كل أمة نعيميها ، ثم أخرجنا الحجاج لغلبناهم .

ما أعجب عمر من الحجاج :

قال : حدثنا « ... عن إبراهيم بن هشام قال حدثني »^(١) أبي ، عن جدي قال - يعني عمر بن عبد العزيز - :

ما حسدت الحجاج ، عدو الله ، على شيء حسدى إياه على حبه القرآن ، وإعطائه أمته ، وقوله حين حضرته الوفاة : اللهم اغفر لي فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل .

قال : حدثنا عبد العزيز ، عن محمد بن المنكدر ، قال : كان عمر بن عبد العزيز يفتن الحجاج ، وكان ينفس عليه بكلمة تكلم بها عند موته : اللهم اغفر لي ، فإنهم زعموا أنك لا تفعل .

قال : عباد بن إسحاق ، عن الزهري قال : قال عمر بن عبد العزيز :

لو أن الأمم تخابثت ، فجاءوا بأخبثها رجلاً ، وجئنا بالحجاج ، لظننا أننا سنغلبهم ، وإنني أظن كلمة تنجيه عندي ، قوله عند الموت : رب اغفر لي فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل .

لهي عمر عن سب الظالم :

قال : حدثني رياح بن عبيدة قال : كنت قاعداً عند عمر بن عبد العزيز ، فذكر الحجاج ، فشتمته ، ووقعت فيه .

(١) ابن الجوزي .

فقال عمر : مهلاً يا رياح ، إنه بلغنى أن الرجل ليظلم ، فلا يزال المظلوم يشتتم الظالم ويتنقصه ، حتى يستوفى حقه ، ويكون للظالم الفضل عليه .

قال : حدثنا على بن مسعدة - وذكره - .

قال : حدثنا ضمرة ، عن الريان بن مسلم قال : بعث عمر بن عبد العزيز بآل أبي عقيل ، أهل بيت الحجاج ، إلى صاحب اليم وكتب إليه :

« أما بعد ، فإننى قد بعثت اليكم بآل أبي عقيل ، وهم شريفة من العرب ، ففرقتهم فى عملك على قدر هوانهم على الله . وعلينا وعليك السلام » . وإنما نفاهم .

حصن مدينتك بالعدل :

قال : حدثنا محمد بن عيسى ، عن عبد العزيز . قال كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إليه : « أما بعد ، فإن مدينتنا قد خربت ، فإن يرى أمير المؤمنين أن يقطع لنا مالاً نرمتها به فعل » .

فكتب له عمر : « أما بعد ؛ فقد فهمت كتابك ، وما ذكرت أن مدينتكم قد خربت . فإذا قرأت كتابي هذا فحصنها بالعدل . ونق طرقها من الظلم فإنه مرمتها . والسلام » .

قال : حدثنا الأوزاعي قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى خزان بيوت الأموال : إذا أتاكم الضعيف بالدينار لا ينفق عنه ، فأبدلوه من بيت المال .

قال : حدثنا عبيد الله بن يزيد بن أبي مسلم الثقفى أن أباه خرج فى بعض الصائفة (١) على ديوانه .

قال : وخرجت معه ، فلما كان ممرج اللاج لقيه كتاب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز : أن انصرف من حيث يلقات كتاب أمير المؤمنين ، فإن الله لا ينصر جيشاً أنت فيهم .

(١) الصائفة : الغزو فى فصل الصيف وكانوا يستحبون الغزو فيه .

الجزء الرابع

قال : حدثنا ضمرة ، عن ابن شوذب ، قال : كتب صالح بن عبد الرحمن وصاحب له - وكانا قد ولاهما عمر شيئاً من أمر العراق - يعرضان له أن الناس لا يصلحهم إلا السيف . فكتب إليهما :

« خبيثين من الخبيث ، رديين من الرديء تعرضان لى بدماء المسلمين ؟ ما أحد من الناس إلا ودماء كما أهون على من دمه » .

كتاب عمر إلى بعض الأجناد :

قال : أخبرنا إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة الأنصاري أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى بعض الأجناد :

« أما بعد ، فإنى أوصيك بتقوى الله ولزوم طاعته ، والتمسك بأمره ، والمعاهدة على ما حملك الله : عز وجل من دينه ، وأستحفظك من كتابه ، فإن بتقوى الله ، عز وجل ، نجاء أولياء الله ، عز وجل ، من سخطه ، وبها تحقق لهم ولايته ، وبها رافقوا أنبياءه ، وبها نضرت وجوههم ونظروا إلى خالقهم ، وهى عصمة فى الدنيا من الفتن ، والمخرج من كرب يوم القيامة . ولن يقبل ممن بقى إلا مثل ما رضى به عن من مضى ، ولن بقى عبرة فيمن مضى ، وسنة الله ، عز وجل فيهم واحدة بادر بنفسك قبل أن يؤخذ بكظملك ، ويخلص إليك كما خلص إلى من كان قبلك . فقد رأيت الناس كيف يموتون وكيف يتفرقون ، ورأيت الموت كيف يعجل لتائب توبته ، وذا الأهل أهله ، وذا السلطان سلطانه ، وكفى بالموت موعظة بالغة ، وشاغلا عن الدنيا ، ومرغباً فى الآخرة . فنعوذ بالله عز وجل ، من شر الموت وما بعده ، ونسأل الله تعالى خيره . لا تطلبن شيئاً من عرض الدنيا ، بقول ولا فعل ، تخاف أن يضر بآخرتك ، ويضرى بدينك ، ويمقتك عليه ربك .

واعلم أن القدر سيجرى إليك برزقك ، ويوافيك أكلك من دنياك غير مزيد فيه بحول منك ولا قوة ، ولا منقوص منه بضعف . إن ابتلاك الله بفقر فتعفف في فقرك . واعتبر بما قسم الله عز وجل ، لك من الإسلام ، وما زوى ^(١) عنك من نعمة دنياك ، فإن في الإسلام خلفاً من الذهب والفضة ، والدنيا الفانية .

واعلم أنه لن يضر عبداً صار إلى رضوان الله ، عز وجل ، وإلى الجنة ما أصابه في الدنيا من فقر وبلاء . وأنه لن ينفع عبداً صار إلى سخط الله ، عز وجل ، وإلى النار ، ما أصاب في الدنيا من نعمة ورخاء ، ما يجد أهل الجنة مس مكروه أصابهم في الدنيا ، وما يجد أهل النار طعم لذة نعموا بها في دنياهم . كأن سائر ذلك لم يكن . فمن كان راعياً في الجنة أو هارباً من النار ، فالآن في هذه الأيام الخالية ، والتوبة مقبولة ، والذنوب مغفورة قبل نفاد الأجل ، وانقضاء المدة ^(٢) ، وفراغ من الله عز وجل للثقلين ^(٣) ليدينهم بأعمالهم في موطن لا تقبل فيه الفدية ولا تنفع فيه الحيلة . تبرز فيه الخفيات ، ويطل فيه الشفاعات ، يرده الناس جميعاً بأعمالهم ، وينصرفون منه أثباتاً إلى منازلهم . فطوبى يومئذ لمن أطاع الله ، عز وجل ، وويل يومئذ لمن عصى الله عز وجل ، فإن ابتلاك الله بالغنى فاقتصد في غناك ، وضع لله نفسك ، وأدّ لله عز وجل ، فرائض حقه من مالك ، وقل عند ذلك ما قال العبد الصالح :

﴿ هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم ﴾ ^(٤) . وإياك أن تفخر بطولك وأن تعجب بنفسك ، أو يخيل إليك أن ما رزقته لكرامتك على ربك ، عز وجل ، وتفضيله إياك على غيرك ممن لم يرزق مثل غناك فإذا أنت أخطأت باب الشكر ، ونزلت منازل أهل الفقر ، وكنت ممن أطغاه الغنى ، وتعجل طباته في الدنيا ، فإنني أعظك بهذا ، وإنني لكثير الإسراف على نفسي ، غير محكم لكثير من أمري ، ولو أن المرء لا يعظ أخاه حتى يحكم نفسه ، ويعمل في الذي خلق له من عبادة ربه ، عز وجل ، إذن لتواكل كل الناس الخير ، وإذن لرفع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإذن لاستحلت المحارم ، وقل الواعظون والساعون لله ،

(٣) في المختصر : « للمتقين » .

(٢) في المختصر : « العمر » .

(١) زوى : قبض وجمع .

(٤) سورة لنمل آية : ٤٠

عز وجل « النصيحة في الأرض » .

قال : حدثنا كدير بن سليمان أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله عبد الله بن عوف على فلسطين أن : اركب ^(١) إلى بيت يقال له : المكس ، فاهدمه ، ثم احمله إلى البحر ، فانسفه في اليم نسفاً .

امتحان الذين يريد توليتهم :

قال : حدثنا ابن عائشة ، عن جويرية بن أسماء قال : لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة ، وفد عليه بلال بن أبي بردة فهنأه فقال : من كانت الخلافة يا أمير المؤمنين شرفته فقد شرفتها ، ومن كانت زلته فقد زنتها ، وأنت ، والله ، كما قال مالك بن أسماء .

وتزيدين طيب الطيب طيباً إن تمسسيه أين مثلك أبنا ؟

وإذا الدر زان حسن وجوه كان الدر حسن وجهك زينا !

فجزاه عمر خيراً . ولزم بلال المسجد يصلي ، ويقر ليلة ونهاره ، فهم عمر أن يوليه العراق ، ثم قال : هذا رجل له فضل ، فدس إليه ثقة له ، فقال له : إن عملت لك في ولاية في العراق ما تعطيني ؟ فمن له مالا جليلاً . فأخبر بذلك عمر ، فنفاه وأخرجه . وقال : يا أهل العراق إن صاحبكم أعطى مقولا ^(٢) ولم يعط معقولا ، وزادت بلاغته ونقصت زهادته .

قال : حدثنا عكرمة بن عمار قال : سمعت كانت عمر بن عبد العزيز يقول : « أما بعد فأمر أهل العلم أن ينتشروا في مساجدهم ، فإن السنة كانت قد أميتت » .

قال : حدثنا يحيى بن يمان قال : بلغني أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله : « أما بعد فالزم الحق ، ينزلك الحق منازل أهل الحق ، يوم لا يقضى بين الناس إلا بالحق ، وهم لا يظلمون » .

وقال يحيى بن يمان : وكتب عمر إلى عامل له : (أما بعد ، فلتجف يداك من دماء المسلمين ، وبطنك من أموالهم ، ولسانك من أعراضهم . فإذا فعلت ذلك فليس عليك

(١) في المختصر : « إذا ركب »

(٢) في المختصر : « متقولا » .

سبيل : ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ ﴾ (١) الآية .

قال حدثنا إسحاق بن عبد الملك قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل مكة : (لا تدع أهل مكة يأخذوا على بيوت مكة أجراً فإنه لا يحل لهم) .
لا قليل من الإثم :

قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن محمد بن طلحة ، عن داود بن سليمان الجعفي ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن : « سلام عليك . فإن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة ، وجور في أحكامهم ، وسنن خبيثة سننها عليهم عمال السوء ، وإن أقوم الدين العدل والإحسان ، فلا يكونن شيء أهم إليك من نفسك ، أن توطنها لطاعة الله ، فإنه لا قليل من الإثم » .

قال : حدثنا أبو أسامة ، عن جرير ، قال : قرأت كتاب عمر بن عبد العزيز إلى عدي : « واعلم أن أحداً لا يستطيع إنفاذ قضايها ما بين الناس حتى لا يبقى منها شيء ، لا بد من أن تسأجر قضايها ليوم الحساب » .

لا تجمع للمسلمين إلا الحلال الطيب :

قال : حدثنا يعقوب بن سفيان قال : قلت ليزيد بن عبد ربه : حدثكم بقية ، عن ابن أبي مريم ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى والي حمص :

« انظر إلى القوم الذين نصبوا أنفسهم للفق ، وحبسوها في المسجد عن طلب العلم ، فأعط كل منهم مائة دينار ، يستعينون بها على ما هم عليه من بيت مال المسلمين ، حين يأتيك كتابي هذا ، وإن خير الخير أعجله . والسلام عليك » .

قال : فكان عمر بن قيس ، وأسد بن وداعة فيمن أخذها ؟

فقال يزيد بن عبد ربه : نعم .

قال بقية ، عن زرعة بن عبد الله الزبيدي ، عن عبد الله بن كريب (٢) قال : كتب عامل إفريقيا إلى عمر بن عبد العزيز ، يشكو إليه الهوام والعقارب فكتب إليه .

(١) سورة الشورى آية ٤٢ (٢) المختصر : « كرين » .

« وما على أحدكم إذا أمسى وأصبح أن يقول : ﴿ وما لنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون ﴾ (١) .

قال : زرعة وهي تنفع من البراغيث . قال نصر بن عدى (٢) : كتب ميمون بن مهران إلى عمر بن عبد العزيز يستعفيه من الخراج فكتب إليه عمر : « يا بن مهران إنى لم أكلفك بغياً فى حكمك ، ولا فى جبايتك ، فاجب ما جبيت من الحلال . ولا تجمع للمسلمين إلا الحلال الطيب » .

أنت يا أمير المؤمنين الأم التى فرشت فأنامت :

قال : حدثنا عبد الرحمن بن حسن (٣) عن أبيه ، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الجراح بن عبد الله .

« أما بعد ؛ فإنه بلغنى أنك كتبت لخداد بن يزيد الملهب ، ولآل الملهب ، أمّا فرشت فأنامت » .

فكتب إليه الجراح :

« أما بعد ؛ يا أمير المؤمنين ، فإنك كتبت إلى فى عهدك أن لا أوثق أحداً من خلق الله وثاقاً يمنع صلاة ، ولا أبسط على أحد من خلق الله عذاباً . فأنت يا أمير المؤمنين الأم التى فرشت - أو قال الذى فرشت فأنامت - لخداد بن يزيد ، ولآل الملهب ، ولجميع رعيتك » .

قال : فدعا مخلداً فقال : إن شئت أن تقيم عندنا ، على حالك التى أنت عليها ، وإن شئت أن ألحقك بأمر المؤمنين ولا أراه إلا خيراً لك . قال : فألحقنى بأمر المؤمنين . قال : فدفعه إليه ، فأطلقه عمر بن عبد العزيز .

قال : وكتب إليه :

« إنه بلغنى أنك قد استعملت عبد الله بن الأهم ، وأن الله عز وجل ، لم يبارك لعبد الله ، ولا لأهل بيته فى العمل . فإذا أتاك كتابى فاعزله ، وإنه مع ذلك لذو قرابة لأمر المؤمنين . وبلغنى أنك استعملت عمارة الطويل ، فإنه لا حاجة لى بعمارة ، ولا بضرب عمارة ، ولا برجل غمس يده فى دماء المسلمين ، فإذا أتاك كتابى هذا فاعزله . وبلغنى

- (٢) سورة إبراهيم آية : ١٢ (٢) المختصر : « عربى » . (٣) المختصر : « الحسن » .

أنك استعملت السيال بن المنذر، وإنى لا أدرى ما سيالك هذا .

قال : فكتب إليه :

« إن قد جاءنى كتابك فى عبد الله ، وإنى أستعمله ، يا أمير المؤمنين ، فأجزأ ثغره ، وهابه عدوه ، وحمد أهل عمله ، ولم يكن جزاؤه العزل . وكتبت إلى فى عمارة ، إنه رجل شام الحورية ثم رجع عن ذلك أحسن رجوع ، وتاب منه أحسن توبة . قال : واعتذر إليه فى السيال بشىء آخر فعذره . »

قال : عن أيوب بن موسى ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عروة ، عامله على اليمن :

« أما بعد فإنى أكتب إليك آمرك أن ترد على المسلمين مظالمهم ، وتراجعنى وأنت تعرف بعد مسافة ما بينى وبينك ، ولا تعرف أخذات الموت ، حتى لو كتبت إليك اردد على مسلم مظلمة لكتبت إلى أردھا عفراء أو سوداء . انظر أن ترد على المسلمين مظالمهم ولا تراجعنى . »

قال أيوب بن موسى : وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله : أن عاقبوا الناس على قدر ذنوبهم ، وإن بلغ ذلك سوطاً واحداً . وإياكم أن تبلغوا حداً من حدود الله .

كيف أصلحت الموصل ؟

قال : عن ابن يحيى الغسانى ، قال : حدثنى ، عن جدى قال :

لما ولانى عمر بن عبد العزيز الموصل قدمتها ، فوجدتها من أكثر البلاد سرقة ونقبة . فكتبت إلى عمر أعلمه حال البلد ، وأسأله أخذ الناس بالظنة ، وأضربهم على التهمة ، أو آخذهم بالبينة وما جرت عليه السنة ، فكتب إلى أن خذ الناس بالبينة وما جرت عليه السنة ، فإن لم يصلحهم الحق . فلا أصلحهم الله .

فقال يحيى : ففعلت ذلك ، فما خرجت من الموصل حتى كانت من أصلح البلاد وأقلها سرقة ونقبة .

قال : حدثنا الأوزاعى قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عروة بن

محمد عامله على اليمن :

« انظر من قبلك من بنى فلان ، فأقصهم عنك ، ولا تشرّكهم فى شيء من عملك ، فإنه بمس أهل البيت كانوا » .

قال الشيخ : قد سبق ذكر هذا مفسراً ، وأنهم أهل بيت الحجاج (١) .

قال : حدثنا جعفر قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أمير الجزيرة . فكان فيما كتب إليه :

« وكن لمن ولاك الله أمره : ناصحاً فيما تعيب عليهم من أمورهم ، ساتراً لما استطعت من عوراتهم ، إلا شيئاً أبداه (٢) الله لا يصلح ستره . وتمسك نفسك عنهم إذا غضبت وإذا رضيت ، حتى يكون ذلك فيما بينك وبينهم مستوياً حسناً جميلاً . لا تبتغين لحق أديته إليهم ، ولا لخبر سددتهم له منهم حظاً ولا مدحة ، وليكن ذاك لمن لا يعطى الخير إلا هو ، ولا يصرف السوء إلا هو . واغتنم كل يوم وليلة مضت عليك وأنت سالم » .

قال : حدثنا حسين بن على ، عن عمر الدمشقى قال : « بلغ » عمر بن عبد العزيز عن جند له شيء فكتب إليهم :

« لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً » .

كفى بالقدر حاجزاً وبالأمل حارساً :

قال : حدثنا الحكم بن عمير الرعنى قال : عمر يقول لحراسه :

« إن بى عنكم لغنى ، كفى بالقدر حاجزاً وبالأجل حارساً ، ولا أطرحكم من مراتبكم ، من أقام منكم فله عشرة دنانير ، ومن شاء فليلحق بأهله » .

وكان لعمر ثلاثمائة شرطى وثلاثمائة حرسى .

وكتب إلى عمر عامل من عماله يشكو قلة القراطيس فأجابه عمر : « أدق قلمك ،

(١) تقدم فيما سبق . (٢) فى المختصر : « أبده » .

وأقل كلامك تكثفى بما قبلك من القراطيس .

قال : وشهدت رسالة عمر خرجت إلى أهل الأمصار ^(١) :

« لا يركب نصرانى سرجاً ، ولا يلبس قباء ولا طيلساناً ، ولا سراويل ذات خدمة ، ولا يمشين بغير زنا من جلد ، ولا يمش إلا مفروق الناصية ، ولا يوجد فى بيت نصرانى سلاح إلا أخذ » ^(٢) .

قال : حدثنى هارون بن محمد ^(٣) البربرى أن عمر بن عبد العزيز استعمل ميمون بن مهران على الجزيرة ، على قضائها وعلى خراجها ، فكتب إليه ميمون يستعفونه وقال : كلفتنى ما لا أطيق ، أقضى بين الناس وأنا شيخ كبير ضعيف رقيق فكتب إليه :

« أجب الخراج الطيب ، واقض ما استبان لك ، وإذا التبس عليك أمر فارفعه إلى ، فإن الناس ، لو كانوا إذا كثر عليهم شىء تركوه ، ما قام لهم دين ولا دنيا » .

قلة الخراج بكثرة الداخلين فى الإسلام :

قال : حدثنا جابر بن حنظلة الضبى قال : كتب عدى بن أرطاة إلى عمر بن عبد العزيز :

« أما بعد ؛ فإن الناس قد كثروا فى الإسلام . وخفت أن يقل الخراج » .
فكتب إليه عمر :

« فهمت كتابك ، والله لوددت أن الناس كلهم أسلموا حتى نكون أنا وأنت حراثين نأكل من كسب أيدينا » .

قال : حدثنا أبو عبد الله بن درست ، يرفعه إلى عبد الوهاب بن الورد قال : بلغنا أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عماله : إياكم أن تستعملوا على شىء من أعمالنا إلا أهل القرآن ، فكتبوا إليه : يا أمير المؤمنين ، إنا استعملنا أهل القرآن فوجدناهم خونة . فكتب

(١) فى المختصر : « خرجت إلى الديوان إلى أقضاء الشام » .

(٢) هذه أوامر كان لها ما يبررها فيما سبق وإلا فإن الإسلام ورسول الإسلام يوصيان بأهل الذمة ومن نقض لهما عهداً لا يرح راحة الجنة . (٣) فى المختصر : « أبى محمد » .

لهم : إياكم أن يبلغني عنكم أنكم استعملتم على شيء من أعمالنا إلا أهل القرآن » (١) فإنه لم يكن عند أهل القرآن خير فغيرهم أخرى بأن لا يكون عندهم خير.

تخويفه عماله من عقاب الله :

قال : حدثنا الفضل بن الربيع قال : سمعت فضيل بن عياض يقول : بلغني أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكوا إليه ، فكتب إليه عمر :

« يا أخى ؛ أذكرك طول سهر أهل النار فى النار مع خلود الأبد . وإياك أن ينصرف بك من عند الله ، فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء ».

فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر فقال له : ما أقدمك ؟ قال خلعت قلبي بكتابك . لا أعود إلى ولاية أبداً حتى ألقى الله تعالى .

قال : حدثنا مخلد بن الحسن ، عن الأوزاعي ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله أن فادوا بأسارى المسلمين ، وإن أحاط ذلك بجميع مالهم .

قال : حدثنا أبو منصور بن عبد العزيز العكبرى ، عن ابن شهاب ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله : « أما بعد ؛ فاتق الله فيمن وليت أمره ، ولا تأمن مكره فى تأخير عقوبته ، فإنه إنما يجعل بالعقوبة من يخاف الفوت . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ».

قال : حدثنا عيسى بن سليمان ؛ عن ضمرة ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله :

« أما بعد ؛ فإذا دعيتك قدرتك على الناس إلى ظلمهم ، فاذكر قدرة الله عليك ، فى نفاذ ما يأتى اليهم وبقاء ما يؤتى إليك » .

قال : حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن أرطاة ، وكان قد استخلفه على البصرة :

(١) من المختصر .

«أما بعد ، فإنك غررتني بعمامتك السوداء ، ومجالستك القراء ، وإرسالك العمامة من ورائك ، وإنك أظهرت لي الخير فأحسننت بك الظن . وقد أظهر الله ما كنتم تكتُمون . والسلام .»

ثناؤه على الحسن البصري :

قال : حدثنا عبد الملك بن بزيع قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة :
«أما بعد ؛ فإنك لن تزال تعني إلى رجلاً من المسلمين ، في الحر والبرد يسألني عن السنة ، كأنك إنما تعظني بذلك . وإيم الله لحسبك بالحسن^(١) فإذا أتاك كتابي هذا فسل الحسن لي ولك وللمسلمين فرحم الله الحسن ، فإنه من الإسلام بمنزل ومكان . ولا تقرئنه كتابي هذا .»

نهيهِ عن النبيذ :

قال : حدثنا الصعق بن حزن قال : شهدت قراءة كتاب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة بالبصرة :

«أما بعد ؛ فإنه قد كان في الناس من هذا الشراب أمر ساءت فيه رعايتهم ، وغشوا فيه أموراً انتهكوها عند ذهاب عقولهم ، وسفه أحلامهم بلغت بهم الدم الحرام ، والفرج الحرام ، والمال الحرام . وقد أصبح جلّ من يصيب من ذلك الشراب يقول : شربنا شراباً لا بأس به ، ولعمري إن ما حمل على هذه الأمور ، وضاع الحرام لبأس شديد ، وقد جعل الله عنه مندوحة وسعة من أشربة كثيرة طيبة ، ليس في الأنفس منها جائحة : الماء العذب الفرات ، واللبن والعسل والسويق . فمن انتبذ نبيذاً فلا ينبذه إلاّ في أسقية الأدم التي لا زفت فيها . وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ نهى عن نبيذ الحر والدباء والظروب المزفة . وكان يقال : كل مسكر حرام . فاستغنوا بما أحل الله عن ما حرم ، فإننا من وجدناه يشرب من هذه ، بعدما تقدمنا إليه ، أوجعناه عقوبة شديدة ومن استخفى ، فالله أشدّ تنكيلاً ، وقد أردت بكتابي هذا اتخاذ الحجة عليكم اليوم وفيما بعد اليوم ، أسأل الله أن يزيد

(١) يقصد الحسن البصري .

المهتدى منا ومنكم هدى ، وأن يراجع بالمسئء منا ومنكم التوبة فى يسر (١) وعافية .
والسلام .

قال : حدثنا الأوزاعى قال : كتب عمر إلى عماله :

« اجتنبوا الأشغال عند حضور الصلوات ، فمن أضعافها فهو ، لما سواها من شرائع الإسلام ، أشد تضییعاً »

قال : حدثنى الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعى ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى ابن أوطاة :

« أما بعد ؛ فإنى أذكرك ليلة تمخض بالساعة ، فصباحها القيامة : يا لها من ليلة ، ويا له من صباح ، كان على الكافرين عسيراً » .

قال : حدثنا الفضل بن العباس الحلبي قال : قال بشر بن الحارث : كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله :

« اعمل للدنيا على قدر مقامك فيها . واعمل للآخرة على قدر مقامك فيها »

خطأ الوالى فى العفو خير من تعديه فى العقوبة :

قال : حدثنا الليث بن سعد ، عن معاوية بن صالح ، عن أبى عقبة ، أن عمر بن عبد العزيز قال :

« ادعوا الحدود ما استطعتم فى كل شبهة ، فإن الوالى ، إذا أخطأ فى العفو ، خير من أن يتعدى فى العقوبة » .

قال : حدثنا ابن عيسى ، عن أبى بكر بن أبى مریم ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى والى حمص أن مر لأهل الصلاح من بيت المال بما يغنيهم ، لئلا يشغلهم شىء عن تلاوة القرآن وما حملوا من الأحاديث . قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله :

(١) فى المختصر : « عن يسر » .

« أما بعد ؛ فإذا أمكنك القدرة من ظلم العباد ، فاذكر قدرة الله عليك ، وذهب ما تأتى إليهم . واعلم أنك ما تأتى إليهم أمراً إلا كان زائلاً عنهم باقياً عليك . وأن الله تعالى أخذ للمظلوم من الظالم ، فمهما ظلمت من أجد فلا تظلمن من لا ينتصر عليك إلا بالله ، عز وجل » .

قال : حدثنا سفيان ، عن جعفر بن برقان ، قال : كتب إلينا عمر بن عبد العزيز : « أما بعد : فإن هذا الرجف شيء يعاتب الله تعالى به العباد . وقد كتبت إلى الأمصار أن يخرجوا يوم كذا وكذا ، فمن عنده شيء فليصدق به ، فإن الله تعالى يقول ﴿ قد أفلح من تزكى ﴾ وذكر اسم ربه فصلی ﴿ ^(١) .

وقولوا كما قال أبوكم آدم عليه السلام : ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ ^(٢) وقولوا كما قال يونس : ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ ^(٣) .

إن منزلتين أحسنهما الكذب لمنزلتنا سوء :

قال : حدثنا أبو المليح ، عن ميمون ، قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، وعنده عامله على الكوفة ، فإذا هو متغيظ عليه . فقلت : ما له يا أمير المؤمنين ؟ قال : بلغني أنه قال : لا أجد شاهد زور إلا قطعت لسانه . قال : فقلت : يا أمير المؤمنين : إنه لم يكن بفاعل . قال : فقال : انظروا إلى هذا الشيخ ، إن منزلتين ، أحسنهما الكذب ، لمنزلتنا سوء .

الباب التاسع عشر

في ذكر رده المظالم

قال : حدثنا محمد بن راشد عن سليمان - يعني ابن موسى - أنه بلغه أن قوماً من الأعراب خاصموا إلى عمر بن عبد العزيز قوماً من بني مروان ، في أرض كانت الأعراب

(١) سورة الأعلى الآيتان : ١٤ - ١٥ . (٢) سورة الأعراف آية : ٢٣ . (٣) سورة الأنبياء آية : ٨٧ .

أحيوها ، فأخذها الوليد بن عبد الملك ، فأعطها أهله ، فقال عمر بن عبد العزيز : قال رسول الله ﷺ « البلاد بلاد الله ، والعباد عباد الله ، من أحيأ أرضاً ميتة فهي له » فردّها على الأعراب.

ابن عمر يعظ عمر :

قال : حدثني سهل بن يحيى المروزي : أخبرني ، عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال : لما دفن عمر سليمان ، صعد إلى المنبر فقال : « إني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي فاختراروا لأنفسكم » فصاح الناس صيحة واحدة : قد اخترناك ، فنزل فدخل فأمر بالسور فهتكت ، والثياب التي كانت تبسط للخلفاء فحملت ، وأمر ببيعها وإدخالها - أو قال إدخال ثمنها - بيت المال ، ثم ذهب يتبوأ مقيلاً ، فقال ابنه عبد الملك : تقيل ولا ترد المظالم ... قال : من لك أن تعيش إلى الظهر ؟ فخرج ولم يقل ، فأمر مناديه أن ينادي : ألا من كانت له مظلمة فليرفعها . فقام إليه رجل ذمي من أهل حمص ، أبيض الرأس واللحية فقال : يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله ، قال : وما ذاك ؟ قال : العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي - والعباس جالس - فقال ! ما تقول ؟ قال : أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك ، وكتب لي بها سجلاً ، فقال : ما تقول يا ذمي ؟ قال : يا أمير المؤمنين : أسألك كتاب الله عز وجل . فقال عمر : كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد ابن عبد الملك ، أردد عليه يا عباس بيته ، من المظالم إلّا ردها ، مظلمة مظلمة .

قال : حدثنا أبو المليلح : عن ميمون - يعني ابن مهران - قال : بعث إلى عمر بن عبد العزيز ، وإلى مكحول ، وإلى أبي قلابة ، فقال : ما ترون في هذه الأموال التي أخذت من الناس ظلماً ؟ فقال مكحول : يومئذ قولاً ضعيفاً كرهه قال : أرى أن تستأنف . فنظر إلى عمر كالمستغيث بي فقلت : يا أمير المؤمنين ! ابعث إلى عبد الملك فأحضره ، فإنه ليس بدون من رأيت . قال : يا حارث ! ادع لي عبد الملك . فلما دخل عليه قال : يا عبد الملك ما ترى في هذه الأموال التي أخذت من الناس ظلماً قد حضروا يطلبونها وقد عرفنا مواضعها ؟ قال : أرى أن تردّها ، فإن لم تفعل ، كنت شريكاً في أخذها .

قال : حدثنا هشام بن حسان قال : قال عمر بن عبد العزيز : أروح إلى الصلاة ، فأصعد المنبر فأرد ما أصبنا من أموال المسلمين على رؤوس الناس . فقال ابنه عبد الملك :

ومن لك أن تعيش إلى الصلاة ؟ قال : فمه ؟

قال : الساعة . فخرج ، ونودى فى الناس الصلاة جامعة فصعد المنبر ، فردده على الناس .

قال : حدثنا سعيد بن عامر ، عن حليم ، قال : كنا عند عمر بن عبد العزيز ، فلما تفرقنا نادى مناد بالصلاة جامعة . قال : فجمت المسجد ، فإذا عمر على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أما بعد ؛ فإن هؤلاء أعطونا عطايا ما كان ينبغي لنا أن نأخذها ، وما كان لهم أن يعطوناها . وإني قد رأيت ذلك ليس على فيه دون الله محاسب ، وإنى قد بدأت بنفسى وأهل بيتى . اقرأ يا مزاحم » فجعل مزاحم يقرأ كتاباً كتباً ، ثم يأخذه عمر ويده الجلم^(١) يقصه حتى نودى بالظهر .

قال : حدثنا على بن عبد الله قال : دخل عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز على أبيه وهو فى قائلته ، فأيقظه وقال : ما يؤمنك أن تؤتى فى منامك وقد رفعت إليك مظالم لم تقض حق الله فيها ؟ قال : يا بنى إن نفسى مطيتى ، إن لم أرفق بها لم تبلغنى . إني لو أتعبت نفسى وأعوانى ، لم يك ذلك إلا قليلاً ، حتى أسقط ويسقطوا ، وإني لأحتسب فى نومتى من الأجر مثل الذى أحتسب فى يقظتى . إن الله ، جل ثناؤه ، لو أراد أن ينزل القرآن جملة لأنزله ، ولكنه أنزل الآية والآيتين ، حتى استكن الإيمان فى قلبهم . ثم قال : يا بنى : أما مما أنا فيه أمر هو أهم إلى من أهل بيتك ، هم أهل العدة والعدد ، وقبلهم ما قبلهم ، فلو جمعت ذلك فى يوم واحد خشيت انتشاره على ، ولكنى أنصف من الرجل والاثنين فيبلغ ذلك من وراءه فيكون أنجع له . فإن يرد الله تمام هذا الأمر أتمه ، وإن تكن الأخرى فحسب عبد أن يعلم الله أنه يحب أن ينصف جميع رعيته .

إما أن تردى حليك إلى بيت المال وإما أن تأذنى لى فى فراقك :

قال : حدثنا الفرات بن السائب : أن عمر بن عبد العزيز قال لامرأته فاطمة بنت عبد الملك - وكان عندها جوهر أمر لها به أبوها ، لم ير مثله - : اختارى ، إما أن تردى حليك

(١) الجلم : المقرض يقصد : المقص .

إلى بيت المال ، وإما أن تأذن لي في فراقك ؟ فإني أكره أن أكون أنا وأنت في بيت واحد . قالت : لا بل اختارك يا أمير المؤمنين عليه ، وعلى أضعافه لو كان لي . فأمر به ، فحمل حتى وضع في بيت مال المسلمين ، فلما هلك عمر واستخلف يزيد قال لفاطمة : إن شئت رددته عليك ؟ قالت : فإني لا أشأؤه ، طبت عنه نفساً في حياة عمر وأرجع فيه بعد موته ؟ لا والله أدباً فلما رأى ذلك قسمه بين أهله وولده .

بين الابن وأبيه :

قال : حدثنا سعيد ، عن جويرية ، عن اسماعيل بن أبي حكيم ، قال : كنا عند عمر ابن عبد العزيز حتى تفرق الناس ، ففزعنا فرعاً شديداً مخافة أن يكون قد جاء فتق من وجه من الوجوه أو حدث حدث . قال جويرية : وإنما كان أنه دعا مزاحماً فقال : يا مزاحم إن هؤلاء القوم قد أعطونا عطايا ، والله ما كان لهم أن يعطوناها ، وما كان لنا أن نقبلها ، وإن ذلك قد صار إلى ، ليس على فيه دون الله محاسب ، فقال له مزاحم : يا أمير المؤمنين : هل تدري كم ولدك ؟ هم كذا وكذا . قال : فذرفت عيناه ، فجعل يستدمع ويقول : أكلهم إلى الله . قال : ثم انطلق مزاحم من وجهه ذلك ، حتى استأذن على عبد الملك ، فأذن له . وقد اضطجع للقائلة . فقال له عبد الملك : ما جاء بك يا مزاحم هذه الساعة ؟ هل حدث حدث ؟ قال : نعم ، أشد الحدث عليك وعلى بني أبيك . قال : وما ذاك ؟ قال : دعاني أمير المؤمنين - فذكر له ما قال عمر - فقال عبد الملك : فما قلت له ؟ قال : قلت له : يا أمير المؤمنين ؛ أتدري كم ولدك ؟ هم كذا وكذا ؟ قال فما قال لك ؟ قال : جعل يستدمع ، ويقول : أكلهم إلى الله تعالى . قال عبد الملك : بشس وزير الدين أنت يا مزاحم ! ثم وثب فانطلق إلى باب أبيه عمر ، فاستأذن عليه ، فقال له الآذن : إن أمير المؤمنين قد وضع رأسه للقائلة . قال : استأذن لي . فقال له الآذن : أما ترحمونه ؟ ليس له من الليل والنهار إلا هذه الوقعة . قال عبد الملك : استأذن لي لا أم لك ! فسمع عمر الكلام ، فقال : من هذا ؟ قال هذا عبد الملك . قال : ائذن له فدخل عليه وقد اضطجع عمر للقائلة ، فقال : ما حاجتك يا بني في هذه الساعة ؟ قال : حديث حدثني مزاحم . قال : فأين وقع رأيك من ذلك ؟ قال : وقع رأيي على إنفاذه . قال : فرفع عمر يديه ، ثم قال : الحمد لله الذي جعل لي من ذريتي من يبينني على أمر ديني نعم يا بني . أصلى الظهر ثم أصدع المنبر ، فأردها علانية على رؤوس الناس .

فقال عبد الملك : يا أمير المؤمنين ! ومن لك بالظهر ؟ قال : فقال عمر : قد تفرق الناس ورجعوا للقائلة، فقال عبد الملك : تأمر مناديك ينادى : الصلاة جامعة فيجتمع الناس قال إسماعيل : فنادى المنادى : الصلاة جامعة : فخرجت ، فأثيت المسجد ، فجاء عمر ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أما بعد . فإن هؤلاء القوم قد كانوا أعطونا عطايا ، والله ، ما كان لهم أن يعطوناها وما كان لنا نقبلها . وإن ذلك قد صار إلى ليس على فيه دون الله محاسب . ألا وإنى قد رددتها بنفسى وأهل بيتى :

اقرأ يا مزاحم . »

قال : وقد جئ بسفط قبل ذلك - أو قال جونة - فيها تلك الكتب .

قال : فقرأ مزاحم كتاباً منها ، فلما فرغ من قراءته ، ناوله عمر وهو قاعد على المنبر وفى يده جلم ، قال : فجعل يقصه بالجلم واستأنف مزاحم كتاباً آخر ، فجعل . يقرؤه ، فلما فرغ منه دفعه إلى عمر فقصه ، ثم استأنف كتاباً آخر ، فما زال حتى نودى بصلاة الظهر .

ألا ترحمونه !

قال : حدثنا عبد الله بن المبارك قال : قال عمر بن عبد العزيز لمزاحم - وكان مزاحم مولاه وكان فاضلاً - قال : إن هؤلاء القوم - يعنى أهله - أقطعوني ما لم يكن لى أن آخذ ، ولا لهم أن يعطوني ، وإنى قد هممت بردها على أربابها . قال : فقال مزاحم : فكيف تصنع بولدك ؟ قال : فجرت دموعه على وجنتيه . وجعل يمسحها بأصبعه الوسطى ويقول : « أكلهم إلى الله » . قال عبد الله : وكأن مزاحماً ، مع فضله ، لم يقنع بقوله : فخرج مزاحم ، فدخل على عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ، فقال : إن أمير المؤمنين قد هم بأمر لهو أضر عليك وعلى ولد أهلك من كذا وكذا ، إنه قد هم برد السهلة - قال عبد الله : وهى باليمامة ، وهى أمر عظيم - قال وكان عيش ولده منها . قال عبد الملك : فماذا قلت له : قال : كذا وكذا . قال : بمس ، لعمر الله ، وزير الخليفة أنت . قال : ثم قام ليدخل على عمر بن عبد العزيز وقد تبوأ مقيله . قال : فاستأذن . فقال له البواب : إنه قد تبوأ مقيله . قال : ما منه بد . قال : سبحان الله ، ألا ترحمونه ؟ إنما هى قال : فسمع عمر صوته

فقال: عبد الملك؟ قال: نعم. قال: ادخل. فدخل. قال: ما جاء بك؟ قال: إن مزاحماً أخبرني بكذا وكذا. قال: فما رأيك؟ فإني أريد أن أقوم بالعشية. قال: أرى أن تعجله، فما تأمن أن يحدث الله بك حدثاً. قال: فرفع يديه وقال الحمد لله الذي جعل من ذريتي من يعينني على ديني. قال: ثم قام من ساعته، فجمع الناس وأمر بردها. قال يعقوب بن سفيان، وحدثني سليمان أن عمر نظر في مزارعه، فخرق سجلات بها غير مزرعتين: «خير» و«السويداء»، فسأل عن خير من أين كانت لأبيه؟ قيل: كانت فيماً على عهد رسول الله ﷺ فتركها رسول الله ﷺ فيماً على المسلمين حتى كان عثمان بن عفان، فأعطاه مروان بن الحكم، وأعطاه مروان عبد العزيز أبا عمر وأعطاه عبد العزيز عمر، فخرق سجلها وقال: إنما أتركها كما تركها رسول الله ﷺ. وبلغني أنها كانت «فدك». خبر (فدك) وتنازل عمر عنها:

قال: حدثنا إبراهيم بن جعفر، عن أبيه، قال: كانت فدك فيماً لرسول الله ﷺ فكانت لابن السبيل. فسألته ابنته إياها، فأبى رسول الله ﷺ أن يعطيها. فولى أبو بكر، فسلك ما كان رسول الله ﷺ يفعل. ثم عمر، ثم عثمان كذلك، فلما كانت الجماعة^(١) على عهد معاوية، ولى مروان، فكتب إلى معاوية يطلب فدكاً فأعطاه إياها، فكانت بيد مروان يبيع ثمرها كل سنة بعشرة آلاف درهم. ثم نزع مروان وغضب فنزعها من يده، فكانت بيد وكيله بالمدينة، فلما ولى مروان المدينة للمرة الأخيرة ردها عليه، فأعطى عبد الملك نصفها وعبد العزيز نصفها، فوهب عبد العزيز حقه لعمر ولده، فلما توفي عبد الملك طلب عمر إلى الوليد حقه فوهبه له، وطلب إلى سليمان حقه فوهبه له، ثم من بقى من أعيان بني عبد الملك، حتى حصلت له.

قال جعفر: فلقد ولى عمر الخلافة وما يقوم به وبعياله إلا وهي تغل كل سنة عشرة آلاف أو أقل أو أكثر، فسأل عنها حفص، فخبّر بما كان أمرها في عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان، فكتب إلى أبى بكر بن حزم كتاباً يقول فيه:

«إني نظرت في أمر فدك، فإذا هو لا يصلح، فرأيت أن أردّها على ما كانت عليه

(١) ج ٢ ص ٢٣٥: راجع العقد الفريد لابن عبد ربه.

فى عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان ، فاقبضها ووليها رجلاً يقوم فيها بالحق وسلام عليك .

قال حدثنا يعقوب ، عن أبيه ، قال : لما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة خرج مما كان فى يده من القطائع ، وكان فى يده « المكيدس » و « جبل الروس » باليمن ، و « فدك » وقطائع باليمن ، فخرج من ذلك كله ورده إلى المسلمين إلا أنه ترك عسناً بالسويداء ، وكان استنباطها بعطائه ، فكانت تأتيه غلتها كل سنة مائة وخمسون ديناراً أو أقل أو أكثر ، فذكر له مزاحم يوماً أن نفقة أهله قد فנית فقال : حتى تأتينا قال : فلم ينشب أن قدم قيمة بغلته وبجرباب تمر صيحاني ، وبجرباب تمر عجوة ، فنشره بين يديه . وسمع أهله بذلك ، فأرسلوا ابناً له صغيراً فحفن له من التمر فانصرف ، فلم ينشب أن سمعنا بكاءه قد ضرب ، ثم أقبل بأمر الدنانير ، فقال : امسكوا يديه ، ثم رجع يديه فقال اللهم بغضها اليه كما حبيبته إلى موسى بن النضر . ثم قال : خلوه ، فكأنما رأى به عقارب ، ثم قال : انظروا الشيخ الجزرى المكفوف الذى كان يغدو بالأسحار فخذوا . ثم قال لمزاحم : شأنك ما بقى فأنفقه على أهلك .

قال : حدثنا محمد بن سعيد قال : قال أبو بكر بن أبى سبرة : لما رد عمر المظالم قال : إنه لينبغى أن لا أبدأ بأول من نفسى ، فنظر إلى ما فى يديه من أرض أو متاع ، فخرج منه حتى نظر إلى فص خاتم ، فقال : هذا مما كان الوليد أعطانيه مما جاء من أرض المغرب فخرج منه .

احترام الناس لعمر بعد وفاته :

قال حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى الغساني قال : حدثنى أبى ، عن جدى قال : كنت عند هشام بن عبد الملك جالساً ، فأتاه رجل فقال : يا أمير المؤمنين : إن عبد الملك ، أقطع جدى قطيعة ، فأقرها الوليد وسليمان ، حتى إذا استخلف عمر ، رحمه الله ، نزعها فقال له هشام : أعد مقاتلك ، فقال : يا أمير المؤمنين : إن عبد الملك أقطع جدى قطيعة ، فأقرها الوليد وسليمان ، حتى إذا استخلف عمر ، رحمه الله ، نزعها . فقال : والله إن فيك لعجباً إنك تذكر من أقطع جدك القطيعة ومن أقرها ، فلا تترحم عليه ، وتذكر من نزعها فتترحم عليه ، وإنا قد أمضينا ما صنع عمر رحمة الله عليه .

الباب العشرون

فى ذكر نفور بنى مروان من عدله وجوابه لهم

كتاب عمر بن الوليد فى تأنيب عمر :

قال : حدثنى سهل بن يحيى المروزى قال : أخبرنى أبى ، عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، قال : لما ولى عمر بن عبد العزيز ، جعل لا يدع شيئاً مما كان فى يده ويد أهل بيته من المظالم إلا ردها ، مظلمة مظلمة ، فبلغ ذلك عمر بن الوليد بن عبد الملك فكتب إليه « إنك أزريت ^(١) على من كان قبلك من الخلفاء ، وعبت عليهم ، وسرت بغير سيرتهم بغضاً لهم وشنأناً لمن بعدهم من أولادهم ، قطعت ما أمر الله به أن يوصل إذ عمدت إلى أموال قریش وموارثهم ، فأدخلتها بيت المال جوراً وعدواناً . يا بن عبد العزيز اتق الله وراقبه إن شططت ، لم تطمئن على منبرك حتى خصصت أول قرابتك بالظلم والجور . فوالذى خص محمد ﷺ بما خصه به ، لقد ازددت عن الله بعداً فى ولايتك هذه إذ زعمت أنها عليك بلاء ، فاقصر بعض ميلك ، واعلم بأنك بعين جبار وفى قبضته ، ولن تترك على هذا » .

جواب عمر بن عبد العزيز لعمر بن الوليد :

فلما قرأ عمر بن عبد العزيز كتابه ، كتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر ، أمير المؤمنين ، إلى عمر بن الوليد . السلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

أما بعد ؛ فإنه بلغنى كتابك وسأجيئك بنحو منه ، أما أول شأنك ، يا بن الوليد كما زعم ، فأملك بنانة أمة السكون ، كانت تطوف فى سوق حمص ، وتدخل فى حوانيتها ، ثم الله أعلم بما اشتراها ذبيان بن ذبيان من فى المسلمين ، فأهداها لأبيك ، فحملت بك ،

(١) فى المختصر : « رزئت » .

فبئس المحمول وبئس المولود . ثم نشأت فكنت جباراً عنيداً ، تزعم أنى من الظالمين ، لما حرمتك وأهل بيتك فىء الله ، عز وجل الذى فيه حق القرابة والمساكين والأرامل ، وإن أظلم منى ، وأترك لعهد الله من استعملك صبيهاً سفيهاً على جند المسلمين تحكم بينهم برأيك ، ولم تكن له فى ذلك نية إلا حب الوالد لولده ، فويل لك وويل لأبيك ما أكثر خصماء كما يوم القيامة ؟ وكيف ينجو أبوك من خصمائه ؟ وإن أظلم منى ، وأترك لعهد الله ، من استعمل الحجاج بن يوسف على خمس^(١) العرب يسفك الدم الحرام ، ويأخذ المال الحرام ، وإن أظلم منى ، وأترك لعهد الله ، من استعمل قرّة بن شريك أعرايياً جافياً على مصر ، أذن له فى المعازف واللهو والشرب ، وإن أظلم منى ، وأترك لعهد الله ، من جعل لعابية البربرية سهماً فى خمس العرب ، فرويداً يا بن بنانة ، فلو التقت حلقتا البطان ، ورد الفىء إلى أهله ، لتفرغت لك ولأهل بيتك ، فوضعتهم على المحجة البيضاء ، فطالما تركتم الحق وأخذتم فى بينات الطريق ، وما وراء هذا من الفضل ، ما أرجو أن أكون رأيته بيع رقبته وقسم ثمنك بين اليتامى والمساكين والأرامل ، فإن لكل فيك حقاً والسلام علينا ولا ينال سلام الله الظالمين »

قال : حدثنا ضمرة ، عن أبى حملة وابن شوذب ، قال : كتب عمر بن الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز كتاباً يغلظ له ، فكتب عمر :

« إن أظلم منى وأجور ، من ولى عبد ثقيف العراق ، فحكم فى دمائهم وأموالهم . وإن أظلم منى وأجور ، وأترك لعهد الله ، من ولى قرّة مصر : جلفاً جافياً ، وإن أظلم منى وأجور ، وأترك لعهد الله ، من ولى عثمان بن حيان الحجاز ، فأشدد الأشعار على منبر رسول الله ﷺ وإنما أمك تختلف إلى حوانيت حمص ، فاشتراها ذبيان بن ذبيان ، فبعث بها إلى أبيك فحملت . فبئس الجنين وبئس المولود . ثم وضعتك جباراً شقيماً . لقد هممت أن أبعث إليك من يخلق جمته فبئس الجمّة » .

كان إذا وقع فى أمر مضى فيه :

قال : حدثنا جويرة بن أسماء ، عن إسماعيل بن أبى حكيم ، قال : أتى عمر بن

(١) فى المختصر : « خمس »

عبد العزيز كتاب بنى مروان ، فأغضبه ، فاستشاط ثم قال : إن الله من ^(١) بنى مروان يوماً - وقال نعيم : ذبحاً - وايم الله ، لئن كان ذلك الذبح على يدي .

فلما بلغهم ذلك ، كفوا وكانوا يعلمون صرامته ، وأنه إذا وقع فى أمر مضى فيه .

قال : حدثنا المسيب بن واضح ، عن الأوزاعى ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عمر بن الوليد كتاباً فيه :

« ... وقسم أبوك الخمس كله ، وإنما سهم أبوك كسهم رجل من المسلمين ، وفيه حق الله ، وحق الرسول وذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، فما أكثر خصماء أبوك يوم القيامة ، فكيف ينجو من كثرة خصمائه ؟ وإظهارك المعازف والمزامير بدعة فى الإسلام ، لقد هممت أن أبعث إليك من يجز جمتك ، جمعة السوء ... »

قال : حدثنا الوليد بن مسلم . عن الأوزاعى ، قال : لما قطع عمر بن عبد العزيز على أهل بيته ما كان يجرى عليهم من أرزاق الخاصة ، وأمرهم بالانصراف إلى منازلهم ، تكلم فى ذلك عنيسة بن سعد فقال : يا أمير المؤمنين ! إن لنا قرابة ، قال : « لن يتسع مالى لكم ، وأما هذا المال فحقكم فيه كحق رجل بأقصى برك الغماد ، فلا يمنعه من أخذه إلا بعد مكانه . والله إنى لأرى أن الأمور ، لو استحالت حتى يصبح أهل الأرض يرون مثل رأيكم ، لنزلت بهم بائقة من عذاب الله . »

لولا أن تستعينوا على بمن أطلب هذا الحق له لأضرعت خدودكم :

قال : حدثنا سعيد بن عامر ، عن جويرية بن أسماء ، قال : قال عمر بن عبد العزيز لحاجبه : لا يدخل على اليوم إلا مروانى .

وأخبرنا سعيد بن عامر ، عن جويرية بن أسماء ، عن إسماعيل بن أبى حكيم ، فيما أعلم ، قال : قال عمر بن عبد العزيز لآذنه : لا يدخل على « اليوم إلا مروانى فلما اجتمعوا عنده ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« يا بنى مروان : إنكم قد أعطيتم حظاً وشرفاً وأموالاً . إنى لأحسب شطر أموال هذه

(١) فى المختصر : « فى » .

الأمة أو ثلثيها^(١) في أيديكم » .

فسكتوا . فقال عمر : ألا تجيبوني ؟ فقال رجل من القوم :

« والله ، لا يكون ذلك حتى يحال بين رؤوسنا وأجسادنا . والله لا نكفر آبائنا ، ولا نفقر أبناءنا .

فقال عمر :

« والله ، لولا أن تستعينوا عليّ بمن أطلب هذا الحق له لأضرعت حدودكم ، قوموا عني » .

قال : حدثنا ابن وهب قال : حدثني مالك أن عمر بن عبد العزيز ذكر ما مضى من الجور والعدل ، وعنده هشام بن عبد الملك ، فقال هشام : إنا والله لا نعيب آبائنا ، ولا نضع شرفنا في قومنا . فقال عمر : وأي عيب أعيب ممن عابه القرآن ؟ .

لأكسرن تلك السواقى حتى أجريه مجراه الأول :

قال : حدثنا ابن غنية ، عن نوفل بن الفرات ، أن عمر بن عبد العزيز قال لعمرته : « يا عمّة ! إن رسول الله ﷺ قبض ، وترك الناس على نهر مورود ، فولى ذلك النهر بعده رجل فلم يستخص منه شيئا ، ثم ولى ذلك النهر بعد ذلك رجل آخر فكري منه ساقية ، ثم لم يزل الناس يكرون منه السواقى حتى تركوه يابساً ليس فيه قطرة ، وإيم الله ، لئن أبقاني لأسكرن تلك السواقى حتى أجريه مجراه الأول » .

قالت : فلا يسبوا عندك إذن ، قال : ومن يسبهم ؟ إنما يرفع الرجل مظلمته ، فأردها عليه .

قال الشيخ الإمام : هكذا وقع في هذه الرواية : « ثم ولى رجل فكري منه ساقية » إشارة منه إلى عمر ، وهو غلط ، وإنما الصواب ذكر ذلك في حق عثمان .

وقد أخبرنا به على الصواب محمد بن عبد الباقي بن أحمد ، قال : حدثنا نوفل بن

(١) في المختصر : « أو ثلثها » .

أبى الفرات قال : كانت بنو أمية ينزلون فلانة بنت مروان على أبواب القصور فلما ولى عمر بن عبد العزيز قال : لا يلى إنزالها أحد غيرى ، فأدخلوها على دابتها إلى باب قبته فأنزلها ، ثم طبق لها وسادتين : إحداهما على الأخرى ، ثم أنشأ يمازحها ، ولم يكن من شأنها المزاح ، فقال : أما رأيت الحرس الذى على الباب ، قالت : بلى فربما رأيتهم عند من هو خير منك ، فلما رأى الغضب لا يتحلل عنها ، أخذ فى الجد وترك المزاح ، فقال : يا عمة ! إن رسول الله ﷺ قبض فترك الناس على نهر مورود ، فولى ذلك النهر رجل فلم يستنقص منه شيئا ، ثم ولى بعد ذلك رجل آخر فكرى منه ساقية ، ثم لم يزل الناس يكرون منه السواقي حتى تركوه يابساً ليس فيه قطرة . وإيم الله ، لئن أبقانى الله لأكسرن السواقي حتى أعيده إلى مجراه الأول . قالت فلا يسبوا عندك ؟ إذن ؟ قال : من يسبهم ؟ إنما يرفع لى الرجل مظلّمته ، فأردها عليه .

كل يوم أخافه دون يوم القيامة فلا وقانى الله شره :

قال : حدثنا عبيد الله بن محمد التميمي - أو قال التيمي - قال : سمعت أبى وغيره يحدث أن عمر بن عبد العزيز ، لما ولى منع قرابته ما كان يجرى عليهم ، وأخذ منهم القطائع التى كانت فى أيديهم ، فشكوه إلى عمته ، أم عمر ، فدخلت عليه فقالت : إن قرابتك يشكونك ، ويزعمون أنك أخذت منهم خبر غيرك . قال : ما منعهم حقاً أو شيئاً كان لهم ، فقالت لئن رأيتهم يتكلمون ، ولئن أخاف أن يهيجوا عليك يوماً عصيباً . فقال : كل يوم أخافه ، دون يوم القيامة ، فلا وقانى الله شره . فقال : ودعا بدينار وجنب ومجمرة ، فألقى ذلك الدينار فى النار ، وجعل ينفخ على الدينار ، حتى إذا احمر تناوله بشيء ، فألقاه على الجنب ، فنش وقتر ، فقال : أى عمة ! أما تأوين لابن أخيك من مثل هذا ؟ فقامت على قرابته فقالت : تزوجون آل عمر ، فإذا نزعوا إلى الشبه جزعتهم . اصبروا له .

قال : حدثنا محمد بن يزيد بن خنيس ، عن وهيب بن الورد ، قال : اجتمع بنو مروان على باب عمر بن عبد العزيز ، وجاء عبد الملك بن عمر ليدخل على أبيه ، فقال له : إما

أن تستأذن لنا ، وإما أن تبلغ عنا الرسالة . قال : قولوا ، قالوا : إن من كان قبله من الخلفاء كان يعطينا ، ويعرف لنا مواضعنا ، وإن أباك قد حرمتنا ما في يده . قال : فدخل إلى أبيه فأخبره عنهم ، فقال له عمر : قل لهم : إن أبي يقول لكم : إني أخاف إن عصيت الله - أو قال ربي - عذاب يوم عظيم .

قال : حدثنا سعيد بن عامر ، عن أسماء بن عبيد ، قال : دخل عنبسة بن سعيد بن العاص على عمر بن عبد العزيز فقال : يا أمير المؤمنين ! إن من كان قبلك من الخلفاء كانوا يعطونا العطايا منعتناها ، ولى عيال وضيعة ، أفأأذن لى أن أخرج إلى ضيعتى وما يصلح عيالى ؟ فقال عمر : أحبك إيلنا من كفانا مؤنته . فخرج من عنده ، فلما صار إلى الباب قال عمر : أبا خالد ! أبا خالد ! فرجع ، فقال : أكثر ذكر الموت فإن كنت فى ضيق من العيش وسعه عليك ، وإن كنت فى سعة من العيش ضيقه عليك .

إنها نفسى أحاول عنها :

قال : حدثنا عمر بن علي بن مقدم قال : قال ابن سليمان بن عبد الملك لمزاحم : إن لى حاجة إلى أمير المؤمنين عمر ، قال : فاستأذنت له فقال : أدخله ، فأدخله على عمر ، فقال ابن سليمان : يا أمير المؤمنين ! على ما ترد على قطيعتى ؟ قال : معاذ الله أن أرد قطيعة رسخت فى الإسلام ، قال : فهذا كتابى فأخرج كتاباً من كفه ، فقرأه عمر ، فقال : لمن كانت هذه الأرض ؟ قال : للفاسق ابن الحجاج . قال عمر : فهو أولى بماله . قال : يا أمير المؤمنين ، فإنها من بيت مال المسلمين ، قال : فالمسلمون أولى بها . قال : يا أمير المؤمنين رد على كتابى قال : لو لم تأتنى به لم أسلكه فأما إذا جأتنى به ، فلا ندعك تطالب بباطل قال : فبكى ابن سليمان . قال مزاحم : فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ ابن سليمان تصنع به هذا ؟ قال : ويحك يا مزاحم ! إنها نفسى أحاول عنها وإنى لأجد له من اللوط ما أجد لولدى .

قال : حدثنا شعيب - يعنى ابن صفوان - عن بشر بن عبد الله بن عمر ، عن بعض آل عمر أن هشام بن عبد الملك قال لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ! إنى رسول قومك إليك ، وإن فى أنفسهم ما أكلمك به ، إنهم يقولون استأنف العمل برأيك فيما تحت يدك ، واخل بين من سبقك وبين ما ولوا ، بما عليهم ولهم . فقال له عمر : أرأيت إن أتيت بسجلين :

أحدهما من معاوية ، والآخر من عبد الملك بأمر واحد ، فبأى السجلين آخذ ؟ قال :
بالأقدم . فقال عمر : فإنى وجدت كتاب الله الأقدم . فأنا حامل عليه من أتانى ممن تحت
يدى وفيما سبقنى .

فقال له سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان : يا أمير المؤمنين ! امض لرأيتك فيما وليت
بالحق والعدل وخل عمن سبقك وعن ما ولى ، خيرته وشره ، فإنك مكثت بذلك . فقال له
عمر : أنشدك الله الذى إليه نعود ، أرأيت لو أن رجلاً هلك ، وترك بنين صغاراً وكباراً ،
فغر الأكابر الأصاغر فى أموالهم ، فأدرك الأصاغر فجأؤوك بهم وبما صنعوا فى أموالهم ،
ما كنت صانعاً ؟ قال : كنت أرد عليهم حقوقهم حتى يستوفوها . قال فإنى وجدت كثيراً
ممن قبلى ، من الولاة ، عروا الناس بقوتهم وسلطانهم ، وغرهم بها أتباعهم ، فلما وليت
أتونى بذلك فلم يسعنى إلا الرد على الضعيف من القوى ، وعلى المستضعف من الشريف
فقال : وفقك الله يا أمير المؤمنين .

قال : حدثنا عبيد بن يحيى أبو نباتة قال : سمعت مالك بن أنس يقول : قال : عمر
ابن عبد العزيز لابن سليمان بن عبد الملك : صحبت أباك ، فما رأيت حرصاً يشبه
حرصهم على الدنيا ، ماتوا وتركوها أقدر ما كانوا عليها .

أتأمرنى بالزنا ؟

قال : حدثنا ضمرة ، عن ابن شوذب ، قال : عرض على عمر بن عبد العزيز جوار
وعنده العباس بن الوليد بن عبد الملك ، قال : فجعل كلما مرت جارية تعجبه قال : يا أمير
المؤمنين ! اتخذ هذه . فلما أكثر ، قال له عمر بن عبد العزيز : أتأمرنى بالزنا ؟ قال فخرج
العباس ، فمر بأناس من أهل بيته ، فقال : ما يجلسكم بباب رجل يزعم أن آباءكم
كانوا زناة ؟

ما كان أشده على بنى أمية :

قال : وبلغنى عن اسماعيل بن أبى حكيم قال : كان عند عمر بن عبد العزيز ناس من
بنى مروان ، فحبسهم وقال لخبازه : إذا دعوت بالطعام فلا تعجل به ، فحبسهم حتى تعالى
النهار . قال : وهم قوم لم يعتادوا ذلك . فمر به الخباز فقال : ويحك ! اتتنا بطعامك . قال

نعم يا أمير المؤمنين الآن . قال : فلما أبطأ ، قال لهم : فهل لكم فى سويق فأمسكوا ، فقال : ألا تأكلون ؟ قالوا : والله ، يا أمير المؤمنين ، ما نقدر عليه فقال لهم ذلك غير مرة ، فأبوا أن يأكلوا ، فقال : ويحكم يا بنى مروان فقيم التقحيم^(١) فى النار ؟ فبكى والله وأبكى .

قال : حدثنا أبو بكر المروزي قال : سمعت أحمد بن حنبل - وذكر عمر بن عبد العزيز - قال : ما كان أشده على بنى أمية .

الجزء الخامس :

الباب الحادى والعشرون

فى ذكر ما وعظ به

سياق مواعظ الحسن البصرى لعمر بن عبد العزيز رحمهما الله

الموعظة الأولى

مالى والدنيا ؟

قال : حدثنا أبو صالح ، كاتب الليث بن سعد ، قال : أخذتها من الليث بن سعد ، رسالة الحسن بن أبى الحسن إلى عمر بن عبد العزيز رحمهما الله :

«أما بعد ؛ اعلم يا أمير المؤمنين أن الدنيا دار ظعن وليست بدار إقامة ، وإنما أهبط إليها آدم من الجنة عقوبة ، وقد يحسب من لا يدرى ما ثواب الله أنها ثواب ، ومن يدرى ما عقاب الله أنها عقاب . ولها فى كل حين صرعة ، وليست صرعة كصرعة ، هى تهين من أكرمها ، وتذل من أعزها وتصرع من آثرها ، ولها فى كل حين قتلى ، فهى كالسم يأكله من لا يعرفه وفيه حتفه ، فالزاد فيها تركها ، والغنى فيها فقرها . فكن فيها ، يا أمير المؤمنين ، المداوى جرحه ، يصبر على شدة الدواء مخافة طول البلاء ، يحتمى قليلاً مخافة ما يكره طويلاً . فإن أهل الفضائل كانوا ، منطلقهم فيها بالصواب ، ومشيههم بالتواضع ، ومطعمهم

(١) كذا فى المختصر .

الطيب من الرزق ، مغمضى أبصارهم عن المحارم ، فخوفهم فى البر كخوفهم فى البحر ، ودعائهم فى السراء كدعائهم فى الضراء ، لولا الآجال التى كتبت لهم ما تفاوت أرواحهم فى أجسادهم خوفاً من العقاب وشوقاً إلى الثواب ، عظم الخالق فى نفوسهم فصغر المخلوقين فى أعينهم . واعلم ، يا أمير المؤمنين ، أن التفكير يدعو إلى الخير والعمل به ، وأن الندم على الشر يدعو إلى تركه ، وليس ما يفنى ، وإن كان كثيراً ، بأهل أن يؤثر على مابقى ، وإن كان طلبه عزيزاً ، واحتمال المؤنة المنقطعة ، التى تعقب الراحة الطويلة ، خير من تعجيل راحة منقطة تعقب مؤنة باقية وندامة طويلة ، فاحذر هذه الدنيا الصارعة ، الخاذلة القاتلة ، التى تزيت بخدعها ، وفتكت بغرورها ، وخدعت بآمالها ، فأصبحت كالعروس لها عاشقة ، وهى لأزواجها كلهم قاتلة ، فلا الباقى بالماضى معتبر ، ولا الآخر لما رأى من أثرها على الأول مزدجر ، ولا العارف بالله المصدق له حين أخبره عنها مذكر ، قد أبنت القلوب لها إلا حياً . وأبت النفوس لها إلا عشقاً ، ومن عشق شيئاً لم يلهم غيره ، ولم يعقل سواه ، مات فى طلبه وكان أثر الأشياء عنده ، فهما عاشقان طالبان مجتهدان .

فعاشق قد ظفر منها بحاجته فأغتنه ، وطغى ونسى ، ولها فغفل عن مبتدأ خلقه ، وضيع ما إليه معده فقل فى الدنيا لبثه ، حتى زالت عنه قدمه ، وجاءته منيته على أسرها كان منها حالاً ، وأطول ما كان فيها أملاً ، فعظم ندمه . وكثرت حسرته ، مع ما عالج من سكرته ، فاجتمعت عليه سكرة الموت بكربته ، وحسرة الفوت بغصته ، فغير موصوف ما نزل به .

وآخر مات من قبل أن يظفر منها بحاجته ، فمات بغمه وكمده ولم يدرك فيها ما طلب ، ولم يرح نفسه من التعب والنصب ، فخرجاً جميعاً بغير زاد ، وقدماً على غير مهاد ، فاحذرهما ، يا أمير المؤمنين ، الحذر كله ، فإنما مثلها كمثل الحية لين مسها تقتل بسمها فأعرض يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها ، وضع عنك همومها لما قد أيقنت من فراقها ، واجعل شدة ما اشتد منها رجاء ما ترجو بعدها ، وكن ، عند أسرها ما تكون فيها ، أحذر ما تكون لها . فإن صاحب الدنيا كلما اطمأن منها إلى سرور صحبتته من سرورها بما يسوؤه وكلما ظفر منها بما يحب انقلب عليه بما يكره . فالسار منها لأهلها غار ، والنافع منها غداً ضار . وقد وصل الرخاء فيها بالبلاء وجعل البقاء فيها ... فسروها بالحزن مشوب ،

والناعم فيها مسلوب فانظر يا أمير المؤمنين إليها انظر الزاهق المفارق ولا تنظر نظر المبتلى العاشق . واعلم أنها تزيل الثاوى بالساكن ، وتفجع المترف فيها الآمن ، ولا ترجع ما تولى وأدبر ، ولا بد ما هو آت منها ينتظر ، ولا يتبع ما صفا منها إلا كدر فاحذر ها ، فإن أمانيتها كاذبة ، وآمالها باطلة ، وعيشها نكد ، وصفوها كدر . وأنت منها منية قاضية فلقد كدرت المعيشة لمن عقل ، فهو من نعيمها على خطر ، ومن بليتها على حذر . ومن المنية علي اليقين فلو كان الخالق . تبارك وتعالى ، لم يخبر عنها بخبر ، ونهت العاقل ، فكيف وقد جاء عن الله ، عز وجل منها زاجر وفيها واعظ ، فما لها عنده قدر ولا وزن من الصغر ، فلهي عنده أصغر من حصاة فى الحصى ، ومن مقدار نواة فى النوى ، ما خلق الله ، عز وجل فيما بلغنا أبغ إلى الله منها ما نظر إليها منذ خلقها ، ولقد عرضت على نبينا محمد ﷺ بمفاتيحها وخزائنها ، ولا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة . فأبى أن يقبلها ، وما منعه من القبول لها . مع ما لا ينقصه الله شيئاً مما عنده كما وعده . إلا أنه علم أن الله ، عز وجل ، أبغض شيئاً فأبغضه ، وصغر شيئاً فصغر ، ولو قبلها كان الدليل على محبته قبوله إياها ، ولكنه كره أن يخالف أمره ، أو يحب ما أبغض خالقه ، أو يرفع ما وضع مليكه .

قال محمد بن الحسين : وكان فى آخر هذه الرسالة :

« ولا تأمن أن تكون هذا الكلام حجة عليك . نفعتنا الله وإياك بالموعظة ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » .

الموعظة الثانية

قال : حدثنا إبراهيم السقا . عن أصرم الخرساني ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن : « عظني » فكتب إليه الحسن :

أما بعد ؛ يا أمير المؤمنين ! فكن للمثل من المسلمين أخاً ، وللكبير ابناً ، وللصغير أباً وعاقب كل واحد منهم بذنبه على قدر جسمه ولا تضربن لغضبك سوطاً واحداً فتدخل النار . (١)

(١) سبق هذا القول فيما تقدم .

الموعظة الثالثة

قال : حدثنا إسحاق بن سعيد بن الحسن النسائي قال : حدثنا جدى الحسن بن سفيان قال : حدثنا سفيان بن عيينة قال : كتب الحسن بن أبى الحسن إلى عمر بن عبد العزيز : « ... واعلم أن الهول الأعظم ، ومفطعات الأمور أمامك لم يقطع منها بعد وأنه لا بد والله ، لك من مشاهدة ذلك ومعانيته ، إما بالسلامة والنجاة منه ، وإما بالعطب .. » .

الموعظة الرابعة

الزهد رأس الإصلاح :

قال : حدثنا أبو عبد الله الصوفى قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن : « عظمى وأوجز » فكتب إليه :

« أما بعد ؛ فإن رأس ما هو مصلحك ، ومصبح به على يدك ، الزهد فى الدنيا ، وإنما الزهد باليقين ، واليقين بالتفكر ، والتفكر بالاعتبار . فإذا أنت تفكرت فى الدنيا لم تجدها أهلاً أن تباع بها نفسك ، ووجدت نفسك أهلاً أن تكرمها بهوان الدنيا ، فإنما الدنيا دار بلاء ومنزل غفلة » .

الموعظة الخامسة

لا بد من اقتحام العقبة ومن ورائها الجنة أو النار .

قال : حدثنا الجنيد قال : سمعت سرياً يقول : كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز : « أما بعد ؛ فلو كان لك عمر نوح ، وملك سليمان ، ويقين إبراهيم ، وحكمة لقمان ، فإن أمامك هول الموت . ومن ورائه داران ، إن أخطأتك هذه ، صرت إلى هذه » .
قال : فبكى عمر بن عبد العزيز بكاء شديداً .

قال : حدثنا أبو عاصم ، عن شبيب بن بشر ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى فقهاء العراق أن يأتوه ، فاعتل الحسن بفتق^(١) في بطنه ، وكتب إليه :

« يا أمير المؤمنين ! إن استقمت استقاموا ، وإن ملت مالوا يا أمير المؤمنين ! لو أن لك عمر نوح ، وسلطان سليمان ، ويقين إبراهيم ، وحكمة لقمان ما كان لك بد من أن تقتحم العقبة ، ومن وراء العقبة الجنة والنار ، من أخطأته هذه دخل هذه » .

فلما أتاه الكتاب أخذه ، فوضعه على عينيه ثم بكى . ثم قال : « من لي بعمر نوح ، ويقين إبراهيم ، وسلطان سليمان ، وحكمة لقمان ؟ ولو نلت ذلك لم يكن بد من أن أشرب بكأس الأولين » .

الموعظة السادسة

خذ من فنائك الذى لا يبقى لبقائك الذى لا يفنى :

قال : حدثنا داود بن المحبر وشعيب بن محرز ، عن عبد الواحد بن زيد ، قال : كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز :

« أما بعد ؛ يا أمير المؤمنين ، فإن طول البقاء إلى فناء ما هو ، فخذ من فنائك الذى لا يبقى لبقائك الذى لا يفنى . والسلام » .

فلما قرأ عمر الكتاب بكى وقال : « نصبح أبو سعيد وأوجز » .

الموعظة السابعة

قال : حدثنا عون بن معمر قال : كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز : « سلام عليك ، أما بعد ؛ فكأنك بالدنيا لم تكن ، وبالأخرة لم تزل » .

وقد رويت لنا هذه الحكاية على وجه آخر :

(١) فى المختصر : « يفتق » .

قال : حدثنا عون بن معمر قال : كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز : أما بعد فكأن
آخر من كتب عليه الموت قد مات .

فكتب إليه عمر بن عبد العزيز :

« أما بعد ؛ فكأنك بالدنيا لم تكن ، وكأنك بالآخرة لم تزل ، والسلام عليك . »

موعظة طاوس لعمر بن عبد العزيز :

قال : حدثنا قحدم أبو بشر قال : حدثني أبي ، عن رياح بن عبيدة ، قال : كتب عمر
ابن عبد العزيز إلى طاوس كتاباً يسأله عن بعض ما هو فيه فأجابه بعشر كلمات لم يزد
عليها حرفاً ، قال : فما رأيت عمر أتاه كتاب كان أعجب إليه منه ، كتب إليه :

سلام عليك يا أمير المؤمنين ! فإن الله غز وجل أنزل كتاباً ، وأحل فيه حلالاً ، وحرم
فيه حراماً ، وضرب فيه أمثالاً ، وجعل بعضه حكماً وبعضه متشابهاً . فأحلّ حلال الله ،
وحرم حرام الله ، وتفكر في أمثال الله ، واعمل بمحكمه ، وآمن بمتشابهه . والسلام
عليك . »

موعظة سالم بن عبد الله لعمر بن عبد العزيز

رأيت أن أسير في الناس بسيرة عمر بن الخطاب :

قال : حدثنا الثقة يونس بن جعفر الرقي أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى سالم بن
عبد الله بن عمر بن الخطاب :

« أما بعد ؛ فإن الله تبارك اسمه وتعالى جده ، ابتلاني بما ابتلاني به من أمركم من غير
مشورة مني فيه ولا طلب ، إلا قضاء من الرحمن الرحيم فأسأل الذي ابتلاني بما ابتلاني به
من أمر عباده وبلاده ، أن يحسن عوني وعاقبتي ، وعاقبة من ولاني أمره . وقد رأيت أن
أسير في الناس بسيرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، إن قضى الله ذلك واستطعت إليه
سبيلاً . فابحث إليّ بكتب عمر بن الخطاب وقضائه في أهل القبلة وأهل العهد ، فإنني متبع
أثره ، وسائر بسيرته إن شاء الله تعالى . وأسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى . »

فأجابه سالم :

« أما بعد ؛ فإن الله عز وجل ، خلق الدنيا لما أراد أن يخلقها له ، فجعل لها مدة قصيرة ، كأن ما بين أولها وآخرها ساعة من نهار ، ثم قضى عليها وعلى أهلها الفناء فقال ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ﴾ ^(١) لا يقدر أهلها منها ، يا عمر ، على شيء حتى تفارقهم ويفارقونها ، بعث بذلك رسوله ، وأنزل كتابه ، ضرب في ذلك الأمثال وضرب فيه الوعيد ، جعل في الأولين ديناً واحداً ، فلم يختلف رسوله ولم يبدل قوله . ثم إنك ، يا عمر ، لن تعدو أن تكون رجلاً من بنى آدم ، يكفيك ما يكفي لرجل منهم . أو قال رجلاً منهم . من الطعام والشراب ، فاجعل فضل ذلك فيما بينك وبين الرب الذي توجه إليه شكر النعم ، فإنك « وليت » أمراً عظيماً ليس يلي عليك أحد دون الله عز وجل ، إن استطعت أن لا تخسر نفسك وأهلك يوم القيامة فافعل ، فإنه قد كان رجال ، ونشأوا فيه ، وظنوا أنها السنة ، فسدوا على الناس أبواب الرخاء ، فلم يسدوا منها باباً إلا فتح عليهم باب بلاء ، فإن استطعت - ولا قوة إلا بالله - أن تفتح على الناس أبواب الرخاء ، فافعل ، فإنك لن تفتح منها باباً إلا سد الله الكريم عنك باب بلاء ، ولا يمنعك من نزع عامل أن تقول : لا أجد من يكفيني عمله ؟ فإنك إذا كنت تنزع لله ، وتستعمل لله ، أتاح الله لك أعواناً فأتاك بهم ، وإنما قدر عون الله إياك بقدر نيتك ، فإن تمت نيتك تم عون الله الكريم إياك ، وإن قصرت نيتك ، قصر من الله العون بحسب ذلك .

واعلم أنه كان قبلك رجال عاينوا هول المطلاع ، وعالجوا نزع الموت الذي كانوا منه يفرون ، فانشقت بطونهم التي كانوا لا يشبعون بها ، وانفقت أعينهم التي كانوا لا تنقطع لذتها ، واندقت رقبتهم غير موسدين بعد ما تعلم من تظاهر الفرش والمرافق ، والسرور والخدم فصاروا جيفاً في بطون الأرض تحت مهادها . والله لو كانوا إلى جانب مسكين لتأذى بريحتهم بعد انفاق ما لا يحصى عليهم وعلى خواصهم من الطيب ، كل ذلك إسرافاً . فلما لله وإنا إليه راجعون . ما أعظم الذي ابتليت به وأفزع الذي سيق إليك ، أهل العراق ! أهل العراق أبرهم منك منزلة من لا فقر بك إليه ولا بك عنه فمن بعثت من عمالك إلى العراق فإنه نهياً شديداً شبيهاً بالعقوبة عن أخذ الأموال وسفك الدماء إلا

(١) سورة القصص آية : ٨٨ .

بحقها ، المال المال ، يا عمر ! يا عمر ! والدم ، فإنه لا نجاة لك من هول جهنم من عامل بلغك ثم لم تغيره . وإنه من بعثت من عمالك ، أن يعملوا بمعصية أو أن يحكموا بشبهة ، أو أن يحتكموا على المسلمين بيعاً ، فإنك إن اجترحت على ذلك ، أتى بك يوم القيامة ذليلاً صغيراً ، وإن تجنبت عنه ، عرفت راحتته في سمعك وبصرك وقلبك . كتبت إلى تسألني أن أبعث إليك بكتب عمر وبقضائه في أهل القبلة وفي أهل العهد ، وإن عمر ، رضى الله عنه عمل في غير زمانك ، وعمل بغير رجالك ، وإنك عملت في زمانك على النحو الذى عمل عمر بن الخطاب في زمانه ، بعد الذى رأيت وبلوت ، رجوت أن تكون أفضل عند الله منزلة من عمر بن الخطاب ، فقل كما قال العبد الصالح : ﴿ وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أئيب ﴾ . (١)

قال : حدثنا موسى بن عقبة ، عن سالم بن عبد الله بن عمر ، أن عمر بن عبد العزيز كتب إليه :

« من عبد الله ، عمر ، أمير المؤمنين ، إلى سالم بن عبد الله . سلام عليك . فإنى أحمد الله اليك الذى لا إله إلا هو .

أما بعد ، فإن الله ابتلانى بأمر هذه الأمة ، من غير مشاورة منى فيها ، ولا طلبه منى لها إلا قضاء الرحمن وقدره ، فأسأل الذى ابتلاه من أمر هذه الأمة ، بما ابتلانى به ، أن يعيننى على ما ولانى وأن يرزقنى منهم السمع والطاعة وحسن المؤازرة ، وأن يرزقهم منى الرأفة والمعدلة . فإذا أتاك كتابى هذا فابعث إلى بكتب عمر بن الخطاب وسيرته ، إن أعاننى الله على ذلك ، والسلام . »

فكتب سالم بن عبد الله إلى عبد الله ، عمر ، أمير المؤمنين :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ من سالم بن عبد الله بن عمر ، إلى عبد الله عمر ، أمير المؤمنين . سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو .

أما بعد ؛ فإن الله خلق الدنيا لما أراد . وجعل لها مدة قصيرة على كل شىء فقال : ﴿ كل شىء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ﴾ (٢) لا يقدر منها أهلها على

(١) سورة هود آية : ٨٨ . (٢) سورة القصص آية : ٨٨ .

شئىء حتى تفارقهم ويفارقونها . أنزل بذلك كتابه ، وبعث به رسله ، وقدم فيه دينه بالوعيد ، وضرب فيه الأمثال . ووصل به القول ، وشرع فيه دينه الأولين والآخرين ديناً واحداً ، فلم يفرق بين كتبه ، ولم يختلف رسله ، ولم يشق أحداً من أمره بشئىء سعد به أحد ، ولم يسعد أحداً من أمره بشئىء شقى به أحد وإنك اليوم يا عمر ، لم تعد أن تكون إنساناً من بنى آدم ، يكفيك من الطعام والشراب والكسوة ما يكفي رجلاً منهم . فاجعل فضل ذلك فيما بينك وبين الرب الذى توجه إليه شكر النعم ، فإنك قد وليت أمراً عظيماً ليس يليه أحد دون الله قد أقصى فيما بينك وبين الخلائق ، فإن استطعت أن تغنى نفسك وأهلك ، ولا تخسر نفسك وأهلك فافعل ، ولا قوة إلا بالله . فإنه قد كان قبلك رجال عملوا ماعملوا ، وأماتوا ما أماتوا من الحق ، وأحيوا ما أحيوا من الباطل حتى ولد رجال ونشأوا فيه وظنوا أنها ستفتح عليهم أبواب الرخاء ، فإنك لا تفتح منها باباً إلا سد به عليك باب بلاء ولا يمنعك من نزع عامل أن تقول : لا أجد من يكفينى عمله . وإنك إذا كنت تنزع لله ، وتعمل لله ، أتاح الله لك رجالاً وجاءك بأعوان ، وإنما العون من الله على قدر النية ، فإذا تمت نية العبد تم عون الله له ، ومن قصرت نيته قصر من الله له بقدر ذلك ، فإن استطعت أن تأتى الله يوم القيامة ، لا يتبعك أحد بظلم ، ويجىء من كان قبلك وهم غابطون لك بقلة أتباعك ، وأنت غير غابط لهم بكثرة أتباعك ، فافعل ولا قوة إلا بالله ، فإنهم قد عانوا وعالجوا نزع الموت الذى كانوا منه يفرّون ، وانشقت بطونهم التى كانوا فيها لا يشبعون ، وانفقت أعينهم التى كانت لا تنقضى لذتها ، واندقت رقابهم فى التراب غير موسدين ، بعدما تعلم من تظاهر الفرش والمرافق ، فصاروا جيفاً فى بطون الأرض تحت آكامها ، لو كانوا إلى جنب مسكين تأذى بريحهم بعد إنفاق ما لا يحصى عليهم بن الطيب . كان إسرافاً وفراراً عن الحق ، فإننا لله وإننا إليه راجعون . ما أعظم يا عمر ! أفظع الذى سيق إليك من أمر هذه الأمة ، وأهل العراق يكونون من صدرك بمنزلة من لا فقر بك إليه ، ولا غنى بك عنه ، فإنهم قد وليتهم عمالاً ظلمة ، قسموا المال ، وسفكوا الدماء ، فإنه من تبعث من عمالك كلهم يأخذوا بجنة ، ويعملوا بعصبية ، وأن تجبروا فى أعمالهم ، وأن يحتكروا على المسلمين بيعاً ، الله الله يا عمر فى ذلك ، فيوشك

إن اجتسرات على ذلك أن يؤتى بك صغيراً ذليلاً ، وإن أنت أتيت ما أمرتك به ، وجدت راحتته على ظهرك وسمعك وبصرك .

ثم إنك كتبت إلى تسأل أن أبعث إليك بكتب عمر بن الخطاب ، وسيرته وقضائه بين المسلمين وأهل الذمة . وإن عمر ، رحمه الله ، عمل في غير زمانك ، وأنا أرجو ، إن عملت بمثل ما عمل به عمر ، أن تكون عند الله بمنزلة من عمر . وقل كما قال العبد الصالح : ﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ ^(١) والسلام عليك .

قال : حدثنا معمر بن سليمان الرقي ، عن الفرات بن سليمان ، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى سالم بن عبد الله :

« سلام عليك ؛ فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو .

أما بعد ؛ فإن الله عز وجل ابتلاني بما ابتلاني به من أمر هذه الأمة ، من غير مشورة مني فيها ، ولا طلب مني لها ، إلا قدر من الرحمن قدره على ، فأسأل الذي ابتلاني أن يعينني على ما ولاني من عباده وبلاده ، ، وأن يرزقني فيهم العمل بطاعته ، وأن يرزقهم مني الرأفة والرحمة ، ويرزقني منهم السمع والطاعة وحسن المؤازرة .

فإذا جاءك كتابي هذا فابعث إلى بكتب عمر وسيرته ، وقضائه في أهل القبلة وأهل الذمة ، فإنني سائر بسيرته ، ومتبع أثره إن الله أعانني على ذلك ، إن شاء الله ، والسلام »
فكتب إليه سالم :

« من سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز سلام عليك ، فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو .

أما بعد ، فإن الله تعالى خلق الدنيا لما أراد ، فجعل لها مدة قصيرة ، ثم قضى عليها وعلى أهلها الفناء . ثم إنك ، يا عمر ، قد وليت أمراً عظيماً ، فإن استطعت أن تخسر نفسك وأهلك يوم القيامة فافعل ، فإنه كان فيما مضى قبلك رجال أماتوا ما أماتوا ، وأحيوا

(١) سورة هود : آية ٨٨ .

ما أحيوا ، حتى ولد في ذلك رجال ونساء ، وظنوا أنها السنة ، فلا يمنعك من نزع عامل أن تقول : لا أجد من يكفيني عمله . فإنك إن كنت تعمل لله ، أتاح الله لك أعواناً ، وإنما قدر العون بقدر النية . وإن استطعت أن تجيء يوم القيامة لا يتبعك أحد بمظلمة ، ويهين من قبلك وهم غابطون لك ، فافعل ؛ فإنهم قد عالجوا نزع الموت ، وعانوا أهوال المطلاع ، وانفقات أعينهم التي كانت لا تنقضي لذتها ، وانشقت بطونهم التي كانوا لا يشبعون فيها ، واندقت رقابهم غير متوسدين بعد تظاهر الفرش والمرافق والسرر والخدم ، وصاروا جيفاً في بطون الأرض تحت آكامها ، لو كانوا إلى جنب مساكين تأذوا من ريحهم بعد إنفاق ، ما لا يحصى من الطيب . فلما لله وإنا إليه راجعون . ما أعظم ما ابتليت به ياعمر فمن بعثت من عمالك فازجره زجراً شديداً شبيهاً بالعقوبة عن أخذ الأموال ، وسفك الدماء إلا بحقها . المال يا عمر . الدم الدم يا عمر . كتبت إلى أن أبعث اليك بكتب عمر وسيرته

وإن عمر عمل في غير زمانك ، وبغير رجالك ، ووليت في زمن تعلم بعدما عمل . وأنا أرجو إن عملت على النحو الذي عمل به عمر ، بعدما بلوت من الظلم ، أن تكون أفضل من عمر عند الله . وقل كما قال العبد الصالح : ﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ﴾ . إلى قوله - ﴿ أنيب ﴾ ^(١)

وقد روى هذا الحديث إسحاق بن سليمان ، عن حنظلة بن أبي سفيان ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى سالم : أن اكتب إلى ببعض رسائل عمر - فذكر المعنى - . ورواه علي بن ثابت ، عن جعفر بن برقان ، قال : كتب عمر إلى سالم - فذكره فاقصرت على ما ذكرت ، لأن المعاني متقاربة - .

موعظة سالم ومحمد بن كعب لعمر

كن كالمداوى جرحاً يصبر على شدة الدواء لما يرجو من الشفاء :

قال : حدثنا روح بن عبادة ، عن عمر بن ذر ، قال : لما استخلف عمر ، دخل عليه سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب ، وهو مكثب حزين ، فأقبل علي أحدهما فقال :

(١) سورة هود : آية ٨٨

« عظني » . فقال :

« يا أمير المؤمنين ! إن الله لم يجعل أحدا من خلقه فوقك ، فلا ترض لنفسك أن يكون أحد من خلقه أطوع له منك . واجعل الناس أصنافاً ثلاثة : الكبير بمنزلة الأب ، والوسط بمنزلة الأخ ، والصغير كمنزلة الولد . فبر أباك ، وصل أخاك ، واعطف على ولدك . واعلم أنك لست أول خليفة يموت » .

فأقبل على الآخر فقال : « عظني » فقال :

يا أمير المؤمنين ! إن الدنيا عطن مهجور ، وأكل منزوع ، وعرض بلاء ، ومستقر آفات يحيط بها الدل ويفنيه الثكل ، لكل فرحة منها ترحة ، ولكل سرور منها غرور ، وقد رغب عنها السعداء ، وانتزعت من أيدي الأشقياء . فكن فيها ، يا أمير المؤمنين ، كالمداوى جرحه ، يصبر على شدة الدواء لما يرجو من الشفاء » .

فبكى عمر وقال : لا حول ولا قوة إلا بالله .

موعظة محمد بن كعب لعمر

افتح الأبواب وسهل الحجاب :

قال : حدثنا حاتم بن الليث - وأخبرنا شيخ من بنى سليم - أن عمر بن عبد العزيز كان عنده هشام بن مصاد ، وكانا يتحدثان ، فذكر عمر شيئاً فبكى ، فأتاه مولاه مزاحم فقال : إن محمد بن كعب القرظي بالبواب ، فقال : أدخله . فدخل وعمر يمسح عينيه من الدموع فقال له محمد بن كعب . ما أبكاك يا أمير المؤمنين ؟ فقال هشام بن مصاد : أبكاه كذا وكذا ، فقال له محمد :

يا أمير المؤمنين ! إنما الدنيا سوق من الأسواق ، فمنها خرج الناس بما ضرهم ، ومنها خرجوا بما نفعهم . . وكم من قوم غرهم منها مثل الذي أصبحنا فيه ، حتى أتاهم الموت فاستنوعبهم ، فخرجوا منها ملومين ، لم يأخذوا منها لما أحبوا من الآخرة عدة ، ولا لما كرهوا الجنة . وأقسم ما جمعوا من لم يحمدهم ، وصاروا إلى من لا يعذرهم ، فنحن

محقوقون ، يا أمير المؤمنين ، إن ننظر إلى تلك الأعمال التي تتخوف عليها منها فتكف عنهم . فاتق الله ، يا أمير المؤمنين ، واجعل في قلبك سبيل اثنتين : انظر الذي تحب أن يكون معك إذا قدمت على ربك ، عز وجل ، فابتغ به البذل حيث لا يؤخذ البذل ، ولا تذهبن إلى سلعة قد بارت على من كان قبلك ترجو أن تجوز عنك . فاتق الله يا أمير المؤمنين وافتح الأبواب وسهل الحجاب ، وانصر المظلوم ورد الظالم . ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان بالله ، عز وجل : من إذا رضى لم يدخله رضاه في الباطل ، وإذا غضب لم يخرج غضبه من الحق ، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له .

موعظة أخرى لمحمد بن كعب لعمر

قال : حدثنا مروان بن زند الشامى ، عن هشام بن مصار ، قال : كنت جالساً مع عمر ابن عبد العزيز ، فدخل عليه محمد بن كعب فقال له :

« ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان : من إذا رضى لم يدخله رضاه في الباطل ، وإذا غضب لم يخرج غضبه من الحق ، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له . »

موعظة أبى حازم لعمر

قال أبو الحسن على بن أحمد بن على ، وأخبرنا يعقوب بن محمد بن عيسى الزهرى عن عبد العزيز بن أبى حازم ، عن أبيه ، قال : قال لى عمر بن عبد العزيز : « عظمى » فقلت : « اضطلع ثم اجعل الموت عند رأسك ، ثم انظر ما تحب ما يكون فيك تلك الساعة ، فخذ فيه الآن وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة ، فدعه الآن . »

قال : حدثنا عبد بن محمد القرشى قال : حدثنى الحسين بن على بن عبد الله بن موسى قال : كتب أبو حازم إلى عمر بن عبد العزيز :

« اتق أن تلقى محمداً ﷺ ، وأنت بتبليغ الرسالة له مصدق ، وهو عليك ، بسوء الخلافة فى أمته ، شهيد . »

موعظة القاسم بن مخيمرة لعمر

قال : حدثنا القاسم بن سليمان ، عن القاسم بن مخيمرة ، قال ، : دخلت على عمر ابن عبد العزيز ، وفي صدرى حديث يتجلجل فيه ، أريد أن أقذفه إليه ، فقلت له : بلغنا أن من ولى على الناس سلطاناً فاحتجب عن فاقتهم وحاجتهم ، احتجب الله عن فاقته وحاجته يوم يلقاه ، قال : فقال : ما تقول ؟ ثم أطرق طويلاً فعرفتها فيه ، وبرز للناس .

موعظة ابن الأهم لعمر

رحمه الله تعالى

حال العرب قبل الإسلام وبعده :

قال : حدثنا محمد بن يزيد بن حنديس قال : قال سفيان بن عيينة : دخل ابن الأهم على عمر بن عبد العزيز فقال : أطريك ؟ قال : لا . قال : فأعظك ؟ قال : نعم ، قال : فافتح الباب وادخل الناس . قال : فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« إن الله تبارك وتعالى خلق الخلق ، غنياً عن طاعتهم ، آمناً لمعصيتهم أن تنقصه ، فالناس يومئذ في الحالات والمنازل مختلفون : فالعرب منهم بشر تلك الحال - أهل الوبر والشعر والحجر - لا يتلون كتاباً ، ولا يصلون جماعة ، ميتهم في النار ، وحيهم أعمى بشر حال ، مع الذى لا يحصى من عيشهم المزهود فيه والمرغوب عنه ، فلما أراد الله أن ينشر فيهم حكمته ، بعث فيهم رسولاً من أنفسهم : ﴿ عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ (١) فبلغ محمد رسالة ربه ونصح لأمته ، وجاهد في الله حق جهاده ، حتى أتاه اليقين . ثم ولى أبو بكر من بعده . فارتدت العرب - أو من ارتد منها - فحرصوا على أن يقيموا الصلاة ، ولا يؤتوا الزكاة ، فأبى أبو بكر أن يقبل منهم إلا ما كان رسول الله ﷺ قابلاً لو كان حياً ، فلم يزل يخرق أوصالهم ، ويسقى الأرض من دمائهم ،

(١) سورة التوبة آية : ١٢٨ .

حتى أدخلهم في الباب الذي خرجوا منه ، وقررهم على الأمر الذي نفروا منه ، وأوقد في الحرب شعلها ، وحمل أهل الحق على رقاب أهل الباطل ، ثم حضرته الوفاة وقد أصاب من فيء المسلمين سناً لقوحاً كان يرتضع من لبنها ، وبكراً كان يروى عليه أهله الماء وحشيشة كانت ترضع ابنأله ، فلم يزل ذلك غصة في حلقه ، وثقلاً على كاهله ، حتى خرج منه إلى ولي الأمر من بعده عمر بن الخطاب ، ثم ولي عمر ، فحسر عن ذراعيه ، وشمر عن ساقه ، وأعد للأمور أقرانها فراضها ، فأذل صعايبها ، وترك الأمر فيها إلى يسر ، ثم حضرته الوفاة ، وكان قد أصاب من فيء المسلمين شيئاً ، فلم يرض في ذلك بكافة من أحد من ولده ، حتى باع في ذلك ربعه ، وضم إلى بيت مال المسلمين . وإيم الله ! ما اجتمعن من بعدهما « إلا على ظلم » .

امض رحمك الله ولا تلتفت :

ثم أقبل على عمر بن عبد العزيز فقال :

« وأنت يا عمر ! بنى الدنيا ، غذتك بأطاييها ، وألقمتهك ثديها تطلبها من مظانها ، تعادى فيها وترضى لها ، حتى إذا ما أفضت إليك بأركانها من غير طلب منك لها ، رفضتها ورميت بها حيث رمى الله بها . فامض رحمك الله ، ولا تلتفت .

فالحمد لله الذي فرج بك كربنا و نفس بك غمنا ، فإنه لا يذل مع الحق حقير ، ولا يكبر مع الباطل عزيز . أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لى ولكم » .

قال : حدثنا داود بن محبر ، عن المبارك بن فضالة ، قال : دخل عبد الله بن الأهمم على عمر بن عبد العزيز وهو جالس على سرير ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم أخذ في سوعظته الطويلة .

فنزل عمر عن سريره حتى استوى بالأرض ، وجثا على ركبتيه ، وابن الأهمم يقول « وأنت يا عمر ! وأنت يا عمر ! وأنت يا عمر من أولاد الملوك وأبناء الدنيا ، ولمدوا في النعيم وغدوا به ، لا يعرفون غيره » وعمر يكي ويقول : « هيه . هيه ، يا ابن الأهمم هيه ! » فلم يزل يعظه وعمر يكي حتى غشى عليه .

موعظة خالد بن صفوان لعمر

لأخافته مخافة ولأحبه محبة :

قال حدثنا إبراهيم بن بشار قال : سمعت إبراهيم بن أدهم يقول : بلغني أن عمر بن عبد العزيز قال لخالد بن صفوان : « عظمي وأوجز » فقال خالد بن صفوان :

« يا أمير المؤمنين ! إن أقواماً غرهم ستر الله ، وفتنهم حسن الثناء ، فلا يغلبن جهل غيرك بك علمك بنفسك . أعاذنا الله ، وإياك أن نكون بالستر مغرورين ، وبثناء الناس مفتونين ، وعما افترض الله علينا متخلفين ، وإلى الله مائلين » .

قال : فبكى ، ثم قال : أعاذنا الله ، وإياك من اتباع الهوى .

قال حدثنا إبراهيم بن بشار قال : سمعت الفضيل يقول بلغني أن خالد بن صفوان دخل على عمر بن عبد العزيز ، فقال له : « عظمي يا خالد » فقال :

« إن الله لم يرض أحداً فوقك ، فلا ترض أن يكون أحداً أولى بالشكر منك » .

قال ، فبكى عمر حتى غشى عليه ، ثم أفاق ، فقال : هيه يا خالد ، لم يرض أن يكون أحد فوقى ؟

فوالله لأخافته خوفاً ، ولأحذرته حذراً ، ولأرجوته رجاء ، ولأحبه محبة ، ولأشكرته شكراً ، ولأحمدته حمداً يكون ذلك كله غاية طاقتي ، ولأجتهدن في العدل والنصفة ، والزهد في فاني الدنيا لزوالها ، والرغبة في بقاء الآخرة ودوامها ، حتى ألقى الله عز وجل ، فلعلني أنجو مع الناجين ، وأفوز مع الفائزين .

وبكى عمر حتى غشى عليه . قال : فتركته مغشياً عليه ، وانصرفت .

موعظة زياد لعمر

ما أحد من أمة محمد إلا وهو خصم لك :

قال حدثنا عمر بن علي ، عن جويرية بن أسماء ، قال : قدم زياد العبد على عمر فقال له عمر : يا زياد ! ألا ترى ما ابتليت به من أمر أمة محمد ﷺ ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! لا تعمل نفسك في الوصف ، واعمل نفسك في المخرج مما وقعت فيه ، فلو أن كل شعرة منك نطقت ، ما بلغت كنه ما أنت فيه . ثم قال زياد : يا أمير المؤمنين ! أخبرني عن رجل له خصم ألد ما حاله ؟ قال سيء الحال ! قال : فإن كانا خصمين ألدّين ؟ قال : ذلك أسوأ لحاله . قال : فإن كانوا ثلاثة ؟ قال : ذاك حين لا يهتثه عيش . قال : فوالله يا أمير المؤمنين ، ما أحد من أمة محمد إلا وهو خصم لك . قال : فبكى عمر ، حتى تمنيت أن لا أكون قلت له .

قال : حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن زياد مولى ابن عياش ، قال : لو رأيته ، ودخلت على عمر في ليلة شتائية ، وبين يديه كانون ، وعمر على كتابه ، فجلست أصطلى ، فلما فرغ من كتابه مشى إليّ حتى جلس معي على الكانون ، وهو خليفة ، فقال : زياد ؟ قلت : نعم . قال :

قص علي ، قلت : ما أنا بقاص . قال : فتكلم . قلت : زياد ، قال : وما له ؟ قلت : لا ينفعه من دخل الجنة إذا أدخل النار ، ولا يضره من دخل النار إذا أدخل الجنة . قال : صدقت ، والله لا ينفعك من دخل الجنة إذا دخلت النار ، ولا يضرّك من دخل النار إذا دخلت الجنة . قال : فلقد رأيته يبكي حتى أطفأ ذلك الجمر الذي على الكانون .

موعظة سالم مولى ابن كعب لعمر

أخاف عليك أن لا تخاف :

قال : حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى قال : حدثني أبي ، عن جدي قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى محمد بن كعب يسأله أن يبيعه غلامه سالماً . وكان عابداً خيراً .

فقال : إني قد دبرته ، قال : فأزرنيه ، قال : فأتاه سالم ، فقال عمر : إني قد ابتليت بما ترى وأنا والله أتخوف أن لا أنجو . فقال له سالم : إن كنت كما تقول فهذا نجاتك ، وإلا فهو الأمر الذي تخاف . فقال : يا سالم ، عظنا قال : ليم آدم ﷺ على خطيئة واحدة فأخرج من الجنة ، وأنتم ، تعملون الخطايا ترجون تدخلون بها الجنة ؟ ثم سكت .

قال : حدثنا النضر بن زرارة ، عن الثقة ، قال : كان لعمر بن عبد العزيز أخ ، وأخاه في الله سبحانه عبد مملوك يقال له سالم . فلما استخلف ، دعاه ذات يوم فأتاه ، فقال له : يا سالم إني أخاف أن لا أنجو . قال : إن كنت تخاف فنعماً ، لكنني أخاف عليك أن لا تخاف قال سالم : إن الله أسكن عبداً داراً ، فأذنب فيها ذنباً واحداً ، فأخرجه من تلك الدار ، فنحن أصحاب ذنوب كثيرة نريد أن نسكن تلك الدار ؟

موعظة مزاحم لعمر

أحذرك ليلة تمخض بالقيامة :

قال : حدثني نوفل بن عمارة قال : قال عمر بن عبد العزيز : إن أول من أيقظني لهذا الشأن مزاحم : حبست رجلاً فجاوزت في حبسه القدر الذي يجب عليه ، فكلمني في إطلاقه .

فقلت : ما أنا بمخرجه حتى أبلغ في الحيلة عليه بما هو أكثر مما مر عليه ، فقال مزاحم : « يا عمر بن عبد العزيز ! إني أحذرك ليلة تمخض بالقيامة ، في صبيحتها تقوم الساعة . يا عمر ! ولقد كدت أنسى اسمك مما أسمع قال : الأمير ، قال الأمير » .
فوالله ما هو إلا أن قال ذلك ، فكأنما كشف عن وجهي غطاء ، فذكروا أنفسهم ، رحمكم الله ، فإن الذكرى تنفع المؤمنين .

موعظة رجل لعمر

رحمه الله

· خاف العالم فلم ينطق ، وجهل الجاهل فلم يسأل :

قال : حدثنا عبد الوهاب قال : سمع عمر بن عبد العزيز برجل من بقايا المسلمين قد فر بدينه ، فسكن الشام ، فكتب إليه يشكو إليه ما ابتلى به من أمر هذه الأمة ، وقلة الأعوان على الحق ويطلب المعاونة والمؤازرة على الحق ، فكتب إليه :

« وصل إلى كتابك ، يا أمير المؤمنين ، وفهمت ما ذكرت ، واعلم أنك أصبحت في خلق بال ورسم دارس ، خاف العالم فلم ينطق ، وجهل الجاهل فلم يسأل ، وطلبت مني المعاونة والمؤازرة فيما أنعم الله على ، فلن أكون ظهيراً للمجرمين » .

فلما قرأ عمر الكتاب قال : نظر المسلم لنفسه ، إذ لم ينظر عمر لنفسه ، وأساء إلى نفسه .

موعظة رجل آخر

قال : حدثني فياض بن محمد الرقي ، عن عبيدة بن حسان السنجاوى ، أن رجلاً من أهل أذربيجان أتى عمر بن عبد العزيز ، فقام بين يديه ، فقال :

« يا أمير المؤمنين ! اذكر بمقامى هذا مقاماً لا تشغل الله عنك فيه كثرة من يخاصم من الخلائق ، يوم تلقاه بلا ثقة من العمل ، ولا براءة من الذنب » .

قال : فبكى بكاء شديداً ، ثم قال : ونحك ! اردد على كلامك هذا ، فجعل يردده عليه ، وعمر يبكى وينتحب . ثم قال : ما حاجتك ؟ قال : إن عامل أذربيجان عدا علىّ ، فأخذ منى اثنا عشر ألف درهم ، فجعلها في بيت المال . فقال عمر : اكتبوا له الساعة إلى عاملها ، حتى يرد عليه (١) .

(١) سبق هذا فيما مضى .

ذكر ما وعظ به عمر بن عبد العزيز

من الشعر

قصيدة سابق البربري :

قال حدثنا أحمد بن جعفر المنادي قال : استرويت من أبي سليمان أحمد بن عبد الله الجواليقي قال : قال سابق البربري لعمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه :

باسم الذي أنزلت من عنده السور	والحمد لله . أما بعد يا عمر
إن كنت تعلم ما تأتي وما تذر	فكن على حذر ، قد ينفع الحذر
واصبر على القدر المجلوب وارض به	وإن أتاك بما لا تشتهي القدر
فما صفا لأمري عيش يسر به	وإلا سيتبع ، يوماً ، صفوه كدر
واستخبر الناس عما أنت جاهله	إذا عميت ، فقد يجلو العمى الخبر
قد يرعوى المرء يوماً بعد هفوته	وتحكم الجاهل الأيام والغير
إن التقى خير زاد أنت حامله	والبر أفضل شيء ناله بشر
من يطلب الجور لا يظفر بحاجته	وطالب الحق قد يهدي له الظفر
وفى الهدى عبر تشفى القلوب بها	كالغيث ينضر عن وسميه الشجر
وليس ذو العلم بالتقوى كجاهلها	ولا البصير كأعمى ما له بصر
والرشد نافلة تهدي لصاحبها	والغنى يكره منه الورد والصدر
قد يوبق المرء أمر وهو يحقره	والشئ ، يا نفس ينمى وهو يحقر
لا يشبع النفس شيء حين تحزره	ولا يزال لها في غيره وطر
ولا تزال ، وإن كانت لها سعة	لها إلى الشئ لم تظفر به نظر
وكل شيء له حال قد تغيره	كما تغير لون اللّمة الغير
والذكر فيه حياة القلوب كما	يحيى البلاد ، إذا ماتت المطر

والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه
لا ينفع الذكر قلباً قاسياً أبداً
والموت جسرٌ لمن يمشى على قدم
فهم يمرون أفواجاً وتجمعهم
من كان في معقل للحرز أسلمه
حتى متى أنا في الدنيا أخو كلف
أثر أكان للذكر في جسدي^(٢)
لو كان يسهر عيني ذكر آخرتي
إذاً لداويت قلباً قد أضر به
ما يلبث الشيء أن يبلى إذا اختلفت
والمرء يصعد ريعان الشباب به
وكل بيت خراب بعد جدته
بيننا يرى الغصن لدناً في أرومته
كم من جميع أشت الدهر شملهم
ورب أصيد سامى الطرف معتصب
يظل مفترش الدياج ، محتجباً
قد غادرته المنايا وهو مستلب
أبعد آدم ترجون البقاء ؟ وهل
لهم بيوت بمستن السيول ، وهل
إلى الفناء ، وإن طالت سلامتهم
إن الأمور إذا استقبلتها اشتبهت
والمرء ما عاش في الدنيا له أمل
لها حلاوة عيش غير دائمة

كما يجلى سواد الظلمة القمر
وهل يلين لقول الواعظ الحجر ؟
إلى الأمور التي تخشى وتنتظر
دار إليها يصير البذو والحضر
أو كان في خمر ، لم ينجه خمر
ولا أراى في الخد منى إلى لذاتها صغر
والماء في الحجر القاسى ، له أثر
كما يؤرقنى للعاجل السهر
طول السقام ووهن العظم ينجب
يوماً على نقضه الروحات والبكر
وكل مصعدة يوماً ستنحدر
ومن وراء الشباب الموت والكبر
ريان ، أضحى حطاماً جوفه نخر
وكل شمل جميع سوف ينتثر
بالتاج ، نيرانه للحرب تستعر
عليه تبنى قباب الملك والحجر
مجدل ، تراه على الخدين ، منعفر
تبقى فروع لأصل حين ينقر
يبقى على الماء بيت أسه مدر ؟
مصير كل بنى أنثى ، وإن كثروا
وفى تدبرها التبيان والعبر
إذا انقضى سفر منها ، أتى سفر
وفى العواقب منها المر والصبر

إذا انقضت زُمرُ آجالها نزلتُ
وليس يزجركم ما تُوعظون به
أصبحتم جزراً للموت يقبضكم
لا تبطروا ، واهجروا الدنيا فإن لها
ثم اقتدوا بالأولى كانوا لكم غرراً
حتى تكونوا على منهاج أولكم
ما لي أرى الناس والدنيا مولىة
لا يشعرون بما في دينهم نقصوا
على منازلها من بعدها ، زُمرُ
والبهم يزجرها الراعى فتتجزرُ
كما البهائم في الدنيا لها جزرُ
غيباً وخيماً ، وكفرُ النعمة البطرُ
وليس من أمةٍ إلا لها غررُ
وتصبروا عن هوى الدنيا كما صبروا
وكل حبل عليها سوف ينبترُ ؟
جهلاً ، وإن نقصت دنياهم شعروا

قال : حدثنا عبد الرحمن بن المغيرة ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ،

قال : كتب عبيد الله بن عبد الله ، عن عتبة ، إلى عمر بن عبد العزيز :

باسم الذي أنزلت من عنده السور

فذكر أربعة أبيات من أول هذه القصيدة .

من شعر سابق البربري في موعظة عمر :

قال : حدثنا حماد بن الوليد قال : سمعت عمر بن ذر بلغه عن ميمون بن مهران

قال : دخلت على عمر بن العزيز يوماً ، وعنده سابق البربري وهو ينشده شعراً ، فأنتهى
في شعره إلى هذه الأبيات :

فكم من صحيح بات للموت آمناً أته المنايا بغتة بعدما هجع
فلم يستطع ، إذ جاءه الموت آمناً فراراً ، ولا منه بقوته امتنع
فأصبح تبكيه النساء مقنناً ولا يسمع الداعي ، وإن صوته رفع

وَقُرْبٌ مِنْ لَحْدٍ ، فَصَارَ مَقِيلُهُ وفارق ما قد كان في أمسه جمعُ
فلا يترك الموتُ الغنىَّ لماله ولا معدماً في المال ، ذا حاجة ، يدعُ

زاد أبو نعيم : فلم يزل عمر يبكي ويضطرب ، حتى غشي عليه ، فقمنا فانصرفنا
عنه

قال : حدثنا عثمان بن عبد الحميد قال : دخل سابق البربري على عمر بن عبد
العزیز فقال له عمر : « عظمي يا سابق ، وأوجز » قال : نعم ، يا أمير المؤمنين ، وأبلغ إن
شاء الله تعالى . قال : هات ، فأنشده هذه الأبيات :

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقي ووافيتَ بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون شريكه وأرصدت قبل الموت ما كان أرصدا

فبكى عمر حتى سقط مغشياً عليه . والله أعلم وأحكم .



الباب الثاني والعشرون^(١)

فى ذكر لباسه وهىئته

رحمه الله

قال : حدثنى أحمد بن الحارث بن المبارك ، عن على بن محمد البصرى ، عن شيخ من قرىش ، قال : كان عمر بن عبد العزيز يقول قبل الخلافة : « لقد خفت أن يعجز ما قسم الله لى عن كسوتى ، وما لبست ثوباً قط فرآه الناس على خيل لى أنه قد بلى » فلما ولى خرج من ذلك كله .

أفضل القصد عند الجدة ، وأضل العفو عند المقدرة :

قال أبو بكر عن عبيد : وحدثنى سعيد بن سويد ، عن حرس عمر بن عبد العزيز ، قال : صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ، ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ! إن الله ، عز وجل ، قد أعطاك ، فلو لبست !؟ فنكس ملياً ثم رفع رأسه « فقال » : « إن أفضل القصد عند الجدة ، وأفضل العفو عند المقدرة » .

قال : حدثنا خالد بن إسماعيل ، عن جعفر بن محمد ، عن سفيان بن عاصم ، قال : كان عمر بن عبد العزيز دقيق الوجه حسنه ، نحيف الجسم ، حسن اللحية ، غائر العينين ، بجبهته شجة^(٢) قد وخطه الشيب .

قال : حدثنا جرير بن حازم ، عن يعلى بن حكيم ، قال : كانت . أردية عمر بن عبد العزيز ستة أذرع وشبراً فى سبعة أشبار .

قال : أخبرنى رجاء بن حيوة قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز قوموا ثيابه اثنا

(١) هذا الباب معذوف من المختصر . (٢) تقدم أول الكتاب .

عشر درهماً : كتمته وعمامته وقميصه وقبائه وقرطقه وخفيه ورداءه .

قال : وحدثنا أبو بكر بن عياش قال : قال عاصم : دخلت على عمر بن عبد العزيز وعليه ثياب غسيلة قومتها بستين درهماً .

قال : حدثنا ، هقل^(١) عن الأوزاعي ، قال : كان عمر بن عبد العزيز يقول : « قص الشارب إلى الإطار » .

قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، قال : كان عمر يؤم الناس في جبة وساج ليس عليه إزار .

قال : حدثنا عبيد الله - هو ابن عمر - قال : سمعت شيخاً كان في حرس عمر بن عبد العزيز قال : رأيت عمر بن عبد العزيز « حين ولي » وبه من حسن اللون وجودة الثياب والبزة ، ثم دخلت عليه بعد وقد ولي ، فإذا هو قد احترق واسود ، ولصق جلده بعظمه ، حتى ليس بين الجلد والعظم لحم ، وإذا عليه قلنسوة بيضاء قد اجتمع قطنها ، يعلم أنها قد غسلت ، وعليه سحق أنبجانية قد خرج سداها ، وهو على شاذكونة قد لصقت بالأرض ، تحت الشاذكونة عباءة قطوانية من مشاققة الصوف^(٢) .

قال : حدثنا حازم قال : حدثني رجل يقال له زيد ، قال : جاء عمر بن عبد العزيز يوم ركباً ، فنزل ثم جاء يمشى ، وعليه جبة محشوة بيضاء ، وعليه ثمامية صفيقة ، وسراويل يمنية ، وخفان ساذجان .

قال : حدثنا عيسى بن يونس ، عن الأوزاعي ، عن عمر بن مهاجر ، قال : كان قميص عمر بن عبد العزيز فيما بين الكعب والشراب .

يكفى الرجل من الكلام قدر ما يسمع :

قال : حدثنا عاصم بن بهدلة قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، وعليه ثياب غسيلة ، فقومتها ثمانين درهماً مع عمامة كانت عليه ، وعنده رجل رافع صوته فقال له

(١) هو قتل بن زياد السكسكى ، كاتب ، الأوزاعي راجع . « الكاشف : ١٩٨/٣ »

(٢) سبق هذا فيما تقدم .

عمر : اخفض من صوتك ، فإنما يكفى الرجل من الكلام قدر ما يسمع .

قال : حدثنا الحكم بن عمر الرعنى ، أبو سليمان ، قال : شهدت عمر بن عبد العزيز وأنا ابن عشرين سنة - وقد هلك عمر منذ اثنتين وسبعين سنة - ورأيت عمر قد وخطه الشيب ولم يخضب ، ورأيت لا يخفى شارب ، ورأيت خاتم عمر بن عبد العزيز من فضة ، وفصه من فضة مربع ، قال الحكم : درس فنقشته أنا كالأبر يعزه عمر .

قال : ورأيت على عمر قلنسوة بيضاء لازية برأسه ، وعمامة غليظة يعتم بها ، ورأيت عليه قميص قطري كتان ، ثمن دينار ودرهمين ، وملاءة قرقطة مثل ذلك فى الصيف . وكان عليه فى الشتاء طيلسان ، لا أراه إلا دباوندى سخيف . ورأيت عليه جبة مبطنة بفراء مكان القطن ، وفوق الجبة ثوب أبيض ظهارة وبطانة .

كان نقش خاتمه « لكل عمل ثواب » :

قال : حدثنا الحكم بن عمر قال : رأيت خاتم عمر بن عبد العزيز من فضة ، وفصه من فضة مربع .

قال : حدثنا الضحاک بن زمل قال : كان نقش خاتم عمر بن عبد العزيز « لكل عمل ثواب » .

قال : حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن عمر بن مهاجر ، قهرمان عمر بن عبد العزيز ، قال : كان خاتم عمر بن عبد العزيز : « الوفاء » .

قال : حدثنا عبيد الله بن يعقوب بن يونس الكاهلى قال : كان عمر بن عبد العزيز يلبس الفرو الغليظ ، وكان سراجة على ثلاث قصبات ، فوقهن طين .

قال : حدثنا ابن شوذب ، عن رياح بن عبيدة قال : كنت أُنجر ، فقال لى عمر بن عبد العزيز :

يا رياح ، اتخذ لى كساءين خزاً ، أتخذ أحدهما مجلساً ، والآخر شعاراً ، ففعلت ، فصبغتُهما بالبصرة فلم آل ، ثم قدمت بهما عليه ، فأمر بقبضتهما .

فلما أصبح غدوت عليه فقال لى يا رياح ! ما أجود ثوبيك لولا خشونة فيهما . فلما ولى قال لى : يا رياح اتخذ لى من هذه الجباب الهروية ، فاشتريت له ثلاث شقاق ، فقطعت من الثلاث جبتين ، ثم أتيت بهما إليه ، فقبضهما .

فقال : يا رياح ! ما أحسن ثوبيك لولا لين فيهما ، قال : فذكرت قوله الأول وقوله الآخر .

قال : حدثنا محمد بن صالح قال : رأيت على عمر بن عبد العزيز ، بدير سمعان ، قميصاً من شعر مما يلى جسده ، طوله إلى الركبتين ، كميته إلى المرفقين .
انتظر ثيابى تغسل لأصعد بها المنبر :

قال : حدثنا نعيم : قال : قلت لعمر بن عبد العزيز : ما يقعدك هاهنا؟
قال : أنتظر ثيابى تغسل لأصعد بها المنبر ، قلت : وما هى ؟ قال : قميص وإزار ورداء قيمتهن أربعة عشر درهماً .

قال : حدثنا يحيى بن سعيد العطار ، عن عتبة بن المنذر ، قال : رأيت أبا أمامة ، وأبا رهم ، وعمر بن عبد العزيز ، عليهم قلانس بيض صغار .

قال : حدثنا إسماعيل بن عياش قال : قلت لعمر بن مهاجر ، صاحب حرس عمر : ما كان عمر يلبس فى بيته ؟ قال : جبة سوداء مبطنة .

قال : حدثنا ابن هلال قال : رأيت عمر بن عبد العزيز لا يخفى شارته جداً ، يأخذ منه أخذاً حسناً .

قال : حدثنا محمد بن إبراهيم ، أبو أمية ، غلام عمر بن عبد العزيز ، قال : دخلت مع عمر الحمام يوماً ، فأطلى ، فولى مغابنه بيده .



الباب الثالث والعشرون

فى ذكر زهده

قال : حدثنا عبد الله بن كثير قال : قيل لعمر بن عبد العزيز : ما كان بدء إنابتك ؟ قال : أردت ضرب غلام لى ، فقال لى : يا عمر ! اذكر ليلة صبيحتها يوم القيامة .

قال : حدثنا ابن عياش ، عن محمد بن المهاجر ، عن العباس بن سالم اللخمي ، قال : بعث عمر بن عبد العزيز إلى أبى سلام الحبشى ، فحمل إليه على البريد ليسأله عن الحوض فقدمت إليه فسأله ، فقال : سمعت ثوبان يقول : سمعت رسول الله يقول ﷺ : « إن حوضى ما بين عدن إلى عمان البلقاء مأؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأكاوييه عدد النجوم ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً أول الناس وروداً عليه : فقراء المهاجرين . فقال عمر بن الخطاب : من هم يا رسول الله : قال : هم الشعث رؤوساً الدنس ثياباً ، الذين لا يذكحون المنعمات ، ولا تفتح لهم أبواب السدد » . فقال عمر بن عبد العزيز : لقد نكحت المنعمات ، وفتحت لى أبواب السدد ، إلا أن يرحمنى الله ، لا جرم ، لا أدهن رأسى حتى يشعث ، ولا أغسل ثوبى الذى يلى جسدى حتى يتسخ^(١) .

قال : حدثنا مروان بن معاوية ، عن أبى داود الروقى قال : قال رجل لعمر : ألا نصنع لك دواء يشهيك الطعام ؟ قال : وما أصنع به ؟ فوالله إنى لأخرج المخرج فيؤذنى ما يخرج منى . قيل : أفلا نصنع لك دواء يشهيك النساء ؟ قال : وما أصنع به ؟ فوالله لربما كان ذلك فأجد لذلك غفلة وشره .

تلك حال وهذه حال :

قال : حدثنى يعقوب ، عن أبيه ، قال : كان عمر بن عبد العزيز يذيل ثيابه ، ويسرف فى عطره ، فلقد كان يدخل فى طيبه حمل القرنفل ، ولقد رأيت العنبر على لحيته كالمالح .

فلما أفضت إليه الخلافة ترك ذلك وتبذل . قال : فأخبرني رياح بن عبدة ، وكان تاجراً من أهل البصرة يعامل عمر بن عبد العزيز ، يأمر وهو بالمدينة أن يشتري له جبة خزر ، قال : فاشتريتها بعشرة دنانير ، ثم أتيتها بها فمسها ، وقال : إني لأستخشنها ، فلما ولى الخلافة أمرني فاشتريت له جبة صوف بدينار ، فأتيتها بها فجعل يدخل يده فيها ويقول : ما ألينها ، فقلت : عجباً ! تستخشن الخزر أمس وتستلين الصوف اليوم : قال : تلك حال ، وهذه حال .

أين عيشنا اليوم من عيشنا إذ كنا بمصر :

قال : حدثنا ابن وهب قال : حدثني مالك ، عن أبي صعصعة أنه كان يحدث عمر ابن عبد العزيز عن مغازى القسطنطينية . قال : فيبكي عمر بكاء شديداً قال : وقال مالك : إن عمر بن عبد العزيز قال ذات ليلة ، ومعه مزاحم ، ورجل يقال له : ابن مافنة ، قال : فدخل عمر بيته ، ثم قال لمزاحم : ائذن لابن مافنة ، فأذن له ، قال : فدخلت عليه . فإذا بمائدة عليها صحيفة مخمرة بمنديل ، وعمر قائم يركع ، قال : فركع ركعتين ، ثم أقبل فجلس ، فاجتذب المائدة بيده ، ثم قال لى : كل ، أين عيشنا اليوم من عيشنا إذ كنا بمصر ؟ قال : فقلت له : لا شيء . يا أمير المؤمنين ! فقال عمر : لقد رأيتني وكنا ، لو ضايقتني أهل قرية لو جدت ما يعمهم ، ثم قال : أين عيشنا هذا من عيشنا بالمدينة ؟ ثم استبكي ، قال : فناداه أن : قم . قال : فقامت . قال : فأخبرني من الغد أنه إذا أصابه مثل لم يعد إلى طعامه قال مالك : وهذا يعجبني من فعل عمر ، أن يخدم الإنسان نفسه .

قال : حدثنا يعقوب قال : أخبرني رجاء بن حيوة قال : كان عمر بن عبد العزيز من أعظم الناس ، وألبسهم ، وأخيلهم في مشيته . فلما استخلف قوموا ثيابه اثنا عشر درهماً : كتمته وعمامته وقميصه وقبائه وقرطقه وخفيه ورداءه .

قال : حدثنا أبو بكر بن عياش قال قال : قال عاصم : دخلت على عمر بن عبد العزيز وعليه ثياب غسيلة ، فقومتها ستين درهما .

قال : حدثنا حماد ، عن حميد ، قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز بكى ، وقال : يا قلابة ! هل تخشى على ؟ قال : كيف حبك الدرهم ؟ قال : لا أحبه . قال : فلا تخف !

إن الله سيغيثك .

قال حنبل بن إسحاق : وأنبأنا أبو أسامة ، عن عيسى بن سنان ، قال : كان عمر بن عبد العزيز لا يبنى بناء ويقول : سنة رسول الله ﷺ ، خرج من الدنيا ولم يضع لبنة على لبنة ، ولا قصبة على قصبة .

يا بني هذا طعام مولاك أمير المؤمنين :

قال عقل عن الأوزاعي ، عن نعيم بن سلامة ، قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز وهو يأكل ثوماً بدقة وزيت .

قال : حدثنا عيسى بن يونس ، عن الأوزاعي ، عن أبي عبيد ، حاجب سليمان ، عن نعيم بن سلامة ، قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز فوجدته يأكل ثوماً مسلوقاً بزيت وملح .

قال ضمرة ، عن ابن شاذب قال : دخلت امرأة من المهاجرة على فاطمة ، امرأة عمر بن عبد العزيز ، فلما رأتها ورأت حالها ، قالت لها : هل تهيأ المرأة لزوجها إلا بما يجب ؟ قالت : لا . قالت فإنه يحب هذا مني .

قال : حدثنا سهل بن عاصم ، عن خلاد بن بزيع ، عن سهيل أخي حرم قال سمعت مالك بن دينار يقول : قال عمر بن عبد العزيز : ما تركت من الدنيا شيئاً إلا عقبنى في قلبي ما هو أفضل منه - يعنى من الزهد - وما أنعم الله على في ديني أفضل .

قال : حدثنا أبو أمية ، غلام عمر بن عبد العزيز ، قال : دخلت يوماً على مولاتي فغدتني عدساً ، فقلت : « كل يوم عدس » ؟ قالت : « يا بني ! هذا طعام مولاك أمير المؤمنين » .

قال : حدثنا يونس بن أبي شبيب قال : شهدت عمر بن عبد العزيز وهو يطوف بالبیت ، وإن أزاره لغائبة في عكنه ، ^(١) ثم رأيت بعد ما استخلف ، ولو شئت أن أعد أضلاعه من غير أن أمسها لفعلت .

(١) مفردا عكنة وهي الطى الذى فى البطن يظهر من السمن .

الجزء السادس :

والله ما له قميص غيره

قال : حدثنا محمد بن عبد الله العبدى قال : كتب إلى أبو حارثة أحمد بن إبراهيم ابن هشام بن يحيى بن الغسانى قال : حدثنى أبى ، عن أبيه عن جده ، عن مسلمة ، قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز أعوده فى مرضه ، فإذا عليه وسخ ، فقلت لفاطمة بنت عبد الملك : يا فاطمة ! اغسلى قميص أمير المؤمنين ، قالت : نفعل إن شاء الله ، ثم غدوت فإذا القميص على حاله ، فقلت : يا فاطمة ! ألم آمركم أن تغسلوا قميص أمير المؤمنين ؟ فإن الناس يعودونه . قالت : « والله ما له قميص غيره » .

قال : حدثنا عمار بن أبى حفصة قال : دخلت على عمر فى مرضه وعليه قميص قد اتسخ جيبه ، وتخرق . فدخل فقال لأخته فاطمة امرأة عمر : ناولينى قميصاً غير هذا حتى يلبسه أمير المؤمنين ، فإن الناس يدخلون عليه ، فقال عمر : « دعها يا مسلمة ، فما أصبح ولا أمسى لأمر المؤمنين ثوب غير الذى يرى عليه » .

قال : حدثنا سعيد بن مسلمة ، عن أبى بشر ، مولى مسلمة بن عبد الملك ، عن مسلمة ، قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز فى اليوم الذى مات فيه ، وفاطمة بنت عبد الملك جالسة عند رأسه ، فلما رأتنى تحولت وجلست عند رجله ، وجلست أنا عند رأسه ، فإذا عليه قميص وسخ ، مخرق الجيب ، فقلت لها : لو أبدلتكم هذا القميص . فسكتت . ثم أعدت القول عليها مراراً حتى غلظت ، فقالت : « والله ما له قميص غيره » قال : حدثنا عبد الله بن إدريس ، عن أبيه ، عن أزهر ، قال : رأيت عمر بن عبد العزيز بخصاصة يخطب الناس عليه قميص مرقع .

قال : حدثنا ربيعة بن عطاء ، عن عمر بن عبد العزيز أنه أخر الجمعة يوماً عن وقته الذى كان يصلى فيه ، فقلت له : أخرت الجمعة عن وقتك ؟ فقال : إن الغلام ذهب بالثياب يغسلها ، فحبس بها . فعرفنا أن ليس له غيرها ، ثم قال : أما إني قد رأيتنى ، وأنا

بالمدينة ، وإنى لأخاف أن يعجز ما رزقنى الله عن كسوتى فقط . ثم تمثل بهذا البيت :

قضى ما قضى فيما مضى ثم لم تكن له عودة أخرى الليالى الغواير^(١)

قال : حدثنى سعيد بن سويد أن عمر بن عبد العزيز صلى بهم الجمعة ، ثم جلس وعليه قميص مرقع الجيب من بين يديه ومن خلفه . فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ! إن الله قد أعطاك ، فلو لبست ، فنكس ملياً ، ثم رفع رأسه ، فقال : إن أفضل القصد عند الجدة ، وأفضل العفو عند المقدرة^(٢) .

يا فاطمة عندك درهم أشترى به عباً ؟

قال : حدثنا سعيد بن عامر ، عن عون بن المعمر ، قال : دخل عمر بن عبد العزيز على امرأته فقال : يا فاطمة عندك درهم أشترى به عباً ؟ قالت لا . قال : فعندك ثمنه - يعنى الفلوس - نشترى به عباً ؟ فأقبلت عليه فقالت : أنت أمير المؤمنين لا تقدر على درهم ولا ثمنه تشتري به عباً فقال : هذا أهون علينا من معالجة الأغلال فى جهنم .

قال : حدثنا الحكم بن عمر الرعيني قال : شهدت عمر حين جاءه أصحاب المراكب يسألونه العلوقة ورزق خدمه قال : وكم هى ؟

قالوا : هى كذا وكذا . قال : ابعث بها إلى أمصار الشام يبيعونها فيمن يريد ، واجعل أثمانها فى مال الله ، عز وجل ، تكفينى بلغتى هذه الشهباء . وجاءه صاحب الرقيق يسأل أرزاقهم وكسوتهم وما يصلحهم .

فقال عمر : كم هم ؟ قال : هم وكذا وكذا ألفاً . فكتب إلى أمصار الشام أن : ارفعوا إلى كل أعمى فى الديوان ، أو مقعد ، أو من به فالج ، أو من به زمانة ، تحول بينه وبين القيام إلى الصلاة ، فرفعوا إليه . فأمر لكل أعمى بقائد ، وأمر لكل اثنين من الزمنى بخادم . وفضل من الرقيق ، فكتب أن ارفعوا إلى كل يتيم ومن لا أحد له ممن قد جرى على والده الديوان ، فأمر خمسة يتوزعون بينهم بالسوية .

(١) سبق هذا بلفظ آخر . (٢) سبق هذا فيما تقدم .

أويس القرني أزهد أم عمر ؟

قال : حدثنا قطر بن حماد بن واقد قال : سمعت مالك بن دينار يقول : الناس يقولون مالك بن دينار زاهد . إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز الذي أته الدنيا فتركها .

قال : حدثنا أحمد بن أبي الخوارى قال : سمعت أبا سليمان الداراني ، وأبا صفوان يتناظران في عمر بن عبد العزيز ، وأويس القرني ، قال أبو سليمان لأبي صفوان : كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أويس قال له : ولم ؟ قال : لأن عمر ملك الدنيا فزهد فيها . فقال له أبو صفوان : وأويس ، لو ملكها لزهد فيها مثل ما فعل عمر فقال أبو سليمان : لا تجعل من جرب كمن لم يجرب . إن من جرت الدنيا على يديه ليس لها في قلبه موقع ، أفضل ممن لم تجر على يديه ، وإن لم يكن لها في قلبه موقع . قال : حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي : حدثني الزبير بن بكار قال : أتى عمر بن عبد العزيز منزله فقال : هل عندكم من طعام ؟ فأصاب تمرأ وشرب ماء وقال : من أدخله النار فأبعده الله .

أين موجدتك بي يا أمير المؤمنين :

قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، عن الهيثم بن عدي ، قال : كانت لفاطمة ، ابنة عبد الملك بن مروان ، زوجة عمر بن عبد العزيز ، جارية ذات جمال فائق ، وكان عمر رحمه الله ، معجباً بها قبل أن تفضى إليه الخلافة ، فطلبها منها ، وحرص فأبت دفعها إليه ، وغارت من ذلك ، فلم تزل في نفس عمر ، فلما استخلف أمرت فاطمة بالجارية فأصلحت ثم حليت ، فكانت حديثاً في حسناتها وجمالها ، ثم دخلت فاطمة بالجارية على عمر فقالت : يا أمير المؤمنين ! إنك كنت معجباً بفلانة . جاريتي ، سألتنيها فضننت ذلك عليك ، فإن نفسى طابت لك بها اليوم ، فدونها . فلما قالت ذلك ، استبان الفرح في وجهه ، ثم قال : ابعثي بها إلي ففعلت ، فلما دخلت عليه ، نظر إلى شيء أعجبه ، فزاد بها عجباً فقال لها : ألقى ثوبك . فلما همت أن تفعل . قال : على رسلك ، اقعدى أخبريني لمن كنت ؟ ومن أين أنت لفاطمة ؟ قالت : كان الحجاج بن يوسف أغرم عاملاً كان له من أهل الكوفة مالاً ، وكنت في رقيق ذلك العامل ، وأنا يومئذ صبية ، فوهبني عبد الملك

لابنته فاطمة . قال : وما فعل ذلك العامل ؟ قالت هلك . قال : وماترك ولداً ؟ قالت بلى : قال : وما حالهم ؟ قالت سيئة . قال : شدى عليك ثيابك . ثم كتب إلى عبد الحميد ، عامله أن سرح إلى فلان ابن فلان على البريد . فلما قدم قال له : ارفع إلى جميع ما أغرم الحجاج أباك . فلم يرفع إليه شيئاً إلا دفعه إليه ، ثم أمر بالجارية فدفعته إليه ، فلما أخذ بيدها قال : إياك وإياها ، فإنك حديث السن ، ولعل أباك أن يكون قد وطئها . فقال الغلام يا أمير المؤمنين ! هي لك فقال : لا حاجة لى فيها . قال : فابتعها منى قال : لست إذن ممن ينهى النفس عن الهوى . فمضى بها الفتى فقالت الجارية : فأين موجدك بى يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إنها لعلى حالها ولقد ازدادت ، فلم تزل الجارية فى نفس عمر حتى مات

قال : حدثنا ابراهيم بن هشام بن يحيى قال : حدثنى أبى ، عن جدى ، قال : كانت لفاطمة بنت عبد الملك ، امرأة عمر بن عبد العزيز ، جارية ، فبعثت بها إليه وقالت : إنى قد كنت أعلم أنها تعجبك ، وقد وهبتها لك ، فتناول منها حاجتك . فقال عمر : اجلسى يا جارية ، فوالله ما من شىء من الدنيا كان أعجب إلى أن أنال منك ، فأخبرنى ما كان من سببك ، قالت : كنت جارية من البربر ، حتى أتى حسان فهرب من موسى بن نصير ، عامل عبد الملك على إفريقية ، فأخذنى موسى بن نصير ، فبعثنى إلى عبد الملك ، فوهبنى عبد الملك لفاطمة ، فأرسلت بى إليك ، فقال : كدنا والله أن نفتضح فجهزها وأرسل بها إلى أهلها . قال : حدثنا أبو داود الروقى قال : كان لعمر بن عبد العزيز درجة ، فيها مرقاة ، فيها لبنة تحرك . فكان كلما صعد عمر أو نزل ارتاع منها فعمد مولى له فشدّها بطين . فلما صعد عمر لم يرها ، فسأل عنها ، فقال له موله : رأيتك ترتاع منها ، فشددتها بطين ، فقال عمر : اقلع الطين ، فإنى أعطيت الله عهداً إن وليت هذا الأمر أن لا أضع لبنة على لبنة ، ولا آجرة على آجرة .

الناس كلهم بخير غيرى وغيرك :

قال : حدثنا أحمد بن إسحاق ، عن ضمرة ، عن حفص بن عمر قال : احتبس عمر ابن عبد العزيز غلاماً له يحتطب عليه ، ويلقط له البعر ، فقال له الغلام : الناس كلهم بخير غيرى وغيرك . قال : فاذهب ، فأنت حر .

قال ابن سعد ، وقال ابن دينار « لم » يرتزق عمر من بيت مال المسلمين شيئاً ، ولم يرزأه حتى مات . والله أعلم .

الباب الرابع والعشرون

فى ذكر كرمه

قال : حدثنا جزيمة ، أبو محمد بن العابد ، أن عمر بن عبد العزيز قال : ما أعطيت أحداً مالاً إلا وأنا أستقله . وإنى لأستحي من الله عز وجل ، أن أسأله الجنة لأخ من إخوانى وأبخل عليه بالدنيا ، فإذا كان يوم القيامة قيل لى : لو كانت الجنة بيدك ، كنت بها أبخل .

الباب الخامس والعشرون

فى ذكر ورعه رحمه الله

لئن عدت إلى مثلها لا تعمل لى عملاً :

قال : حدثنا حماد قال : قال أبو شيبان : بعث معى عمارة بن نسي إلى عمر بسلتين من رطب ، أول ما جاء الرطب ، فأتيته بهما فقال : علام جئت بهما ؟ قلت : على دواب البريد . قال : فاذهب فبعهما بثمانية عشر درهماً ، فاشتراهما منى رجل من بنى مروان ، فأهداهما إلى عمر ، فلما أتى بهما قال : يا أبا شيبان ! كأنهما السلطان اللتان أتينا بهما قلت : نعم . فوضع إحداهما بين أيدينا فأكلنا منها ، وبعث الأخرى إلى امرأته وألقى ثمنهما فى بيت المال .

قال : حدثنا ابن بكير قال : حدثنى يعقوب قال : سمعت أبى يقول : قال عمر بن عبد العزيز : وددت أن عندى عسلاً من عسل (سنير) أو (لبنان) فسمعت فاطمة بنت عبد الملك ، فحملت بعض غلمانها ، أو بعض موالىها ، إلى ابن معدى كرب ، وهو عامل ذلك المكان . إن أمير المؤمنين قد تشهى من عسل سنير أو لبنان ، فأرسل إليه بعسل كثير ، فلما انتهى العسل إليها أرسلت به إلى عمر ، فقالت : هذا الذى تشهيت . فقال : كأنى بك يا فاطمة ، قد بعثت بعض مواليك إلى ابن معدى كرب فأمر بذلك العسل فأخرج إلى السوق

فبيع وأدخل ثمنه إلى بيت مال المسلمين . ثم كتب إلى ابن معدى كرب : إن فاطمة بعثت إليك تخبرك أنى اشتريت عسلاً من غسل سنير أو لبنان فبعثت إليها ، وإيم الله ، لكن عدت إلى مثلها لا تعمل لى عملاً أبداً ، ولا أنظر إلى وجهك .

أفسدت علينا عسلك :

قال : حدثنا رياح بن عبيدة قال : كان عمر بن عبد العزيز يعجبه أن يتأدم بالعسل ، فطلب من أهله يوماً عسلاً فلم يكن عنده ، فأتوه بعد ذلك بعسل فأكل منه فأعجبه ، فقال لأهله : من أين لكم هذا ؟

قالت امرأته : بعثت مولاي بدينارين على بغل البريد فاشتراه لى . فقال : أقسمت عليك لما أتيتنى به . فأتته بعكة فيها عسل ، فباعها بثمن زهيد ، ورد عليها رأس المال ، وألقى بقيته فى بيت مال المسلمين ، وقال : نصبت دواب المسلمين فى شهوة عمر ؟ .

قال : حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى الغساني قال : حدثنى أبى ، عن جدى ، قال : كان عمر بن عبد العزيز لا يحمل على البريد إلا فى حاجة المسلمين ، فكتب إلى عامل له يشتري عسلاً . وأن عامله حملة على مركب من البريد ، فلما أتى عمر قال : علام حملة ؟ قالوا : على البريد . فأمر بذلك العسل فبيع ، وجعل ثمنه فى بيت مال المسلمين ، وقال : أفسدت علينا عسلك .

قال جرير بن حازم ، عن رجل ، عن فاطمة بنت عبد الملك قالت : اشتهى عمر بن عبد العزيز يوماً عسلاً ، فلم يكن عندنا ، فوجهنا رجلاً على دابة من البريد إلى بعلبك فأتى بعسل ، فقلنا يوماً . إنك ذكرت عسلاً ، وعندنا عسل ، فهل لك فيه : قال : نعم فأتينا به ، ففرب ثم قال : من أين لكم هذا العسل ؟ قالت : وجهنا رجلاً ، على دابة من دواب البريد بدينارين إلى بعلبك ، فاشترى بها لنا عسلاً .

قال : فأرسل إلى الرجل ، فجاءه فقال : انطلق بهذا العسل إلى السوق ، فبعه ، فاردد إلينا رأس مالنا ، وانظر إلى الفضل ، واجعله فى بيت مال المسلمين علف دواب البريد ، ولو ينفع المسلمين قئى لتقيأت .

كانت الهدية للنبي هدية ولنا اليوم رشوة :

قال : حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن عمر بن مهاجر ، قال : اشتهى عمر بن عبد العزيز تفاحاً فقال : لو كان لنا - أو عندنا - شيء من التفاح ؟ فإنه طيب الريح طيب الطعم . فقام رجل من أهل بيته فأهدى إليه تفاحاً . فلما جاء به الرسول ، قال عمر : ما أطيب ريحه وأحسنه ! ارفعه يا غلام ، فأقرئ فلانا السلام وقل له : إن هديتك قد وقعت منا بموقع بحيث تحب . فقلت : يا أمير المؤمنين ، ابن عمك ورجل من أهل بيتك ، وقد بلغك أن النبي ﷺ كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة . قال : ويحك ؟ إن الهدية كانت للنبي ﷺ هدية وهى لنا اليوم رشوة .

قال : حدثنا أبو المليح ، عن ميمون بن مهران ، قال : أهدى إلى عمر بن عبد العزيز تفاحاً وفاكهة ، فردها وقال : لا أعلم أنكم بعثتم إلى أحد من أهل عملى شيئاً . قيل له : ألم يكن رسول الله ﷺ يقبل الهدية ؟ قال : بلى ! ولكنها لنا ولمن بعدنا رشوة .

قال : حدثنا أبو المليح ، عن فرات بن مسلم ، قال : اشتهى عمر بن عبد العزيز تفاحاً فطلب له فلم يوجد ، فركب وركبنا معه ، فتلقاه غلمان من الديارنة بأطباق فيها تفاح ، فوقف على طبق منها ، فتناول منه تفاحة فشمها ثم أعادها فى الطبق ، ثم قال : ادخلوا دياركم ، لا أعلم أنكم بعثتم إلى أحد من أصحابى بشيء . قال : فحركت بغلتى فلحقته فقلت : يا أمير المؤمنين ! اشتهيت التفاح وطلب لك فلم يوجد ، ثم أهدى إليك فرددته ، ألم يكن رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما يقبلون الهدية ؟ قال : إنها كانت لرسول الله ﷺ ولأبى بكر وعمر رضى الله عنهما هدية وللعمال بعدهم رشوة .

رحمك الله والله إن كنت لأشتهيه :

قال : حدثنا الفهرى ، عن أبيه ، كان عمر بن عبد العزيز يقسم تفاح الفىء ، فتناول ابن له صغير تفاحة ، فانتزعها من فيه ، فأوجعه . فسعى إلى أمه مستعبراً ، فأرسلت إلى السوق فاشتريت له تفاحاً ، فلما رجع عمر وجد ربح التفاح ، فقال : يا فاطمة ! هل أتيت شيئاً من هذا الفىء ؟ قالت : لا - وقصت عليه القصة - فقال : والله ، لقد انتزعتها من ابنى

لكأنما انتزعتها من قلبي ، لكن كرهت أن أضيع نفسي من الله عز وجل ، بتفاحة من فيء المسلمين .

قال : حدثنا ابن السماك قال : كان عمر بن عبد العزيز يقسم تفاحاً بين المسلمين ، فجاء ابن له فأخذ تفاحة من ذلك التفاح ، فوثب إليه ففك يده ، فأخذ تلك التفاحة ، و طرحها في التفاح ، فذهب إلى أمه مستعبراً ، فقالت له : ما لك أي بني ؟ فأخبرها ، فأرسلت بدرهمين ، فاشتريت له تفاحاً وأطعمته ، ورفعت لعمر . فلما فرغ مما بين يديه دخل إليها فأخرجت له طبقاً من تفاح ، فقال : من أين هذا ؟ فأخبرته ، فقال : رحمك الله والله إن كنت لأشتهيه .

قال : حدثنا أبو عوانة ، عن خالد بن أبي الصلت ، قال : أتى عمر بن عبد العزيز بماء قد سخن في فحم الإمارة ، فكرهه ، ولم يتوضأ منه .

قال : حدثنا ابن بكير . قال : حدثني يعقوب قال : سمعت أبي يقول : قال عمر بن عبد العزيز : أسخنوا لي ماء أغتسل به للجمعة . قال : قيل له : يا أمير المؤمنين ! لا والله ما عندنا عود حطب نوقده به . قال فذهبوا بالقمقم إلى المطبخ ، مطبخ المسلمين ، قال : ثم جاءوا بالقمقم ، فقالوا : هذا القمقم ، يا أمير المؤمنين ! وهو يفور . فقال : ألم تخبروني أنه ليس عندكم حطب ؟ لعلكم ذهبتُم به إلى مطبخ المسلمين ؟ قالوا : نعم . قال : ادعوا لي صاحب المطبخ ، فلما جاءه ، قال له : قيل لك هذا قمقم أمير المؤمنين فأوقدت تحته عوداً واحداً ، وإن هو إلا جمر لو تركته لخمّد حتى يصير رماداً . قال : بكم أخذت الحطب ؟ قال : بكذا ، قال : أدوا إليه ثمنه .

قال : حدثنا حنبل بن إسحاق قال : حدثني أبو عبد الله قال : حدثني رجاء بن حيوة ، أبي سلمة ، قال : كان عمر بن عبد العزيز يصنع طعاماً لمن حضره فلا يأكل منه ، فكانوا لا يأكلون ، فقال : ما شأنكم لا تأكلون ؟ فقالوا : إنك لا تأكل ، فلا نأكل ، قال : فأمر بدرهمين من صلب ماله ، كل يوم ، فأنفق في المطبخ ، فأكل وأكلوا .

قال : حدثنا معاوية بن عمرو ، عن أبي إسحاق الفزاري ، عن الأوزاعي ، قال : كان عمر بن عبد العزيز جعل في كل يوم درهماً من خاصة ماله في طعام العامة ، ثم يأكل معهم

قال الأوزاعي : ولم يكن عمر يرتزق دون المسلمين .

كلها يا بنى فإنك رزقتها ولم أرزقها :

قال : حدثنا الحكم بن عمرو الرعيني قال : شهدت عمر بن عبد العزيز وأرسل غلاماً يشوى له كبكبة من لحم ، فعجل بها . فقال : أسرع بها قال : شويتها في نار المطبخ - وكان للمسلمين مطبخ يغديهم ويعشيهم - فقال لغلامه : كلها يا بنى ! فإنك رزقتها ولم أرزقها .

قال : حدثنا إسحاق الفزاري ، عن الأوزاعي ، قال : كان عمر بن عبد العزيز يجعل في كل يوم من ماله درهماً في طعام المسلمين ، ثم يأكل معهم ، وكان ينزل بأهل الدمة ، فيقدمون إليه من الحلبة والبقول وأشباه ذلك ، مما كانوا يصنعون من طعام . فيعطيههم أكثر من ذلك ويأكل منه ، فإن أبوا أن يقبلوا ذلك منه ، لم يأكل منه فأما من المسلمين فلم يكن يقبل شيئاً .

وهل ينتفع منه إلا بريحه ؟

قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن رياح بن عبيدة ، وأبي سنان ، عن عمر بن العزيز ، أنه وضعت بين يديه مسكة عظيمة ، فأخذ بأنفه ، فقيل : يا أمير المؤمنين ! إنما هو ريح ، قال : وهل ينتفع منها إلا بريحها ؟ .

قال : حدثنا رياح بن عبيدة قال : أخرج مسك من الخزائن ، فوضع بين يدي عمر بن عبد العزيز ، فأمسك بأنفه مخافة أن يجد ريحه . فقال له رجل من أصحابه : يا أمير المؤمنين ! ما ضرك إن وجدت ريحه ؟ قال : وهل ينتفع من هذا إلا بريحه ؟

قال : حدثنا الهيثم بن عمر قال : سمعت حيان بن نافع البصري قال : بعثنى عروة بن محمد السعدي إلى سليمان بن عبد الملك - وهو بدابق - بهدايا - ، قال : فوافينا وقد مات ، واستخلف عمر بن عبد العزيز ، فدخلنا عليه وقد هيأنا له تلك الهدايا ، كما كانت تهيأ لسليمان ، قال : ومعنا عنبرة فيها نحو خمسمائة رطل أو ستمائة رطل ، ومسك كثير ، فأخذوا يعرضون على عمر تلك الهدايا ، وفاح ريح المسك ، فجعل عمر كمه على أنفه ،

ثم قال : يا غلام ارفع هذا ، فإنه إنما يستمتع من هذا بريحه .

قال محمد بن إسحاق : حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله العمري ، عن ربيعة بن عطاء قال : أتى عمر بعنبرة من اليمن ، فوضع يده على أنفه بشوبه ، فقال له مزاحم : إنما هي ريحها ، يا أمير المؤمنين ! قال : ويحك يا مزاحم ! وهل ينتفع من الطيب إلا بريحه قال : فما زالت على أنفه حتى رفعت .

قال : حدثنا أبو عوانة ، عن عبد الله بن راشد ، صاحب الطيب ، قال : أتيت عمر بن عبد العزيز بالطيب ، الذي كان للخلفاء من بيت المال ، فأمسك أنفه وقال : إنما ينتفع بريحه .

قال : حدثني عبد العزيز الماجشون ، عن أبي عبيد ، قال : ما رأيت رجلاً قط ، أشد تحفظاً في منطقه من عمر بن العزيز . رحمه الله .

احتاج أهل أمير المؤمنين إلى نفقة ولا أدري من أين آخذها :

قال : أخبرني شيخ ، عن عبد الله بن أبي زكريا أنه دخل على عمر بن عبد العزيز ، وقد توجع له ، مما بلغه مما خلص إلى أهل عمر بن عبد العزيز من الحاجة ، فتحدثا ثم قال : يا أمير المؤمنين ! أرايتك شيئاً تعمل به ، بأي شيء استحلته . قال : وما هو ؟ قال : ترزق الرجل من عمالك مائة دينار في الشهر ، ومائتي دينار في الشهر ، وأكثر من ذلك . قال : أراه لهم يسيراً إن عملوا بكتاب ربهم وسنة نبيهم ، وأحب أن أفرغ قلوبهم من الهم بمعايشهم وأهليهم . قال ابن أبي زكريا : فإنك قد أصبت . وقد ذكر لي أنه قد خلص إلى أهلك حاجة ، وأنت أعظمهم عملاً ، فانظر ما قد رأيت حلالاً لرجل منهم ، فارتزق مثله ، فوسّع به على أهلك . فقال يرحمك الله ، قد عرفت أنك لم ترد إلا خيراً ، وأنت توجعت من بعض ما يبلغك من حالنا . ثم قال بيده اليمنى على ذراعه اليسرى ، فقال : إن هذا اللحم والعظم إنما نبت من مال الله ، فإني والله إن استطعت لا أعيد فيه منه شيئاً أبداً .

قال : وحدثني الليث ، عن محمد بن قيس ، قاصّ عمر بن عبد العزيز ، قال : خرج علينا يوماً مزاحم فقال : لقد احتاج أهل أمير المؤمنين إلى نفقة ، ولا أدري من أين آخذها ،

ولا أدري من أين أستلفها . قال : قلت : لولا قلة ما عندي لعرضته عليك . قال : وكم عندك ؟ قلت : خمسة دنانير قال : والله ، إن في خمسة دنانير لبلاغاً فأعطيها فدفعتها إليه ثم أتاه مال من أرض عمر باليمن ، قال : فمر عليّ مزاحم مسروراً وقال : قد جاءنا مال من أرض لنا ، نقضيك الآن تلك الخمسة دنانير . قال : فدخل ثم خرج وإحدى يديه على رأسه وهو يقول : أعظم الله أجر أمير المؤمنين ، قلت وما ذاك ؟ قال : أمر بهذا المال الذي جاء من أرضه أن يدخل بين مال المسلمين . فلا أدري كيف تحيل ^(١) لي في الخمسة حتى قضاني . قال : حدثنا أبو المليح ، عن فرات بن مسلمة ، قال : كنت أعرض على عمر بن عبد العزيز كتيبتي في كل جمعة مرة ، فعرضتها عليه ، فأخذ منها قرطاساً نقياً قدر أربع أصابع ، أو شبر ، فكتب فيه حاجة له ، فقلت : غفل أمير المؤمنين ، فبعث إليّ من الغد ، فقال : جيء بكتيبك ، قال : فبعثني في حاجة ، فلما جئت قال لي : ما آن لنا أن ننظر فيها ؟ فقلت : إنما نظرت فيها أمس . قال : فاذهب حتى أبعث إليك ، فلما فتحت كتيبتي وجدت فيها قرطاساً بقدر القرطاس الذي أخذ .

يمنعني من كثير من الكلام مخافة المباهاة :

قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن رجاء أبي المقدم ، عن نعيم بن عبد الله ، كاتب عمر بن عبد العزيز ، أن عمر بن عبد العزيز قال : إنه ليمنعني من كثير من الكلام مخافة المباهاة . قال : حدثنا الشافعي قال : قيل لعمر بن عبد العزيز : ما تقول في أهل صفين ؟ قال : تلك دماء طهر الله يدي منها ، فلا أحب أن أخضب لسانى بها . قال : حدثنا علي بن مسعدة قال : حدثني رياح بن عبيدة قال : كنت قاعداً عند عمر بن عبد العزيز ، فذكر الحجاج فشتمته ، ووقعت فيه ، فقال عمر : مهلاً يا رياح ! إنه بلغني أن الرجل ليظلم المظلمة ، فلا يزال المظلوم يشتم الظالم ويتنقصه ، حتى يستوفى حقه ، ويكون للظالم عليه الفضل ^(١) .

لا حاجة لي بجرتك :

(عن أبي بكير وأبي زيد قال) ^(٣) : حدثنا يعقوب قال : سمعت أبي يحدث : أن

(٣) من المختصر .

(٢) سبق فيما تقدم .

(١) في المختصر : « تمحل » .

عمر بن عبد العزيز جاءه ثلاثون ألف درهم من ماله بالبحرين ، فجاءه الذى يقوم على طعام أهله فقال : يا أمير المؤمنين ! قد جاءك الله بنفقة . قال : من أين ؟ قال : من مالك الذى بالبحرين ، جاءتك ثلاثون ألفاً فاسترجع عمر ، وقال : ادع لى مزاحماً ، فلما جاءه مزاحم قال : أى مزاحم ! ما رددت ذلك المال الذى جاءنا من البحرين فى مال الله فيما أحسب . شك ابن بكير قال مزاحم : سقط علىّ يا أمير المؤمنين . قال : فاردده ، وصِلْ بهذا المال فى بيت مال المسلمين ، قال : فدخل عليه قيم ذلك المال فقال : يا أمير المؤمنين ! اعتق رقيتى من الرق أعتقك الله من النار . قال : فنظر إليه ثم قال : إنما أنت وذلك المال من مال الله ، فلا سبيل إلى عتقك . فقال : يا أمير المؤمنين ! جرة زنجبيل مربت ، كنت أهديتها لك كل عام ، وقد جئت بها . قال : ائت بها . قال : فأخرج منها عوداً فوضعه على شفتيه ثم قال : مه ! إذا شككت فى الشئ فدعه . لا حاجة لى بجرتك .

خذها ، فإن شئت فاحمد ، وإن شئت فدم :

قال : حدثنا عمارة بن عقيل بن جرير بن عطية بن الخطفى - والخطفى اسمه حذيفة ابن بدر - قال : لما قام عمر بن عبد العزيز ، نهضت إليه الشعراء ، من الحجاز والعراق ، فكان فيمن حضر : نصيب ، وجرير ، والفرزدق ، والأحوص ، وكثير ، والحجاج القضاعى ، والأخطل ، فمكثوا شهراً لم يؤذن لهم ، ولم يكن لعمر فيهم رأى ولا أرب ، وإنما كان رأيهم وبطائنه وأهل أريه القراء والفقهاء ، ومن وسم عنده بورع ، يبعث إليهم حيث كانوا من بلدانهم ، فوافق جرير قدوم عون بن عبد الله . عتبة بن مسعود الهذلى ، وكان ورعاً فقيهاً مفوهاً فى المنطق ، نظير الحسن بن أبى الحسن البصرى فى منطقته ، فرآه جرير على باب عمر مشمر الثياب ، معتماً على كمة لاصقة برأسه ، قد ألقى ضيفتيها بين كتفيه ، فقال :

يا أيها القارئ المرخى عما منته هذا زمانك ، إننى قد مضى زمنى

أبلغ خليفتنا ، إن كنت لاقيه ، أنى لدى الباب كالمصفود فى قرن

فقال له عون : من أنت ؟ فقال : جرير . قال : إنه لا يحل عرضى . قال : فاذا كرنى

للخليفة . قال : إن رأيت موضعاً فعلت . ثم قال : هذا جرير بالباب ، فأحرز لى عرضى

منه . فأذن لجريز ، فدخل عليه فقال : يا أمير المؤمنين ! إني أخبرتك أنك تحب أن توعظ ولا تطري فأذن لي في الكلام . فأذن له فقال :

لجت أمانة في أمري ، وما علمت
ما هووم القوم مذ شدوا رحالهم
يصرحن صرح حصي المعزى إذا وقعت
زرت الخليفة من أرض على قبر
إننا لنرجو ، إذا ما الغيث أخلفنا
أذكر الضر والبلوى التي نزلت ؟
ما زلت بعدك في دار تقحمني
لا ينفع الحاضر المهجود باديها
كم بالمواسم من شعشاء أرملة
أذهبت خلته حتى دعا ودعت :
ممن نعدك تكفى فقد والده
هذي الأرامل قد قضيت حاجتها
عرض اليمامة روحاني ولا بكرى
إلا عشاشاً لدى أعصارها اليسر
شمس النهار ، وعاد الظل للقمر
كما أتى ربه موسى على قدر
من الخليفة ، ما نرجو من المطر
أم أكتفى بالذي أنيئت من خبري ؟
وضاق بالحي إصعادي ومنحدرى
ولا يعود لنا باد على حضري
ومن يتيم ضعيف الصوت ، والنظر
يا رب ! بارك لطر الناس في عمر
كالفرخ في الوكر ، لم ينهض ولم يطير
فمن لحاجة هذا الأرملة الذكر ؟

فترقرقت عينا عمر ، وقال : إنك لتصف جهدك . فقال : ما غاب عني وعنك أشد .
قال : فجهز إلى الحجاز غيراً يحمل الطعام والكساء والعطاء يث في فقرائهم . ثم قال :
أخبرني أمن المهاجرين أنت يا جريز ؟ قال : لا . قال : فبينك وبين الأنصار رحم أو قرابة أو
صهر ؟ قال : لا . قال : فمن يقاتل على الفىء أنت ويجلب على عدو المسلمين ؟ قال :
لا . قال : فلا أرى لك فى شيء من هذا الفىء حقاً . قال : بلى والله ، لقد فرض الله لى
فيه حقاً ، إن لم تدفعنى عنه . قال : ويحك ! وما حقت ؟ قال : ابن السبيل أذاك من شقة
بعيدة فؤو منقطع به على بابك . فقال : إذن أعطيك . فدعا بعشرين ديناراً فضلت من
عطائه ، فقال : هذه فضلت من عطائي ، وإنما يعطى ابن السبيل من مال الرجل ، ولو فضل
أكثر من هذا لأعطيتك ، فخذها ، فإن شئت فاحمد ، وإن شئت فذم . قال : بل أحمد ،
يا أمير المؤمنين ، فخرج ، فجهشت إليه الشعراء وقالوا : ما وراءك يا أبا حرزة ؟ قال :

ليلحق الرجل منكم بمطيته ، فإنى خرجت من عند رجل يعطى الفقراء ولا يعطى الشعراء .
قال :

وجدت رقى الشيطان لا تستفزه وقد كان شيطانى من الجن راقيا
إن رسول الله امتدح وأعطى :

قال : حدثنا الهيثم بن عدى ، عن عوانة بن الحكم ، قال : لما استخلف عمر بن عبد
العزیز وقد الشعراء إليه ، فأقاموا ببابه أياماً لا يؤذن لهم ، فبينما هم كذلك يوماً ، وقد
أزمعوا على الرحيل ، إذ مر بهم رجاء بن حيوة ، وكان من خطباء أهل الشام ، فلما رآه
جرير داخلاً على عمر بن عبد العزيز أنشأ يقول :

يا أيها الرجل المرخى عمامة هذا زمانك ، فاستأذن لنا عمرا
قال : فدخل ، ولم يذكر من أمرهم شيئاً . ثم مر بهم عدى بن أرطاة فقال
جرير :

يا أيها الراكب المزجى مطيته هذا زمانك ، إني قد مضى زمنى
أبلغ خليفتنا إن كنت لاقية إني لدى الباب كالمصفود في قرنٍ
لا تنس حاجتنا ، لقيت مغفرةً قد طال مكثى عن أهلى وعن وطنى
قال : فدخل عدى على عمر فقال : يا أمير المؤمنين ! الشعراء ببابك ، وسهامهم
مسمومة ، وأقوالهم نافذة .

قال : ويحك يا عدى ! ما لى وللشعراء ؟

قال : أعز الله أمير المؤمنين ، إن رسول الله ﷺ قد امتدح وأعطى ، ولك فى
رسول الله ﷺ أسوة .

قال : كيف ؟ قال : امتدحه العباس بن مرداس السلمى فأعطاه حلة قطع بها
لسانه . قال : وتروى من قوله شيئاً ؟ قلت : نعم فأنشدته :

رأيتك يا خير البرية كلها نشرت كتاباً جاء بالحق معلنا
شرعت لنا دين الهدى ، بعد جورنا عن الحق ، لما أصبح الحق مظلماً
وفردت بالتبيان أمراً مدنساً وأطفأت بالبرهان ناراً تضرماً
فمن مبلغ عني النبي محمداً وكل امرئ يُجزى بما كان قدماً
أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه وكان قديماً ركنه قد تهدماً
تعالى علواً فوق عرش إلها وكان مكان الله أعلى وأعظماً
رأى عمر بن عبد العزيز في بعض الشعراء:

قال : ويحك يا عدى ! من بالباب منهم ؟ قال ؟ عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة .
قال أليس يقول :

ثم نبهتها فهبت كعاباً منطلقة ما تبين كلام
ساعة ، ثم إنهاش بعد قالت ويلتا ! قد عجلت يا بن الكرام
أعلى غير موعد جئت تسرى تتخطى لى رؤوس النيام ؟
فلو كان عدو الله إذ فجر كنتم على نفسه ، لا يدخل ، والله على أبدأ ، من بالباب
سواه ؟ قال : همام غالب - يعنى الفرزدق - قال : أوليس هو الذى يقول :
هما دلتانى من ثمانين قامة كما انقض باز أقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاى فى الأرض قالتا أحي يرجى ، أم قتيل نحاذره ؟
فلا يظأ والله بساطى فمن سواه بالباب ؟ قال : الأخطل . قال : يا عدى ! أليس
الذى هو يقول :

ولست بصائم رمضان طوعاً ولست بآكل لحم الأضاحى
ولست بزاجر عيساً بكوراً إلى بطحاء مكة للنجاح
ولست بزائر بيتاً بعيداً بمكة أبغى فيه صلاحى
ولست بقائم كالعبد أدعو قبيل الصبح ، حى على الفلاح
ولكنى سأشربها شمولاً وأسجد عند منبلج الصباح

فوالله لا يدخل على وهو كافر أبداً ، فهل بالبواب سوى من ذكرت ؟
قال : نعم ، الأحوص . قال : أليس هو يقول :

اللّه بينى وبين سيدها يفر منى بها وأتبعه
قال : فمن هاهنا أيضاً ؟ قال : جميل بن معمر . قال : يا عدى !
أليس هو الذى يقول :

أيا ليتنا نحيا جميعاً ، وإن أمت يوافق فى الموتى ضريحى ضريحها
فما أنا فى طول الحياة براغب إذا قيل قد سوى عليها صفيحها
فلو كان عدو الله تمنى لقاءها فى الدنيا ليعمل بعد ذلك صالحاً . والله لا يدخل على
أبداً . فهل سوى من ذكرت أحد ؟ قال : نعم جرير بن عطية . قال : أما أنه الذى يقول :
طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجعى بسلام
دخول جرير عليه :

فإن كان لا بد فهو . قال : فأذن لجرير ، فدخل وهو يقول :

إن الذى بعث النبى محمداً جعل الخلافة للإمام العادل
وسع الخلافة عدله ووقاره حتى ارعوى وأقام ميل المائل
إنى لأرجو منك خيراً عاجلاً والنفس مولعة بحب العاجل
فلم مثل بين يديه قال : ويحك يا جرير ! اتق الله ولا تقل إلا حقاً ، قال فأنشأ يقول :
أذكر الصبر^(١) والبلوى التى نزلت ؟ أم قد كفانى ما بلغت^(٢) من خبرى ؟
كم باليمامة^(٣) من شعناء أرملة ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر ؟
ممن يعــدك أن تكفى والده كالفرخ فى العش^(٤) لم ينهض ولم يطر

(٢) فى رواية سابقة : « ما نبت » .

(٤) فى رواية سابقة : « الوكر » .

(١) فى رواية سابقة : « الجهد » .

(٣) فى رواية سابقة : « بالموسم » .

يدعوك دعوة ملهوف كأن به خبلاً من الجن ، أو مساً من البشر
خليفة الله ! ماذا تأمرون بنا ؟ لسنا إليكم ولا فى دار منتظر
ما زلت والهم يوماً يؤرقنى قد طال فى الحى إصعادي ومنحدري ^(١)
لا ينفع الحاضر المجهود بادينا ولا يعود لنا بادٍ على حضرى
إنا لنرجو ، إذا ما الغيث أخلفنا من الخليفة ، ما نرجو من المطر
زان الخلافة إذا كانت له قدراً ^(٢) كما أتى ربّه موسى على قدر
هذى الأرامل قد قضيت حاجتها فمن حاجة هذا الأرملة الذكر ؟
الخير ما دمت حياً لا يفارقنا بوركك يا عمر الخيرات من عمر

فقال : جرير ! ما أرى لك فيما هاهنا حقاً . قال : بلى يا أمير المؤمنين ، أنا ابن السبيل
ومنقطع بى . فأعطاه من صلب ماله مائة درهم .

قال : وقد ذكر أنه قال ويحك يا جرير ! لقد ولينا هذا الأمر وما نملك إلا ثلاثمائة
درهم : فمائة أخذها عبد الله ، ومائة أخذتها أم عبد الله ، يا غلام ! أعطه المائة الباقية .
قال : فأخذها .

وقال : والله لهى أحب ما اكتسبته إلى « من » مال . ثم خرج فقال له الشعراء :
ما وراءك ؟ قال : ما يسوؤكم . خرجت من عند أمير المؤمنين وهو يعطى الفقراء ويمنع
الشعراء وإنى عنه لراضى . وأنشأ يقول :

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه وقد كان شيطانى من الجن راقيا

(١) فى الرواية السابقة : « فى دار تقحمنى . وضاق بالهى » .

(٢) فى الرواية السابقة : « زنت الخلافة من أرض على قدر » .

الباب السادس والعشرون

فى ذكر تواضعه رحمه الله

قال : حدثنا الوليد ، عن الأوزاعى ، قال : لما ولى عمر بن عبد العزيز ، دخل عليه أخ له فقال : إن شئت كلمتك ، وأنت عمر ، فيما تكره اليوم وتحب غداً ، وإن شئت كلمتك وأنت أمير المؤمنين فيما تحبه اليوم وتكرهه غداً . قال : بل كلمنى وأنا عمر ، فيما أكره اليوم وأحب غداً .

قال حدثنا النضر بن سهيل عن أبيه ، قال : قال عمر بن عبد العزيز لجارية له : يا جارية ! رويحني ، فأقبلت ترويحه ، فغلبتها عينها فنامت ، فأخذ المروحة وأقبل يروحها ، فانتبهت فصاحت ، فقال لها عمر : إنما أنت بشر مثلى ، أصابك من الحر ما أصابنى ، وأحببت أن أروحك مثل الذى رويحتنى .

قال : حدثنا وليد بن مسلم ، عن الأوزاعى ، قال : كان عمر بن عبد العزيز يجلس إلى قاصّ العامة بعد الصلاة ، ويرفع يديه إذا رفع . ودخلت عليه ابنة أسامة بن زيد ، ومعها مولاة لها تمسك بيدها ، فقام لها عمر ، ومشى إليها حتى جعل يدها فى يده ، ويداه فى ثيابه ، ومشى بها حتى أجلسها فى مجلسه ، وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة إلا قضاهـا قال : حدثنا بـقية بن الوليد ، عن حسان العبسى ، عن عمرو بن مهاجر ، قال : قال عمر بن عبد العزيز يا عمرو ! إذا رأيتنى قد ملت عن الحق فضع يدك فى تلابيبى ، ثم هزنى ، ثم قل لى : ماذا تصنع ؟ .

قال : حدثنا حكام الرازى ، عن أبى حازم ، قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز قال : انظروا رجلين من أفضل من تجدون ، فجىء برجلين فكان إذا جلس مجلس الإمارة أمر ، فألقى لهما وسادة قبالتـه فقال لهما : إنـه مجلس شر وفتنة ، فلا يكن لكما عمل إلا النظر إلىّ ، فإذا رأيتما منى شيئاً لا يوافق الحق ، فخوفانى وذكرانى بالله عز وجل

قمت وأنا عمر بن عبد العزيز وجلست وأنا عمر بن عبد العزيز :

قال : حدثنا ابن كثير بن مروان ، عن رجاء بن حيوة ، قال : سمعت ليلة عند عمر بن عبد العزيز ، فاعتل السراج ، فذهبت أقوم أصلحه . فأمرني عمر بالجلوس ، ثم قام فأصلحه ثم عاد فجلس فقال : قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ، وجلست وأنا عمر بن عبد العزيز ، ولؤم بالرجل أن يستخدم ضيفه .

قال : حدثنا ضمرة ، عن عبد العزيز بن أبي خطاب ، عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال : قال لى رجاء بن حيوة : ما أكمل مروءة أيك ، سمعت معه ذات ليلة فغشى السراج ، فقال لى : ما ترى السراج قد غشى ، قلت : بلى . وإلى جانبه وصيف راقد . قال : قلت : أفلا أنبهه . قال : لا دعه يرقد . قلت : أفلا أقوم أنا ؟ قال : لا ليس من مروءة الرجل استخدام ضيفه . قال : فوضع رداءه ، ثم قام إلى بطة زيت معلقة ، فأخذها ، فأصلح السراج ، ثم ردها فى موضعها ، ثم رجع وقال : قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ، ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز .

لا يدري أيهم هو حتى يشار إليه :

قال : حدثنا الحكم بن عمر الرعيني قال : شهدت مع عمر بن عبد العزيز جنازة فى يوم مطر ، فكبر عليها أربعاً ، فأقبل رجل غريب ليس عليه طليسان ، فدعاه فأجلسه إلى جنبه وغطاه بظل طليسانه ، ورأيت عمر بن عبد العزيز بدأ بحمل الجنازة ، وجعل يمين الجنازة على شقه الأيسر ، ثم حمل مؤخر السرير على شقه الأيمن ، ثم مشى أمام الجنازة والناس يمشون خلف الجنازة شهدته حين فرغ من القبر مسح يده عليه ، وأشار بأصبعه : اللهم اغفر وارحم واعف عما تعلم . قال : ورأيت عمر بن عبد العزيز يقوم من هذه الحلقة فيجلس فى هذه الحلقة ، فرمما جاء الغريب الذى لا يعرفه ، يسأل عن أمير المؤمنين ، وفى أى حلقة هو ، فهو لا يدري أيهم هو حتى يشار إليه : هذا أمير المؤمنين فيسلم عليه بالخلافة .

قال حدثنا ابن وهب قال : حدثنى الليث بن سعد أن أبا النضر حدثه قال : دسست إلى

عمر بن عبد العزيز بعض أهله أن قل له إن فيك كبراً ، وإنك تتكبر ، فقليل ذلك له ، فقال عمر : لبئس ما ظننت ، إن كنت ترانى أتوقى الدينار والدرهم مراقبة لله ، وأنطلق إلى أعظم الذنوب فأرتكبه ، الكبرياء إنما هو رداء الرحمن فأنازعه إياه ؟ ولكن كنت غلاماً بين الغلمان - أو قال بين ظهري قومي - يدخلون علىّ بغير إذن ، ويتوطؤون فرشى ، ويتناولون منى ما يتناول القوم من أخيهيم الذى لا سلطان له عليهم . فلما أن وليت خيرت نفسى فى أن أمكنهم منى ، حالهم التى كنت لهم عليها ، وأعاقبهم فيما خالف الحق ، أو أمتنع منهم فى بابى ووجهى ليكفوا عنى أنفسهم ، وعن الذى أحذر عليهم لو كنت جرأتهم على نفسى من العقوبة والأدب ، فهو الذى دعانى إلى هذا .

لو عرفت من نفسى ما أعرف منها ما نظرت فى وجهى :

قال : حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، قال : قيل لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ! لو أتيت المدينة ، فإن قضى الله موتاً دفنت موضع القبر الرابع ، مع رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر . قال : والله لأن يعذبني الله بكل عذاب - إلا النار فإنه لأصبر عليها - أحب إلى من أن يعلم الله من قلبى أنى أرى أنى أهل لذلك .

قال : حدثنا أبو بكر بن عبيد ، عن المفضل بن يونس ، قال : قال رجل لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ! كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت بطيئاً ، ملوثاً فى الخطايا ، أتمنى على الله الأمانى .

قال : حدثنا الثورى قال : ضرب عمر بن عبد العزيز بيده على بطنه ، ثم قال : بطنى بطيء عن عبادة ربى ، متلوث بالذنوب والخطايا ، يتمنى على الله منازل الأبرار ، ويعمل خلاف أعمالهم .

قال : حدثنا الفضل بن دكين قال : ذكر أبو إسرائيل فقال : حدثني على بن بزيم قال : رأيته فى المدينة ، وهو أحسن الناس لباساً ، وأطيب الناس ريحاً ، وهو أخيل الناس فى مشيته ، ثم رأيته بعد ذلك يمشى مشية الرهبان . فمن حدثك أن المشية سجية بعد عمر فلا تصدقه (١) .

(١) سبق هذا فقيماً تقدم .

قال : حدثنا خالد بن يزيد ، عن جعونة ، قال : دخل على عمر بن عبد العزيز رجل فقال : يا أمير المؤمنين ! إن من كان قبلك كانت الخلافة لهم زيناً ، وأنت زين الخلافة ، وإنما مثلك كما قال الشاعر :

وإذا الدر زان حسنَ نحورٍ كان للدر حسنُ وجهك زيناً ^(١)

قال : حدثنا محمد بن نعيم بن هضم قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : أطراً وجه عمر بن عبد العزيز في وجهه فقال : يا هذا ! لو عرفت من نفسى ما أعرف منها ، ما نظرت في وجهى .

رحم الله امرأ عرف قدره :

قال : حدثنا ابن عائشة ، عن أبيه ، قال : بلغ عمر بن عبد العزيز أن ابناً له اشترى فصاً بألف درهم ، فتختم به . فكتب إليه عمر : عزيمة منى عليك ، لما بعت الفص الذى اشتريته بألف درهم ، وتصدقت بثمانه ، واشتريت فصاً بدرهم نقشت عليه : « رحم الله امرأ عرف قدره » والسلام .

قال : حدثنا أبو سعيد المؤدب ، عن عبد الكريم ، قال : قيل لعمر : جزاك الله بمن الإسلام خيراً . قال : لا بل جزا الله الإسلام عنى خيراً .

يا أبا قلابة تشدد ولا تشمت بنا المنافقين :

قال : حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، قال : مرض أبو قلابة بالشام ، فدخل عليه عمر بن عبد العزيز ، فقال : يا أبا قلابة تشدد ولا تشمت بنا المنافقين .

قال : حدثنا محمد بن كثير ، عن سليمان الخواص ، قال : مات ابن لرجل ، فحضره عمر بن عبد العزيز ، وكان الرجل حسن العزاء ، فقال رجل من القوم : هذا والله الرضا . فقال عمر بن عبد العزيز : أو الصبر .

قال سليمان : الصبر دون الرضا ، الرضا أن يكون الرجل قبل نزول المصيبة راضياً بأى ذلك كان ، والصبر أن يكون بعد نزول المصيبة .

(١) تقدم فيما سبق .

الباب السابع والعشرون

فى ذكر حلمه وصفحه

قال حدثنا : اسعيد بن عامر ، عن هارون بن أعين ، عن شيخ من خناصرة ، قال : كان لعمر بن عبد العزيز ابن من فاطمة ، فخرج يلعب مع الغلمان فشججه غلام ، فاحتملوا ابن عمر والذي شججه فأدخلوهما على فاطمة ، فسمع عمر الجلبة وهو فى بيت آخر ، فخرج وجاءت امرأة فقالت : هو ابنى . وهو يتيم فقال : له عطاء : قالت : لا ، قال : اكتبوه فى الذرية . قالت فاطمة : فعل الله به وفعل ، إن لم يشججه مرة أخرى . قال : إنكم أفزعتموه .

قال : حدثنا إبراهيم بن أبى عيلة قال : غضب عمر بن عبد العزيز يوماً على رجل غضباً شديداً ، فبعث إليه فجرده ومدّه فى الحبال ، ثم عاد بالسياط ، حتى إذا قلنا : هو ضاربه ، قال : خلوا سبيله ، أما أنى لولا أنى غضبان لسؤتك ، وقرأ : ﴿ وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ ^(١) الآية .

قال : حدثنا قيس ، عن عبد الملك ، قال : قام عمر بن عبد العزيز إلى قائلته ^(٢) ، وعرض له رجل بيده طومار ، فظن القوم أنه يريد أمير المؤمنين ، فخاف أن يحبس دونه ، فرماه بالطومار ، والتفت أمير المؤمنين ، فأصابه فى وجهه فشججه ، فنظرت إلى الدماء تسيل على وجهه ، وهو فى الشمس ، فقرأ الكتاب ، وأمر له بحاجته وخلقى سبيله .

إن التقى ملجم :

قال : حدثنا سفيان قال : نال رجل من عمر بن عبد العزيز ، فقيل له : ما يمنحك منه ؟ فقال : إن التقى ملجم .

(١) سورة آل عمران ، آية ١٣٤ .

(٢) من القيلولة .

قال : حدثنا رويم بن يزيد ، عن أبي سهل المصري ، عن حاتم بن قدامة ، قال : قام رجل إلى عمر بن عبد العزيز ، وهو على المنبر ، فقال : أشهد أنك من الفاسقين . فقال له : وما يدريك : وأنت شاهد زور لا نجيز شهادتك .

قال : حدثنا أبو بكر بن عبيد ، عن عبد الحميد بن حريث . أن رجلاً قال له : يا أمير المؤمنين ! هذا رجل يسبك فأعرض عنه . ثم قال الثانية ، فأعرض عنه . ثم قال الثالثة . فقال عمر : يستدرجه من حيث لا يعلم .

قال : حدثنا سهل بن مخلود ، عن حرمة بنت عبد العزيز ، عن أبيها ، عن رجل من حبيشة ، قال : لقينا عمر بن عبد العزيز يسير على راحلته ، وهو يقرأ أمام ركائبه ، إذا غشيت راحلته رجلاً يمشي على الطريق .

فقال : أبصر ! لا أبصرت . فلما مر الموكب^(١) . هل من رجل يحمل عقبه ؟ فقال عمر لغلامه : تخلف ! فاحمل هذا إلى الماء .

إنما سألتني : أمجنون أنت ؟ فقلت : لا .

قال سهل ، وحدثنا عمر بن حفص ، قال : حدثنا شيخ قال : لما ولي عمر بن عبد العزيز خرج ليلة ومعه حرسى ، فدخل المسجد ، فمر فى الظلمة برجل نائم ، فعثر به ، فرفع رأسه إليه فقال : أمجنون أنت ؟

قال : لا . فهم به الحرسى ، فقال له عمر : مه ! إنما سألتني أمجنون أنت ؟ فقلت : لا .

قال : حدثنا أحمد بن الحارث ، عن علي بن زيد ، قال : أسمع رجلاً عمر بن عبد العزيز كلاماً فقال : له عمر بن عبد العزيز : أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان ، فأنا منك اليوم ما تنال منى غداً ! ثم عفا عنه .

(١) بياض فى الأصول .

الباب الثامن والعشرون

فى ذكر تعبده واجتهاده

كيف كان عمر يقضى ليله ؟

قال : حدثنا ضمرة ، عن سعيد بن عبد الملك قال : بتُّ عند أختى فاطمة ، امرأة عمر عبد العزيز ، فلما أمسينا دخل البيت ، وفى البيت تابوت ، قال : ففتحه فأخرج ثوبى شعر ووضع ثيابه ، ثم لبسها ثم قام يصلى .

قال : حدثنا الوليد بن صالح ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، قال : كان لعمر بن عبد العزيز سبط ، فيه دراعة من شعر وغل ، وكان له بيت فى جوف بيت يصلى فيه لا يدخل فيه أحد . فإذا كان فى آخر الليل فتح ذلك السبط ، ولبس تلك الدراعة ، ووضع تلك الغل فى عنقه فلا يزال يناجي ربه ويكى حتى يطلع الفجر ، ثم يعيده فى السبط .

قال : حدثنا عمر بن صالح الأزدي قال : سمعت شيخاً من أهل الشام قال : لما مات عمر بن عبد العزيز كان استودع مولى له سبطاً يكون عنده . فجاءوه فقالوا : السبط الذى كان استودعك عمر .

فقال : ما لكم فيه خير . فأبوا ، حتى رفعوا ذلك إلى يزيد بن عبد الملك ، فدعا بالسبط ودعا بنى أمية وقال : حبركم هذا قد وجدنا له سبطاً وديعة قد استودعها . فدعا به ، فجاءوا به ففتحوه ، فإذا فيه مقطعات من مسح كان يلبسها بالليل .

قال : حدثنا عبد الله بن عمر ، عن أبيه قال : أوصى عمر بن عبد العزيز بصندوق مقفل أن يطرح فى البحر . ففعل لزوجته : أى شىء كان فيه ؟ قالت : جامعة وأطمار كان طرح نفسه فيها فى الليل .

قال : حدثنا ضمرة ، عن الأوزاعى ، قال : كان لعمر بن عبد العزيز خوخة ، مما يلى المغرب ، فكان إذا أبطأ عليه المؤذن للمغرب ، بعث إليه أن : أذن ، فقد حضر الوقت .

قال : حدثنا وكيع ، عن صالح بن سعيد^(١) المؤذن ، قال : بينا أنا وعمر بن عبد العزيز بالسويداء ، فأذنت بالعشاء الآخرة ، فصلى ثم دخل القصر ، فقلما لبث أن خرج ، فصلى ركعتين خفيفتين ، ثم جلس فاحتبى ، فافتتح الأنفال ، فما زال يرددّها ويقرأ ، كلما مر بتخوف تضرع ، وكلما مر بآية رحمة دعا ، حتى أذنت الفجر .

قال : حدثنا حماد بن يزيد قال : أخبرنا يحيى أن عمر بن عبد العزيز كان يصوم الإثنين والخميس .

قال : محمد بن سعد : وأخبرنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال : كان عمر بن عبد العزيز يسمر بعد العشاء الآخرة ، قبل أن يوتر ، فإذا أوتر لم يكلم أحداً .

قال : حدثنا إسماعيل ، عن عمر بن مهاجر ، عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يصوم الإثنين والخميس ، والعشر وعاشوراء ، وعرفة .

قال : حدثنا سعيد بن عامر ، عن إسماعيل بن أبي حكيم ، قال : كان عمر بن عبد العزيز لا يدع النظر في المصحف كل يوم ، ولكنه لا يكثر .

قال : حدثنا الحكم بن عمر الرعيني قال : رأيت عمر بن عبد العزيز إذا صلى المكتوبة انصرف إلى أهله ، ولا يتطوع .

قلما يدع يوماً يقرأ في المصحف فلا يطيل :

قال حدثنا سعيد بن عامر ، عن إسماعيل بن أبي حكيم ، قال : كان عمر بن عبد العزيز قلما يدع يوماً يقرأ في المصحف بالغداة ، فلا يطيل .

قال : حوسرة : لا أدري من حدث عن إسماعيل وغيره ، قال : قال لمزاحم : أبغنى رجلاً لمصحف ، فأتاه رجل فأعجبه ، فقال : من أين أصبت هذا ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! دخلت بعض الخزائن ، فأصبت هذه الخشبة ، فاتخذت منها رجلاً . قال : ويحك ! انطلق فأقمه في السوق . قال : وجاء به قد قوم نصف دينار . فقال : يا أمير المؤمنين ! قد قومته بنصف دينار . قال : نرى أن تضع في بيت المال ديناراً لنسلم منه . قال مزاحم : إنما قوموه نصف دينار . قال : ضع في بيت المال دينارين .

(١) في المختصر (سعد) .

الجزء السابع :

الباب التاسع والعشرون

(فى ذكر بكائه وحزنه)

قال : حدثنا سعيد عن قتادة ، قال : دخل على عمر بن عبد العزيز رجل يقال له : ابن الأهثم ، فلم يزل يعظه وعمر يبكى حتى سقط مغشياً عليه .

قال أخبرنى رجل من بنى ضبة قال : شهدت رجلاً يقرأ عند عمر بن عبد العزيز ، فلما انتهى إلى هذه الآية : ﴿ فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْنَا وَوَقَّانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴾ ^(١) . بكى عمر حتى اشتد بكاؤه ، ثم ازداد بكاءً ، فلم يزل يبكى حتى غشى عليه .

قال حدثنا محمد بن أبى حميد ، عن إبراهيم بن عبيد بن رفاعه ، قال : شهدت عمر بن عبد العزيز ، ومحمد بن قيس يحدثه ، فرأيت عمر يبكى حتى اختلفت أضلاعه .
قال : حدثنى عبد السلام ، مولى مسلمة بن عبد الملك .

قال : بكى عمر بن عبد العزيز ، فبكت فاطمة ، فبكى أهل الدار ، لا يدرى هؤلاء ما أبكى هؤلاء ! فلما تجلّى عنهم العسر قالت له فاطمة : بأبى أنت ، يا أمير المؤمنين ، مم بكيت ؟

قال : ذكرت يا فاطمة انصراف القوم بين يدى الله ، فريق فى الجنة ، وفريق فى السعير قال ثم صرخ وغشى عليه ، قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن عبيد عن سفيان ، قال : كان عمر بن عبد العزيز يوماً ساكناً ، وأصحابه يتحدثون .

فقال له : ما لك لا تتكلم يا أمير المؤمنين ؟ قال : كنت مفكراً فى أهل الجنة كيف يتزاورون فيها ! وفى أهل النار كيف يصطرحون فيها ! ثم بكى كأن عليه بث هذه الأمة .

قال حدثنا النضر بن عدى قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، فرأيت هكذا قد نصب ركبته ، ووضع يده عليها ، وذقنه على ركبته ، كأن عليه بث هذه الأمة .

(١) سورة الطور ، آية : ٢٧ .

ثم بكى حتى جعلت أرثى له :

قال حدثنا زياد بن أبي زياد المدني قال : أرسلنى مولاى ، ابن عياش بن أبى ربيعة ، إلى عمر بن عبد العزيز فى حوائج له ، فقال : فدخلت عليه ، وعنده كاتب له يكتب ، فقلت : السلام عليكم ! فقال : وعليكم السلام ، ثم انتهيت فقلت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، ورحمة الله ، فقال يا بن أبى زياد ! إنا لسينا ننكر عليك الأول الذى قلت والكاتب يقرأ عليه مظالم جاءت من البصرة . فقال لى اجلس فجلست على أسكفة الباب ، وهو يقرأ عليه ، وعمر يتنفس الصعداء ، فلما أخرج من كان فى البيت ، حتى انصرف من كان فيه ، ثم قام يمشى إلى حتى جلس بين يدى ، ووضع يديه على ركبتي ، ثم قال : يا بن زبى زياد استدفأت بمذرعتك ، وعلى مزرعة من صوف ، واسترحت بما نحن فيه . قال : فما ترك منهم أحدا إلا سألتى عنه ، وسألتى عن أمور كان أمر بها بالمدينة ، فأخبرته . ثم قال : يا بن زياد ألا ترى ما وقعت فيه ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ! إنى لأرجو لك خيرا . وقلت أيضاً : يا أمير المؤمنين ! بعض ما تصنع ، فإنى لأرجو لك خيرا . قال هيهات هيهات : أشتم ولا أشتم وأضرب ولا أضرب ، وأوذى ولا أوذى . قال : ثم بكى حتى جعلت أرثى له . قال : وأقمت حتى قضى حوائجى ، وكتب إلى مولاى يسأله أن يبيعنى منه . ثم أخرج من تحت فراشه عشرين دينارا فقال : استعن بهذه ، فإنه لو كان لك فى الفىء حق أعطيتك حقه ، ولكنك عبد . قال : فأبيت أن أخذها ، فقال : إنما هى من نفقتى . فلم يزل بى حتى أخذتها ، وكتب إلى مولاى يبيعنى منه فأبى وأعتقنى .

قال : حدثنا خالد بن صفوان ، عن ميمون بن مهران ، قال : خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة ، فلما نظر إلى القبور ، بكى ثم أقبل على فقال : يا أبا أيوب ، هذه قبور آبائى بنى أمية ، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا فى لذتهم وعيشتهم . أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلاث ؟ واستحكم فيهم البلى ؟ وأصابته الهوام فى أبدانهم مقيلا ؟ قال : ثم بكى حتى غشى عليه ، ثم أفاق ، فقال : انطلق بنا ، فوالله ما أعلم أحدا أنعم ممن صار إلى هذه القبور ، وقد أمن من عذاب الله .

قال : حدثنا فياض بن محمد ، عن عطاء ، قال : كان عمر بن عبد العزيز يجمع كل

ليلة الفقهاء يتذكرون الموت والقيامة والآخرة ، ثم يكون حتى كأن بين أيديهم جنازة .
قال : حدثنا عبد الله بن الزبير قال : سمعت القداح يذكر عمر بن عبد العزيز كان
إذا ذكر الموت انتفض انتفاض الطير ، وبكى حتى تجرى دموعه على لحيته .
قال : حدثنا سعيد قال : بلغنا أن عمر بن عبد العزيز كان إذا ذكر (الموت) اضطربت
أوصاله .

حدثوها أن الفرح أمامها :

قال : حدثنا الحسن بن عميرة قال : اشترى عمر بن عبد العزيز جارية أعجمية ،
فقلت : أرى الناس فرحين ، ولا أرى هذا يفرح . فقال : ما تقول لكع فقيل له : إنها تقول
كذا وكذا . فقال : ويحها ! حدثوها أن الفرح أمامها .
ما رأيته بعد ذلك متبسماً حتى مات :

قال : حدثني إبراهيم بن مهدي قال : سمعت أختاً لشعيب بن صفوان يذكر عن
بعض المشيخة ، عن مولى لعمر بن عبد العزيز قال : استيقظ ذات ليلة باكياً ، فلم يزل
يبكى حتى استيقظت . قال : وكنت أبيت معه ، وربما منعني النوم كثرة بكائه . قال :
فأكثر ليلتئذ البكاء جداً . فلما أصبح دعاني فقال : أي بني : ليس الخير أن يسمع لك
ويطاع ، إنما الخير أن تكون قد عقلت عن ربك ثم أطعته . يا بني ! لا تأذن اليوم لأحد
على حتى أصبح ويرتفع النهار ، فإني أخاف أن لا أعقل عن الناس ولا يفهمون عني
قلت : بأبي أنت ، يا أمير المؤمنين ؟ رأيته الليلة بكيت بكاء ما رأيته بكيت مثله . قال :
فبكى ثم بكى ، ثم قال : يا بني ! إني والله ذكرت الوقوف بين يدي الله . قال : ثم أغمى
عليه فلم يفق حتى علا النهار . قال : فما رأيته بعد ذلك متبسماً حتى مات .

قال محمد بن الحسين : قال حدثني من شهد عمر بن عبد العزيز وهو أمير المؤمنين ،
وقرأ عنده رجل : ﴿ وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضِيقًا مُقْرِنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ ^(١) فبكى
عمر حتى غلبه البكاء ، وعلا نحيجه ، فقام من مجلسه ، فدخل بيته وتفرق الناس .

(١) سورة الفرقان ، الآية : ١٣

ما رأيت أحداً من خلق الله أكثر بكاء منه :

قال : حدثنا سعيد بن أبي عروبة أن عمر بن عبد العزيز قال لابنه : اقرأ . قال : ما أقرأ ؟ قال اقرأ سورة ق . فقرأ حتى إذا بلغ : ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ﴾ ^(١) بكى ثم قال : اقرأ ؟ اقرأ يا بني ! قال : ما أقرأ ؟ قال : اقرأ سورة ق ، فقرأ حتى إذا بلغ ذكر الموت ، بكى أيضاً بكاء شديداً ، يفعل ذلك مراراً .

قال : حدثنا أبو مودود قال : بلغنا أن عمر بن عبد العزيز قرأ ذات يوم ﴿ وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه ﴾ ^(٢) . فبكى بكاء شديداً حتى سمعه أهل الدار ، فجاءت فاطمة ، فجلست تبكي لبكائه ، وبكى أهل الدار لبكائهما . فجاء عبد الملك ، فدخل عليهم وهم على تلك الحال يكون ، فقال : يا أبة ! ما يبكيك ؟ قال : خير يا بني ، ود أبوك أنه لم يعرف الدنيا ولم تعرفه ، والله ، يا بني ، لقد خشيت أن أهلك . والله ، يا بني لقد خشيت أن أكون من أهل النار .

قال : حدثنا الفضيل بن موسى ، عن مقاتل بن حبان ، قال : صليت خلف عمر بن عبد العزيز فقرأ : ﴿ وقفوهم إنهم مسئولون ﴾ ^(٣) فجعل يكررها لا يستطيع أن يجاوزها - يعني من البكاء .

قال عبد الأعلى بن عبد الله الغزي ^(٤) قال : رأيت عمر بن عبد العزيز خرج يوم الجمعة في ثياب دسمة ، ووراءه حبشي يمشي . فلما انتهى إلى الناس ، رجع الحبشي ، فكان عمر إذا انتهى إلى الرجلين : قال : هكذا رحمكما الله . حتى صعد المنبر ، فخطب فقرأ : ﴿ إذا الشمس كورت * وإذا النجوم انكدرت - حتى إذا انتهى إلى - وإذا الجحيم سعرت * وإذا الجنة أزلفت ﴾ ^(٥) . فبكى وأبكى أهل المسجد ، حتى ارتج المسجد بالبكاء حتى رأيت حيطان المسجد تبكي معه . قال : حدثني شيخ من مكة قال : رأيت عمر بن عبد العزيز يبكي على المنبر ، ما يستطيع أن يتكلم من شدة البكاء . قال : حدثنا أبو معشر عن محمد بن قيس ، قال : سلم عمر بن عبد العزيز يوماً من الظهر ، ثم قال : يا أبا إبراهيم ذكرنا الجنة والنار . قال : ذكرت ، فما رأيت أحداً من خلق الله أكثر بكاء منه .

(١) سورة ق ، آية : ١٩ . (٢) سورة يونس . آية : ٦١ . (٣) سورة الصفات ، آية : ٢٤ .

(٤) في المختصر : « العثرى » (٥) سورة التكويد . الآيات : ١٣-١١ .

قال أخبرني شيخ من أهل خراسان قال : لما أراد أبو جعفر بيت المقدس ، نزل براهب كان ينزل به عمر بن عبد العزيز إذا أراد بيت المقدس . فقال : يا راهب ! أخبرني بأعجب شيء رأيت من عمر بن عبد العزيز . قال : نعم يا أمير المؤمنين ، بينما عمر عندي ذات ليلة على سطح غرفتي هذه - وهو من رخام - وأنا مستلق على قفائي ، فإذا أنا بماء يقطر من الميزاب على صدري . فقلت : والله ، ما عندي ماء ، ولا رشت السماء مطراً . فصعدت ، فإذا هو ساجد ، وإذا دموع عينيه تنحدر من الميزاب . قال : حدثنا أصحابنا الحجيون قال : لما رفع عمر بن عبد العزيز رأسه من السجود ، خلف المقام ، نظروا إلى موضع سجوده مبتلأ من دموعه . قال حدثنا أبو المليح ، عن ميمون بن مهران ، قال : قرأ عمر بن عبد العزيز ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ ^(١) فبكى ثم قال : ﴿ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ ^(٢) ما أرى المقابر إلا زيارة ، ولا بد لمن زار أن يرجع إلى الجنة أو إلى النار .

قال : حدثنا صبيح بن بزيع ، عن الأوزاعي ، عن ميمون بن مهران ، قال : حدثت عمر بن عبد العزيز بحديث فيه شدة فلم يزل يبكي حتى بكى الدم .

قال : حدثنا الوليد قال : سمعت رجلاً يحدث الأوزاعي عن جسر ، عن عمر بن عبد العزيز ، قال : ذكرنا شيئاً مما كان فيه ، فبكى حتى رأينا خلل الدم في الدمع . فقال الأوزاعي : قد بلغنا البكاء عن البكائين ، عن داود عليه السلام ، فمن دونه ، ما بلغنا أن أحداً صار (إلى) هذا غير عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله .

قال : حدثنا الوليد بن مسلم ، عن من سمع حسن بن الحسين ، يقول : رأيت عمر بن عبد العزيز بكى ، حتى رأيت بكى الدم .

قال : حدثنا ابن ميمون بن مهران ، قال : قال عمر بن عبد العزيز : حدث يا ميمون ! قال : فحدثته حديثاً بكى منه بكاء شديداً .

فقال : يا أمير المؤمنين ! لو علمت أنك تبكي هذا البكاء ، لحدثتك بحديث ألين من هذا . فقال : يا ميمون ! إنا بأكل هذه الشجرة العدس ، وهي ، ما علمت ، مُرَّةٌ للقلب ، مُغزرةٌ للدمعة ، مذلةٌ للجسد .

(١) سورة التكاثر . آية : ١ . (٢) سورة التكاثر . آية : ٢ .

إياك أن تخلو بامرأة غير ذات محرم :

قال ميمون : ودعاني عمر فقال : إني أوصيك بوصية فاحفظها : إياك أن تخلو بامرأة غير ذات محرم ، وإن حدثتك نفسك أن تعلمها القرآن !.

قال : حدثنا جعفر بن سيدان الأزدي ، عن أبي عبد الله الحرشي ، قال : سمعت بعض العلماء ، ممن قدم على عمر بن عبد العزيز ، يقول : الصامت على علم ، كالمتكلم على علم . فقال عمر : إني لأرجو أن يكون المتكلم على علم أفضلهما يوم القيامة حالا ، وذلك لأن منفعته للناس ، وهذا صمته لنفسه . فقال : يا أمير المؤمنين ! وكيف بفتنة المنطق ؟ فبكى عمر بن عبد العزيز بكاء شديداً .

الباب الثلاثون

(في ذكر خوفه من الله تعالى)

نقص علينا أمير المؤمنين الحياة منذ ولي ، فليته لم يل :

قال : حدثنا عمرو بن جرير قال : حدثني أبو سريع الشامي قال : قال عمر بن عبد العزيز لرجل من جلسائه : أبا فلان ! لقد أرقّت الليلة مفكراً . قال : فيم يا أمير المؤمنين ؟ قال : في القبر وساكنه إنك لو رأيت الميت بعد ثلاثة - أو قال : ثلاثة - في قبره ، لاستوحشت من قربهِ بعد طول الأنس منك بناحيته . ولرأيت بيتاً يجول فيه الهوام ، ويجرى فيه الصديد ، وتخرقه الديدان ، مع تغير الريح ، وبلى الأكفان ، بعد حسن الهيئة وطيب الريح ، ونقاء الثوب . قال : ثم شهق شهقة خر مغشياً عليه فقالت فاطمة : ويحك يا مزاحم أخرج هذا الرجل عنا ، فلقد نقص على أمير المؤمنين الحياة منذ ولي ، فليته لم يل قال فخرج الرجل ، وجاءت فاطمة ، فجعلت تصب على وجهه الماء وتبكي ، حتى

أفاق من غشيته ، فرآها تبكى ! فقال : يا فاطمة ما يبكيك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ! رأيت مصرعك بين أيدينا ، فذكرت مصرعك بين يدي الله وللموت ، وتخليك من الدنيا ، وفراقك لها ، فذاك الذى أبكاني . قال : حسبك يا فاطمة ! فلقد أبلغت . ثم مال ليسقط ، فضمنه إلى صدرها - أو قال إلى نفسها - فقالت : بأبى أنت وأمى يا أمير المؤمنين ما نستطيع أن نكلمك بكل ما نجد لك فى قلوبنا . فلم يزل على حاله تلك حتى حضرت الصلاة ، فصبت على وجهه ماء ثم نادته : الصلاة يا أمير المؤمنين ! فأفاق فرعاً .

قال : حدثنا المغيرة بن حكيم قال : قالت لى فاطمة بنت عبد الملك . امرأة عمر بن عبد العزيز : يا مغيرة ! إنه قد يكون فى الناس من هو أكثر صلاة وصياماً من عمر ، وما رأيت أحداً قط ، كان أشد فرقاً من ربه من عمر ، كان إذا صلى العشاء قعد فى مسجده ، ثم رفع يديه ، فلم يزل يبكى حتى تغلبه عيناه ، ثم ينتبه ، فلا يزال يبكى حتى تغلبه عيناه .

قال : حدثنا المغيرة بن حكيم قال : قالت لى فاطمة بنت عبد الملك : يا مغيرة ! قد يكون من الرجال من هو أكثر صلاة وصياماً من عمر بن عبد العزيز ، ولكن ، لم أر رجلاً من الناس كان أشد فرقاً^(١) من ربه من عمر بن عبد العزيز (كان إذا دخل بيته ألقى نفسه فى مسجده ، فلا يزال يبكى ويدعو ، حتى) تغلبه عيناه ، فيسقط ، فيفعل مثل ذلك ليلته أجمع .

قد أخبرتك فاتعظي الآن أو دعي :

قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد الله القرشى ، عن عطاء ، قال : دخلت على فاطمة بنت عبد الملك ، بعد وفاة عمر بن عبد العزيز ، فقلت لها : يا بنت عبد الملك ! أخبريني عن أمير المؤمنين . قالت : أفعل ، ولو كان حياً ما فعلت ، إن عمر ، رحمه الله ، كان قد فرغ نفسه وبدنه للناس ، كان يقعد لهم يومه ، فإن أمسى عليه بقية من حوائج الناس يومه ، وصله بليته إلى أن أمسى مساء ، وقد فرغ من حوائج يومه ، فدعا بسراجيه الذى كان يسرج له من ماله ، ثم قام فصلى ركعتين ، ثم أقعى واضعاً رأسه على يده ، تسيل دموعه على خده ، يشهق الشهقة ، وأقول : قد خرجت نفسه ، أو انصدعت كبده

(١) فرقاً : فزعاً وخوفاً . (٢) أقعى : الرجل فى جلوسه : تساند إلى ما وراءه .

فلم يزل ليلته حتى برق له الصبح ، ثم أصبح صائماً ، قالت : فدنوت منه فقلت : يا أمير المؤمنين ! لسي^(١) ما كان فيك الليلة ، ما كان منك ، قال : أجل ، فدعيني وشأني ، وعليك بشأنك ، قالت : قلت له : لأنني لأرجو أن أتعظ ، قال : إذن أخبرك ، إنني نظرت إلى ، فوجدتني قد وليت أمر هذه الأمة : صغيرها وكبيرها ، وأسودها وأحمرها ، ثم ذكرت الغريب الضائع ، والفقير المحتاج ، والأسير المفقود ، وأشباههم ، في أقاصي البلاد وأطراف الأرض ، فعلمت أن الله سألني عنهم ، وأن محمداً ﷺ حجيجي فيهم ، فخفت أن لا يثبت لي عند الله عذر ، ولا يقوم لي مع رسول الله ﷺ حجة ، فخفت على نفسي خوفاً دمعته له عيني ، ووجل له قلبي ، وأنا كلما ازددت لها ذكراً ، ازددت منه وجلاً ، وقد أخبرتك ، فاتعظي الآن أو دعي .

قال حدثني محمد بن أيوب الشامي قال : حدثني مولى لنا فقال : بكت فاطمة بنت عبد الملك حتى عشى بصرها ، فدخل عليها أخوها : مسلمة وهشام ابنا عبد الملك ، فقالا : ما هذا الأمر الذي قدمت عليه ؟ أجزعك على بعلك ؟ فأحق من جزع على مثله ، أم على شيء فأتك من الدنيا ؟ فها نحن بين يديك ، وأموالنا وأهلونا . فقالت : ما من كل جزعت ، ولا على واحدة منها أسفت ولكني والله ، رأيت منه ليلة منظراً ، فعلمت أن الذي أخرجه إلى ذلك ، الذي رأيت منه هول عظيم ، قد أسكن قلبه معرفته . قالوا : وما رأيت منه ؟ قالت : رأيت ذات ليلة قائماً يصلي ، فأتى على هذه الآية : ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾^(٢) فصاح : « واسوء صباحاه » ! ثم وثب ، فسقط ، فجعل يخور حتى ظننت أن نفسه ستخرج ، ثم إنه هداً ، فظننت أنه قد قضى . ثم أفاق إفاقة ، فنادى : « يا سوء صباحاه » ! ثم وثب ، فجعل يجول في الدار ، ويقول : « ويلى من يوم يكون فيه الناس كالفراش المبعوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش » . قالت : فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر ، ثم سقط كأنه ميت ، حتى أتاه الأذان للصلاة ، فوالله ما ذكرت ليلته تلك إلا غلبتني عيناي ، فلم أملك رد عبرتي .

قال : حدثنا عبد الرحمن ، عن مالك ، قال : قال عمر بن عبد العزيز لما خرج من

(١) اللسا: الكثير. (٢) سورة القارة : الآيتان : ٤ - ٥ .

المدينة : يا مزاحم ! نخشى أن نكون ممن نفت المدينة . قال الشيخ أبو الفرج المصنف : إنما أشار إلى قول النبي ﷺ ، في صفة المدينة : « تنفى خبثها » .

كان يكثر أن يقول : « اللهم سلم سلم » :

قال : حدثنا عباس بن عقبة قال : بلغني أن عمر بن عبد العزيز كان يكثر أن يقول : « اللهم سلم سلم » . قال : حدثنا عبد الله بن الوليد بن أبي السائب قال : سمعت أبي يقول : ما رأيت أحداً قط كان الخوف على وجهه أبين منه على عمر بن عبد العزيز . قال : حدثنا سليمان بن بشير ، عن مسافع بن شيبة ، أنه أتى عمر بن عبد العزيز ، ومعه ابن له فقال له : أما ابنك فأنزله دار الضيفان ، وأما أنت فانزل معي في البيت . وكانت امرأة عمر بن عبد العزيز ذات قرابة له . فصلى عمر المغرب بالناس ثم دخل البيت ، فدخل إلى مسجده في البيت ، فجعل يصلي ، فأطال الصلاة ، وجعل ييكي . فقالت له امرأته : يا أمير المؤمنين ! انصرف فعش ضيفك ثم شأنك بعد . فانصرف ، فأقبل كأنه يعتذر ، فقال : يا مسافع ! كيف يشبع رجل من الطعام والشراب ، وليس أحد ، من المشرق والمغرب ، يظلم بظلامته إلا كنت أنا صاحبه ؟ .

حسبي عمل يوم في يومه ، فكيف بعمل يومين ؟

قال : حدثني موسى بن علي قال : سمعت حري بن عبد العزيز يحدث عن أخيه ريان بن عبد العزيز قال : قلت لعمر بن عبد العزيز للذي رأيته فيه يا أمير المؤمنين ! لو تروحت وركبت . قال : كيف لي بعمل ذلك اليوم ؟ قلت : يكون في اليوم الذي يليه . قال : حسبي عمل يوم في يومه ، فكيف بعمل يومين في يوم ؟ قال : قلت له : قد كان سليمان بن عبد الملك يركب ويتروح ، وهو في ذلك مجزى . فقال عمر : ولا يوم واحد في الدنيا يجزيه .

قال : حدثنا سلام بن أبي مطيع قال : نبئت أن عمر بن عبد العزيز لما قام ، هاجت ريح فدخل عليه رجل ، فإذا هو ممتقع اللون . فقال :

يا أمير المؤمنين ! ما لك ؟ قال : ويحك ! وهل هلك أمة قط إلا بالريح ؟!

قال : حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن عتبة بن تميم ، وغيره ، أن عمر بن عبد العزيز كان يقول : وايم الله ! لو أعلم أنه يسوغ لى ، فيما بينى وبين الله ، أن أخليكم وأمركم هذا وألحق بأهلى ، لفعلت . ولكنى أخاف أن لا يسوغ ذلك لى ، فيما بينى وبين الله .

قال حدثنا مقاتل بن حيان ، قال : صليت خلف عمر بن عبد العزيز ، فقرأ : ﴿ وقفوهم إنهم مسئولون ﴾ ^(١) . فجعل يكررها حتى لا يستطيع أن يجاوزها .

قال : حدثنا محمد بن سعيد قال يزيد بن حوشب : ما رأيت أخوف من الحسن وعمر ابن عبد العزيز ، كأن النار لم تخلق إلا لهما .

قال : حدثنا سعيد ، وحدثنا أشعث ، عن أرطاة بن المنذر ، قال : كان عند عمر بن عبد العزيز نفر يسألونه أن يتحفظ فى طعامه ، ويسألونه أن يتنحى عن الطاعون ، ويخبرونه أن الخلفاء قبله قد كانوا يفعلون ذلك . فلما أكرهوا عليه قال : اللهم ! إن كنت تعلم أنى أخاف يوماً دون يوم القيامة ، فلا تؤمن خوفى .

إن لى عقلاً أخاف أن يعذبنى الله عليه :

قال : حدثنا أرطاة قال : قيل لعمر بن عبد العزيز : لو جعلت على طعامك أميناً ، لا تُغتال ، وحرساً إذا صليت ، لا تُغتال ، وتنح عن الطاعون ، قال : اللهم ! إن كنت تعلم أنى أخاف يوماً دون يوم القيامة ، فلا تؤمن خوفى .

قال : حدثنا صالح بن داود قال : قال عمر بن عبد العزيز لرجاء : يا رجاء ! إن لى عقلاً أخاف أن يعذبنى الله عليه .

قال : حدثنا مردويه الصائغ قال : سمعت فضيل بن عياض يقول : بكى عمر بن عبد العزيز يوماً ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : قال : تلومنى أن أبكى ؟ ولو أن سخلة هلكت على شاطئ الفرات ، لأخذَ بها عمر يوم القيامة .

قال : حدثنا الغلابى قال : حدثنى رجل ، أن عمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنه ،

(١) سورة الصافات آية : ٢٤

قرأ عنده قارئ مرة ، فقال له مسلمة : لحت ^(١) . فقال له عمر : ما شغلك معناها عن لحنه قال : حدثنا عثمان بن عبد الحميد بن لاحق قال : سمعت أبي قال : قرأ رجل عند عمر بن عبد العزيز سورة ، وعنده رهط قال بعض القوم : لحن . فقال له عمر : أما كان فيما سمعت ما يشغلك عن اللحن ؟

قال : حدثنا النضر بن عدى قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، وكان لا يبكي ، إنما هو منقبض ، وكان عليه حزن الخلق .

قال : حدثنا الحميدى ، عن سفيان ، قال : سمع عمر بن عبد العزيز رجلاً يقول : عدل ، والله عمر بن عبد العزيز في الأمة . قال : فبكى عمر ، وقال : وددت ، والله ، أنه كما قلت ومن لعمر بالذى قلت ؟ رحمك الله ! .

قال : أخبرني أشهب قال : قال مالك : دخل عمر بن عبد العزيز على فاطمة امرأته ، فطرح عليها خلق ساج عليه ، ثم ضرب على فخذه ، فقال : يا فاطمة ! لنحن ليالى دابق أنعم منا اليوم ، فذكرها ما كانت نسيته من عيشها ، فضربت يده ضربة فيها عنف ، فنحتها عنها ، وقالت : لعمرى لأنت اليوم أقدر منك يومئذ ، فقام وهو يقول بصوت حزين : يا فاطمة ! إنى أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ، فبكت فاطمة ، وقالت : اللهم ! أعذه من النار .

قال : حدثنا سعيد بن عمر : أن عمر بن عبد العزيز كان إذا ذكر الموت اضطربت أوصاله .

ادع لى بالموت :

قال : حدثنا عبد الله بن عثمان قال : قال عبد الله - يعنى - ابن المبارك - قال عمر بن عبد العزيز : إننى نظرت فى أمرى وأمر الناس ، فلم أر شيئاً خيراً من الموت . قال عبد الله : يعنى لفساد الناس وما داخلهم . فقال لقاصه محمد بن قيس : ادع لى بالموت ، قال : فأبيت ، وأبى على . قال : فدعوت له ، وعمر رافع يديه يؤمن على دعائى وهو يبكى ،

(١) لحن : أخطأ فى القراءة .

قال : وحضر ابن له صغير ، فلما رأى عمر يبكى بكى ، فقال عمر : وهذا معنا . قال : فدعوت بذلك أيضاً ، قال : يقول محمد بن قيس : واستحييت ، فدعوت لنفسي أيضاً معهم ، قال : فعرف الله الصديق من عمر ، فلم يلبث إلا قليلاً حتى مات ، ومات ابنه كذلك ، وبقي محمد بن قيس بعد .

الباب الحادى والثلاثون (فى ذكر مناجاته ودعائه)

رحمتك وسعت كل شيء وأنا شيء :

قال : حدثنا غالب القطان قال : قال عمر بن عبد العزيز : « اللهم ! إن لم أكن أهلاً أن أبلغ رحمتك ، فإن رحمتك أهل أن تبلغنى ، فإن رحمتك وسعت كل شيء ، وأنا شيء ، فلتسعن رحمتك ، يا أرحم الراحمين . اللهم ؟ إنك خلقت قوماً فأطاعوك فيما أمرتهم به ، وعملوا فى الذى خلقتهم له ، فرحمتك إياهم كانت قبل طاعتهم لك ، يا أرحم الراحمين ! » .

. قال :^(١) حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن جده ، أنه ، كان يقول : « اللهم إن رجالاً أطاعوك فيما أمرتهم ، وانتهوا عما نهيتهم ، اللهم ! وإن توفيقك إياهم كان قبل طاعتهم إياك . فوفقنى » .

قال : حدثنا عبيد الله بن عبد الملك قال : كان عمر بن عبد العزيز يقول : « اللهم ! أصلح من كان فى صلاحه صلاح أمة محمد . اللهم ! أهلك من كان فى هلاكه صلاح أمة محمد » .

قال : وأخبرنى من رأى عمر بن عبد العزيز واقفاً بعرفة ، وهو يدعو ويقول ، بأصبعه هكذا - يعنى يشير بها - ويقول : « اللهم ! زد محسن أمة محمد إحساناً ، وارجع مسيئتهم

(١) بياض فى الأصل .

إلى التوبة » . ثم يقول هكذا ، ثم يشير بأصبعه : « اللهم ! وحطّ من أوزارهم برحمتك » .
قال حدثنا عبد الوهاب قال : أخبرني رجل قال : حججت عاماً ، فلما كان عشية
عرفة ، قلت : لأتفرغن اليوم ، فأستمع دعاء عمر بن عبد العزيز .

قال : فوالله ، ما كان له من الدعاء من حين وقف حتى دفع الناس ، إلا أن يقول :
اللهم ! سلّم لي ديني ، ومُنّ عليّ بطاعتك ، ورضاك عني ، وترك ما لا يعنيني » يرددها
حتى غربت الشمس .

اللهم اغفر لي ما بينهما :

قال : حدثني الزبير بن بكار قال : قال عمر بن عبد العزيز : « اللهم ! إنّي أطعته في
أحب الأشياء إليك وهو التوحيد ، ولم أعصك في أبغض الأشياء إليك ، وهو الكف^(١)
فاغفر لي ما بينهما » .

قال : حدثني عبد الله بن عمر بن عبد العزيز قال : ما قلب عمر بن عبد العزيز
نظره إلى نعمة أنعم الله عز وجل بها عليه إلا قال : « اللهم ! إنّي أعوذ بك أن أبدل نعمة
الله كفرة ، أو أن أكفرها بعد معرفتها ، أو أن أنساها ، فلا أثني عليك بها » .

قال : حدثني مالك ، عن يحيى بن سعيد ، أن عمر بن عبد العزيز كان يقول : لقد
تركنتي هذه الدعوات ، وما لي في شيء من هذه الأمور كلها أرب إلا في مواقع قدر الله
وكان كثير مما يدعوه : « اللهم ! رضني بقضائك ، وبارك لي في قدرك ، حتى لا أحب
تعجيل شيء آخرته ، ولا تأخير شيء عجلته » .

قال : حدثني عباس بن عقبة قال : بلغني أن عمر بن عبد العزيز كان يكثر من أن
يقول : « اللهم سلم سلم » .

الباب الثاني والثلاثون (فى ذكر خطبه ومواعظه)

قال الشيخ الإمام جمال الدين ، أيدده الله تعالى : قد ذكرنا شيئاً من خطبه ومواعظه ، فى باب ولايته وغيرها مما لم يحسن فصله من الفصل الذى هو فيه ، ولم نر إعادته .

من صحبنا فليصحبنا بخمس :

قال : حدثنا محمد بن سلام ، عن سلام بن سليم ، قال : لما ولى عمر بن عبد العزيز ، صعد المنبر ، وكان أول خطبة خطبها ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« يا أيها الناس ! من صحبنا فليصحبنا بخمس ، وإلا فلا يقربنا : يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها ، ويعيننا على الخير بجهده ، ويدلنا من الخير على ما لا نهتدى إليه ، ولا يغتاب عندنا الرعية ، ولا يعترض فيما لا يعنيه » .

فانقشع عنه الشعراء والخطباء ، وثبت الفقهاء والزهاد ، وقالوا : ما يسعنا أن نفارق هذا الرجل حتى يخالف فعله قوله .

ليس بين الجنة والنار منزلة :

قال : حدثنى أبو عبد الله الأزدي ، عن الحسن بن محمد الخزازي ، عن رجل من ولد عثمان بن عفان ، أن عمر بن عبد العزيز قال فى بعض خطبه :

« إن لكل سفر زاداً لا محالة ، فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة ، وكونوا كمن عاين ما أعد الله تعالى من ثوابه وعقابه ترغبون وترهبون ، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم ، وتنقادوا لعدوكم ، فإنه والله ما بسط أمل من لا يدري ، لعله لا يصبح بعد مسائه ولا يمسي بعد صباحه ، وربما كانت بين ذلك خطافات المنايا ، فكم رأينا ورأيتم من كان بالدنيا مغترأ ، وإنما تقر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله ، وإنما يفرح من أمن من أهوال

يوم القيامة ، فأما من لا يبرأ من كَلَمٍ إلا أصابه جرح من ناحية أخرى ، أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى نفسى عنه ، فتخسر صفقتى ، وتظهر عيلتى ، وتبدو مسكنتى ، فى يوم يبدو فيه الغنى والفقر ، والموازن منصوبة ، لقد عُنِيتُم بأمر ، لو عنيت به النجوم لانكدرت ولو عنيت به الجبال لذابت ، ولو عنيت به الأرض لتشققت ، أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة ، وإنكم صائرون إلى إحداهما .

قال : حدثنا عمر بن محمد المكي قال : خطبنا فقال :

« إن الدنيا ليست بدار قرار ، دار كتب الله عليها الفناء ، وكتب على أهلها منها الظعن ، فكم عامر موثق عما قليل يخرب ، وكم مقيم مغتبط عما قليل يظعن ، فأحسنوا ، رحمكم الله منا الرحلة بأحسن ما يحضر بكم من النقلة ، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى . إنما الدنيا كفىء ظلال قلص فذهب . بينا ابن آدم فى الدنيا منافس ، وبها قرير العين ، إذا دعاه الله بقدره ، ورماه بيوم حتفه ، فسلبه آثاره ودنياه ، وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه إن الدنيا لا تُسرُّ بقدر ما تضر ، إنها تسر قليلاً ، وتجر حزناً طويلاً . »

قال : حدثنى عمر بن الوليد قال : خرج عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة ، وهو ناحل الجسم ، فخطب كما كان يخطب ، ثم قال :

« أيها الناس ! من أحسن منكم فليحمد الله ، ومن أساء فليستغفر الله ، فإنه لا بد لأقوام أن يعملوا أعمالاً وضعها الله فى رقابهم ، وكتبها عليهم . »

قال : حدثنا : محمد بن زيد قال : قال وهيب : خطب عمر ذات يوم ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

« إن الله عز وجل ، لم يبعث نبياً بعد نبيه محمد ﷺ ، ولم ينزل كتاباً بعد كتابه الذى أنزله على نبيه محمد فهو الحق إلى يوم القيامة . ألا وإنى لست بمبتدع ولكنى متبع ، ألا وإنى لست بخيركم ولكنى أثقلكم حملاً . ألا وإن السمع والطاعة واجبان على كل مسلم ما لم يؤمر بمعصية ، فلا طاعة للمخلوق بمعصية الخالق . ألا هل أسمعيت ؟ قالها (ثلاثاً) . »

أفضل العبادة أداء الفرائض واجتناب المحارم :

قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن رجاء بن حيوة ، قال : كان عمر بن عبد العزيز يخطب ، فيقول :

« أيها الناس ! من ألم بذنب فليستغفر الله ، عز وجل ، وليتب . فإن عاد فليستغفر وليتب . فإن عاد فليستغفر وليتب . فإنما هي خطايا مطوقة في أعناق الرجال ، وإن الهلاك كل الهلاك ، الإصرار عليها » .

قال : حدثنا عبد الملك بن قريب الأصمعي ، عن عدى بن الفضل ، قال سمعت عمر ابن عبد العزيز يخطب ، فقال :

« أيها الناس ! اتقوا الله ، وأجملوا في الطلب ، فإنه إن كان لأحدكم رزق في رأس جبل أو حضيض أرض يأتيه » .

قال : حدثنا معتمر بن سليمان ، فسمعه يقول :

« ألا إن أفضل العبادة أداء الفرائض ، واجتناب المحارم » .

قال : حدثنا محمد بن عروة بن عنبسة ، وحدثنا سعيد بن عامر ، أن عنبسة بن سعيد قال لعمر بن عبد العزيز : إن الخلفاء قبلك كانوا يعطونا عطايا ، وإنني لأراك طلقت هذا المال عن نفسك وأهلك ، وإن لنا عيالات ، فأذن لنا فلنرجع إلى ضياعنا وإلى عيالنا وأخذائنا . فقال : أما إن أحبكم إلي من فعل ذلك . فلما قفل دعاه عمر فقال : يا عنبسة ! أكثر ذكر الموت ، فإنه لا تكون في ضيق من أمر معيشتك فتذكر الموت إلا وسع ذلك عليك .

قال : حدثنا حماد بن يزيد عن محمد بن عمرو ، قال : قال عنبسة بن سعيد بن العاص : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، فلما ودعته وانصرفت ، ناداني : يا عنبسة ! فأقبلت عليه ، فقال : أكثر من ذكر الموت ، فإنك لا تكون في واسع من الأمر إلا ضيق ، ولا في ضيق من الأمر إلا وسع .

اغتنم الدمعة تسيلها على خدك :

قال : حدثني إسحاق بن منصور ، عن أبي الجودى ، قال : قال لى عمر : يا أبا الجودى ! اغتنم الدمعة تسيلها على خدك لله .

قال : حدثنا مفضل بن يونس قال : قال عمر : لقد نغص هذا الموت على أهل الدنيا ما هم فيه من نضارة الدنيا وزهرتها ، فبينما هم كذلك ، وعلى ذلك ، إذا أتاهم حاد من الموت فاخترمهم مما هم فيه ، فالويل والحرسه ، هنالك ، لمن لم يحذر الموت وذكره فى الرخاء ، فيقدم لنفسه خيراً يجده بعدما يفارق الدنيا وأهلها ، قال : ثم بكى عمر حتى غلبه البكاء ، فقام .

قال : حدثنا مرثد بن يزيد قال : سمعت عمر يقول : قيدوا نعمة الله بالشكر لله عز وجل .

قال القرشى ، وحدثنا شريح بن يونس ، عن عمر بن عبد العزيز ذكر النعم شكر .

قال : حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى الغسانى قال : حدثني أبى ، عن جدى ، قال : حج سليمان بن عبد الملك ومعه عمر بن عبد العزيز ، فلما أشرف على عقبة عسفان ونظر سليمان إلى عسكره فأعجبه ما رأى من حجره وزينته ، فقال : كيف ترى ما ها هنا يا عمر ؟ قال : أرى ، يا أمير المؤمنين ، دنيا يأكل بعضها بعضاً أنت المسؤول عنها ، والمأخوذ بها ، فطار غراب من حجرة سليمان ينعب ، فى منقاره كسرة ، فقال سليمان : ما ترى هذا الغراب يقول ؟ قال : أظنه يقول من أين دخلت هذه الكسرة ؟ وكيف خرجت ؟ قال : إنك لتجىء بالعجب يا عمر . فقال : إن أردت أن أخبرك بأعجب من هذا أخبرتك . قال : فأخبرنى . قال : من عرف الله فعصاه ، ومن عرف الشيطان فأطاعه ، ومن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن إليها . قال سليمان : غثت علينا ما نحن فيه يا عمر وضرب دابته فسار ، فأقبل عمر حتى نزل عن دابته فأمسك برأسها ، وذلك أنه سبق ثقله ، فرأى الناس كل من قدم شيئاً قدم عليه ، قال : فبكى عمر ، فقال سليمان : ما يبكيك ؟ قال : هكذا يوم القيامة ، من قدم شيئاً قدم عليه ، ومن لم يقدم شيئاً قدم على غير شيء .

قال : حدثنا جعفر بن حيان قال : أرسلنى صالح بن عبد الرحمن إلى سليمان بن

عبد الملك ، فقدمت عليه ، وعنده عمر بن عبد العزيز فقلت لعمر : هل لك حاجة إلى صالِح ؟ فقال : قل له : عليك بالذى يبقى لك عند الله ، فإن ما بقى عند الله يبقى عند الناس ، وكما لم يبق عند الله لم يبق عند الناس .

لا ينفع القلب إلا ما خرج من القلب :

قال : حدثنا شهاب ، عن خارجة بن مصعب ، عن محمد بن عمرو ، عن عمر بن عبد العزيز ، قال : لا ينفع القلب إلا ما خرج من القلب .

قال عبد الله : حدثني ابن معاذ ، عن شيخ من قریش ، قال : قال عمر : يا معشر المستترين ! اعلّموا أن عند الله مسألة فاضحة ، قال تعالى : ﴿ قَوْمُكَ تَنْسِبُ إِلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ﴾ عما كانوا يعملون ﴿ (١) .

قال : حدثني بحدل الشامى ، عن أبيه ، وكان صاحباً لعمر بن عبد العزيز ، قال : رأيت عمر بن عبد العزيز يتلو على المنبر هذه الآية ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (٢) حتى ختمها ، فمال على أحد شقيه يريد أن يقع .

قال : حدثنا سلام بن مسكين قال : سمعت بعض أصحابنا : أن عمر بن عبد العزيز صعد المنبر فقال :

« أيها الناس ! اتقوا الله ! فإن تقوى الله خلف من كل شيء ، وليس لتقوى الله خلف يا أيها الناس ! اتقوا الله ! وأطيعوا من أطاع الله ، عز وجل ، ولا تطيعوا من عصى الله عز وجل . »

وجدت هذا القلب لا يعبر عنه إلا اللسان :

قال موسى بن إسماعيل ، وحدثنا حازم قال : حدثني رجل قال : حدثني رجل ، يقال له زيد أنه سمع عمر يوم عيد ، وجاء راكباً ، فنزل فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم تلا ثلاث آيات من كتاب الله عز وجل ، ثم قال : يا أيها الناس ! إنى وجدت هذا (القلب لا يعبر عنه إلا) اللسان ، ولعمري - وإن لعمري منى لحقاً - لو ددت أنه ليس من الناس

(١) سورة الحجر الآيات : ٩٢ ، ٩٣ . (٢) سورة الأنبياء الآية : ٤٧ .

عبدٌ ابتلى بسعةٍ إلا نظر قطيعاً من ماله يجعله في الفقراء والمساكين واليتامى والأرامل بدأت أنا بنفسى وأهل بيتى ، ثم كان الناس بعد ، ثم كان آخر كلمة تكلم بها حين نزل : لولا سنةٌ أحيتها ، أو بدعة أمتها ، لم أبال أن لا يبقى في الدنيا إلا فواقاً .

قال : حدثنى منصور بن بشير ، عن شعيب بن صفوان ، عن عيسى ، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى رجل : أما بعد ! فإنى أوصيك بتقوى الله ، والاستمرار بما استطعت من ممالك ومما رزقك الله ، إلى دار قرارك ، فإنك والله لكأنك ذقت الموت ، وعايشت ما بعده بتصريف الليل والنهار ، فإنهما سريعان فى طى الأجل ونقص العمر ، مستعدان لمن بقى بمثل الذى قد أصابه به من مضى ، فنستغفر الله أعمالنا ، ونعوذ بالله من مقتته إيانا ، على ما نعظ به مما نقصر عنه .

قال : حدثنا عبد العزيز بن أبى داود قال : قال عمر بن عبد العزيز : الكلام بذكر الله عز وجل حين ، والفكرة فى نعم الله أفضل العبادة .

إن ابتلاك الله بفقر فتعفف :

قال : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن أبى حبيبة ، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى بعض الأجناد : أما بعد ؛ فإنى أوصيك بتقوى الله ولزوم طاعته ، فإن بتقوى الله نجاء أولياء الله من سخطه ، وبها تحقق لهم ولايته ، وبها رافقوا أنبياءهم ، وبها نضرب وجوههم ، وبها نظروا إلى خالقهم ، وهى عصمة فى الدنيا من الفتن ، والمخرج من كرب يوم القيامة ، ولن يقبل ممن بقى بمثل ما رضى به ممن مضى ، ولمن بقى عبرة فيمن مضى ، وسنة الله فيه واحدة فبادر بنفسك قبل أن تؤخذ بكظملك ، يخلص إليك كما يخلص إلى من كان قبلك ، فقد رأيت الناس كيف يموتون ، وكيف يتفرقون ، ورأيت الموت كيف يعجل التائب توبته ، وذا الأمل أمله ، وذا السلطان سلطانه ، وكفى بالموت موعظة بالغة ، وشاغلا عن الدنيا . ومرغباً فى الآخرة ، فنعوذ بالله من شره الموت وما بعده ، ونسأل الله خيره وخير ما بعده . ولا تطلبن شيئاً من عرض الدنيا بقول ولا فعل تخاف أن يضر بآخرتك ،

ويزرى بدنياك ، ويمقتك عليه ربك . واعلم أن القدر سيجرى إليك برزقك ، ويوفيك أكلك من دنياك ، بغير مزيد فيه بحول منك ولا قوة ، ولا منقوصاً منه بضعف . إن ابتلاك الله بفقر فتعفف في فقرك ، واخبت لقضاء ربك ، واعتبر ما قسم الله من الإسلام ، بما زوى عنك من نعم الدنيا الفانية ، فإن في الإسلام خلقاً من الذهب والفضة والدنيا الفانية . واعلم أنه ليس يضر عبداً صار إلى رضوان الله ، إلى الجنة ، ما أصابه في الدنيا من فقر أو بلاء ، وإنه لن ينفع عبداً صار إلى سخط الله ، وإلى النار ما أصاب في الدنيا من نعمه أو رخاء . ما يجد أهل الجنة من مكروه أصابهم في دنياهم ، وما يجد أهل النار طعم لذة نعموا بها في دنياهم . كل شيء من ذلك كأن لم يكن . كل يوم تشيعون غادياً . ورائحاً قد قضى نحبه وقضى أجله ، وتغييونه في صدع من الأرض ، تدعونه غير متوسد ولا متمهد ، فارق الأحبة وخلع الأسباب ، وسكن التراب ، وواجه الحساب ، مرتهاً بعمله ، فقيراً إلى ما قدم غنياً عما ترك . فاتقوا الله قبل نزول الموت وانقضاء مآلاته . وإيم الله ، إنى لأقول لكم هذه المقالة ، وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما أعلم عندى ، وأستغفر الله وأتوب إليه .

ما هي تقوى الله؟

قال: أخبرني عبد الرحمن بن ميسرة الحضرمي أن عمر بن عبد العزيز كان يقول: ليس تقوى الله، بصيام النهار، وقيام الليل، والتخليط فيما بين ذلك . ولكن تقوى الله . ترك ما حرم الله ، وأداء ما افترض الله ، فمن رزق بعد ذلك خيراً ، فهو خير إلي خير .

قال القرشي : وحدثني محمد بن يزيد الآدمي ، قال : قال عمر بن عبد العزيز : معادن التقوي قلوب المؤمنين ، وخير معادنها أتقاها لله ، عز وجل ، وأتقاها لله أحسنها عقلاً .

قال القرشي : وحدثني الحسن بن عبد الرحمن ، عن شيخ له ، قال : قال عمر بن عبد العزيز : يا أيها الناس ! اتقوا الله ، فإنه ليس من هالك إلا له خلف إلا التقوى ، واحذروا الموت ، فإنه أشد ما قبله وأهول ما بعده .

قال : حدثنا عثمان بن أبي عاتكة أن عمر بن عبد العزيز قال في خطبته يوم الفطر :
أتدرون ما مخرجكم هذا ؟ صمتم ثلاثين يوماً ، وقمتم ثلاثين ليلة ، ثم خرجتم تسألون
ربكم أن يتقبل منكم .

قال : حدثنا أبو معاوية ، عن معروف ، قال : رأيت عمر بن عبد العزيز يخطب الناس
وعليه ثوبان أخضران ، فذكر الموت ، فقال : غيظ ليس كالغيظ ، وكظ ليس كالكظ ^(١)

قال : حدثنا ناشر بن حازم ، عن أبي عمر ، قال : قال عمر بن عبد العزيز : من قرب
الموت من قلبه ، استكثر ما في يديه .

قال القرشي : وكتب إلى زبير بن أبي بكر يخبرني ، عن ذؤيب بن عمامة السهمي ،
عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، أن أباه كان يقول : إذا كنت من الدنيا فيما
يسوؤك ، فاذكر الموت ، فإنه يسهله عليك .

ليس الشائر على الظالم عاصيا بل الإمام الظالم هو العاصي :

قال : حدثنا بشر بن عبد الله بن يسار السلمي قال : خطب عمر الناس فقال : أيها الناس
لا يبعدن عليكم ، لا يطولن يوم القيامة ، فإن من وافته منيته ، فقد قامت قيامته ، لا يستطيع
أن يزيد من حسن ، ولا يعتب من شيء . ألا لا سلامة لامرئ في خلاف السنة ولا طاعة
لمخلوق في معصية الله ، ألا وإنكم تسمون الهارب من ظلم إمامه . العاصي ، إلا وإن
أولاهما بالمعصية : الإمام الظالم .

قال : حدثنا أبي ، عن الحسن بن محمد الحضرمي ، قال خطب
عمر بن عبد العزيز . فقال : أيها الناس ! إنكم خلقتم لأمر إن كنتم
تصدقون به ، إنكم لحمقى ، وإن كنتم تكذبون به إنكم لهلكى : إنما
خلقتم للأبد ولكنكم من دار إلى دار تنقلون . عباد الله ! إنكم فى دار
لكم فيها من طعامكم غصص ، ومن شرابكم شرق ، لا تصفو لكم نعمه تسرون

(١) فى اللسان مادة كظظ : وفى حديث الحسن : « أنه ذكر الموت فقال : غنظ ليس كالغنظ ، وكظ ليس كالكظ » .
أى هم يملأ الجوف ليس كسائر الهموم ، ولكنه أشد . .

بها ، إلا بفراق أخرى تكرهون فراقها ، فاعملوا لما أنتم صائرون إليه وخالدون فيه . ثم غلبه البكاء فنزل .

وصايا عسكرية :

قال : حدثنا ابن المبارك ، عن رجل من قريش ، أن عمر بن عبد العزيز عهد إلى بعض عماله : عليك بتقوي الله في كل حال تنزل بك ، فإن تقوي الله أفضل العدة ، وأبلغ المكيدة ، أقوى القوة؛ ولا تكن من شيء، من عداوة عدوك ، أشد احتراساً لنفسك ومن معك من معاصي الله ، فإن الذنوب أخوف عندى على الناس من مكيدة عدوهم ، وإنما نعدى عدونا ، ونستنصر عليهم بمعصيتهم ، ولولا ذلك لم تكن لنا قوة بهم ، لأن عدونا ليس كعددهم ، وقوتنا ليست كقوتهم وإلا ننصر عليهم بحقنا لا نغلبهم بقوتنا ، ولا تكونن لعداوة أحد من الناس أحذر منكم لذنوبكم ، ولا أشد تعاهداً منكم لذنوبكم ، واعلموا أن عليكم ملائكة لله ، حفظة عليكم ، يعلمون ما تفعلون في مسيركم ومنازلكم فاستحيوا منهم وأحسنوا صحابتهم ولا تؤذوهم بمعاصي الله ، وسلوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه العون على عدوكم ، فنسأل الله ذلك لنا ولكم . وارفق بمن معك في مسيرهم ، ولا تجشمهم سيراً تتعبهم ، ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم ، فإنكم تسيرون إلى عدو جام الأنفس والكراع ، فلا ترفقوا بأنفسكم وكراكم في مسيركم يكن لعدوكم فضل عليكم في القوة . أقم بمن معك في كل جمعة . يوماً وليلة ، ليكون لهم راحة يجمعون بها أنفسهم وكراعهم . ولتكن عيونك من العرب ، ومن تطمئن إلى نصحه من أهل الأرض ، فإن الكذوب لا ينفعلك خبره وإن صدق فى بعضه ، وإن الغاش عين عليك وليس بعين لك .

قال : حدثنا شعيب بن صفوان ، عن الفيض بن عبد الحميد ، قال : قال عمر بن عبد العزيز : من وعظ أخاه بنصيحة له في دينه ، ونظر له في صلاح دنياه ، فقد أحسن صلاته ، وأدى واجب حقه . فاتقوا الله ، فإنها نصيحة لكم في دينكم فاقبلوها ، وعظة منجية لكم من العواقب فالزموها ، فالرزق مقسوم ، فلن يعدو المرء ما قسم له ، فأجملوا في الطلب ،

(١) جام : كثير .

فإن فى القنوع سعة وبلغة وكفاً عن كلفة لا يحل الموت فى أعناقكم وجهنم أمامكم ، وما ترون ذاهب ، وما مضى كأن لم يكن ، وكل ما هو آت قريب . أو ما رأيتم حالات الميت ؟ وجهه مفقود ، وذكره منسى ، وبابه مهجور ، كأن لم يخالط إخوان الحفاظ ، ولم يعمر الديار ، واتقوا يوماً لا يخفى فيه مثقال ذرة فى الموازين .

قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن زيد بن خنيس قال : سمعت أبى يتحدث عن عبد الوهاب بن الورد ، أخى وهيب بن الورد ، قال : بلغنا أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى ابنه ، وهو يعظه يا بنى ! احذر الصرعة عن الغفلة ، حين لا تستجاب الدعوة ، ولا سبيل إلى الرجعة ، ولا تغترن بطول العافية ، فإنما هو أجل ليس دونه فناء ، ولا بعد أن تستكملة بقاء .

قال : حدثنا محمد بن الحسن بن أبى يزيد الهمداني قال : سمعت سفيان الثورى يقول : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل الشام : من أكثر ذكر الموت اجتزأ من الدنيا باليسير ، ومن علم أن كلامه من عمله ، أقل منه ، إلا فيما ينفعه ، والسلام .

قال : حدثنا عبد الله بن محمد ، عن الأوزاعى ، قال : كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رسالة ، لم يحفظها غيرى وغير مكحول : أما بعد ! فإن من أكثر ذكر الموت ، رضى من الدنيا باليسير ، ومن عد كلامه من عمله ، قل كلامه إلا فيما ينفعه ، والسلام .

إنما خلقتكم للأبد . ولكن من دار إلى دار تنقلون :

قال : حدثنا سفيان الثورى قال : قال عمر بن عبد العزيز : إنما خلقتكم للأبد ، ولكن من دار إلى دار تنقلون .

قال : حدثنا الأشجعى ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، قال : قال عمر لرجل : أوصيك بتقوى الله ، فإنها ذخيرة الفائزين ، وحرز المؤمنين ، وإياك والدنيا أن تفتنك ، فإنها قد فعلت ذلك بمن كان قبلك ، إنها تغر المطمئن إليها ، وتفجع الواثق بها ، وتسلم الحريص عليها ، ولا تبقى لمن استبقاها ، ولا تدفع التلف عن حولها ، لها مناظر بهجة ، ما قدمت منها أمامها لم يسبقك ، وما أخرت منها خلفك لم يلحقك .

حبس الحق حتى يشتري . وبسط الظلم حتى يفتدى :

قال : ... -حدثني أبي ، عن جدي ، أن عمر بن عبد العزيز قال : إنما هلك من كان قبلنا بحبسهم الحق حتى يشتري منهم ، وبسطهم الظلم حتى يفتدى منهم .

قال : -حدثنا عباد بن عباد ، عن محمد بن عمرو ، قال : سمعت عمر بن عبد العزيز على المنبر يقول : ما أعطى الله عبداً عطاء فأخذه منه فعاذه الصبر ، إلا كان أعطاه خيراً مما أخذ منه .

الجزء الثامن

قال : -حدثنا الحسن بن علي الجعفي ، عن المهلب بن عقبة ، قال : كان عمر بن عبد العزيز يقول : إن من أحب الأمور إلى الله ، القصد في الجدة ، والعفو عند المقدرة ، والرفق في الولاية وما رفق عبد بعبد في الدنيا ، إلا رفق الله به يوم القيامة .

قال : -حدثنا عمرو بن ذر قال : صعد عمر بن عبد العزيز ذات يوم المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس إنما يراد الطبيب للوجع الشديد ، ألا أفلا وجع أشد من الجهل ، ولا داء أخبث من الذنوب ، ولا خوف أخوف من الموت ، ثم نزل .

قال : -حدثنا بقية ، عن عبد الله بن كرز ، قال : كتب عامل إفريقية إلى عمر بن عبد العزيز يشكو إليه الهوام والعقارب ، فكتب إليه : وما على أحدكم إذا أمسى وأصبح أن يقول : ﴿ وما لنا ألا نتوكل على الله ... ﴾ ^(١) الآية . قال زرعة : وهي تنفع من البراغيث .

قال : -حدثنا زكريا بن منظور ، عن عمه ، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أخ له ! إنك قد قطعت عظيم السفر ، وبقي أقله فاذا كرى يا أخى ، المصادر والموارد ، فقد أوحى إلى نبيك ﷺ ، في القرآن ، أنك من أهل الورود ، ولم يخبر أنك من أهل الصدور والخروج ، وإياك أن تغرك الدنيا فإن الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له . يا أخى ! إن أجلك

(١) سورة إبراهيم آية : ١٢ .

قد دنا ، فكن وصى نفسك ، ولا تجعل الرجال أوصياءك .

قال : حدثنا جابر بن نوح قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض أهله بيته : أما بعد ! إنك إن استشعرت الموت فى ليلك ونهارك ، بغض إليك كل فان ، وحبب إليك كل باق والسلام .

بؤساً لمن كان بطنه أكبر همه :

قال : وعن ابن أبى الرباب قال : قال عمر بن عبد العزيز : بؤساً لمن كان بطنه أكبر همه .

قال : وعن على بن الحسن قال : كان لعمر بن عبد العزيز صديق ، فأخبر أنه قد مات ، فجاء إلى أهله يعزيهم ، فصرخوا فى وجهه ، فقال لهم : مه ! إن صاحبكم هذا لم يكن يرزقكم ، وإن الذى يرزقكم حتى لا يموت ، إن صاحبكم هذا لم يسدّ شيئاً من حفركم ، وإنما سدّ حفرة نفسه ، لكل امرئ منكم حفرة لا بد ، والله ، أن يسدها . إن الله لما خلق الدنيا حكم عليها بالخراب ، وعلى أهلها بالفناء ، وما امتلأت دار حسرة ، إلا امتلأت عبرة ولا اجتمعوا إلا تفرقوا ، حتى يكون الله هو الذى يرث الأرض ومن عليها ، فمن كان منكم باكياً فليبك على نفسه ، فإن الذى صار إليه صاحبكم ، كلكم يصير إليه غداً .

قال : حدثنا الهيثم بن عمران قال : سمعت إسماعيل بن عبيد الله يحدث قال : قال لى عمر بن عبد العزيز : يا إسماعيل كم أتت عليك من سنة ؟ قال : قلت : ستون سنة وشهور قال : يا إسماعيل ! إياك والمزاح .

قال : حدثنا عبد الرحمن بن حسان قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن معاوية ابن حصين إن استطعت أن تحبى ليلة النحر فإنها ليلة العابدين .

أحسن بصاحبك الظن ما لم يغلبك :

قال : حدثنا وهيب أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، كان يقول : أحسن بصاحبك الظن ما لم يغلبك .

قال : وعن عبد الله بن مروان الشامي أن عمر بن عبد العزيز أتى بعض أهله ، فقرب إليه طعاماً كثيراً ، فقال عمر : ويحك يا فلان ! دون هذا ما يسد الجوعة ، ويذهب سورة النفس ، وتقدم فضل ذلك ليوم فقرك وفاقتك ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إن الله قد أوسع وأحسن ، فقال عمر بن عبد العزيز : فعند ذلك وجب عليك الشكر . ثم نهض .

قال : حدثني إبراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى الغساني قال : حدثني أبي عن جدي قال : قال لجعونة بن الحارث : أتدري ما يحب أهلك منك : قال : نعم يحبون صلاحى قال : لا ، ولكنهم يحبون ما قام لهم من سوادك ، وأكلوا من غمارك ، وتزودوا على ظهرك فاتق الله ولا تطعمهم إلا طيباً .

قال : وعن ميمون بن مهران قال : أوصاني عمر بن عبد العزيز فقال : يا ميمون ! لا تخلُ بمرأة لا تحل لك ، وإن أقرأتها القرآن ، ولا تتبع السلطان ، وإن رأيت أنك تأمره بمعروف وتنهيه عن منكر ، ولا تجالس ذا هوى فيلقى في نفسك شيئاً يسخط الله به عليك .

قال : وعن ميمون بن مهران قال : قال لى عمر بن عبد العزيز : يا ميمون احفظ عني أربع خصال : لا تجالس أميراً ، وإن أمرته بمعروف ونهيته عن منكر ، ولا تخلون بأمرأة غير ذات محرم ، وإن علمتها القرآن ، وإياك وما يعتذر منه ، ولا تقبل المعروف ممن لا يصنعه إلى أهل بيته .

قال : وعن عثمان بن خالد بن دينار ، عن أبيه قال : قال عمر بن عبد العزيز لميمون بن مهران : يا ميمون ! لا تدخل على هؤلاء الأمراء وإن قلت : أمرهم بالمعروف ، ولا تخلون بامرأة ، وإن قلت أقرأها القرآن ، ولا تصلن عاقاً ، فإنه لا يصلك وقد قطع أباه .

كيف كانت المساجد وكيف صارت :

قال : وعن أبي عبد الله الأنطاكي قال : قال عمر بن عبد العزيز كانت المساجد على ثلاثة أصناف : فصنف ساكت سالم ، وصنف في ذكر الله عز وجل ، والذكر معروج به ، وصنف في صلاة ، والصلاة لها من الله نور .

فجعلت من أفناء الدور والأسواق أندية مكان خصومهم - أو قال خوضهم - ومراجع ظنونهم ، يتفكهون بالغيبة، ويفيد بعضهم بعضاً النسيمة .

قال : وعن أبي ربيعة قال : قال : عمر بن عبد العزيز أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس .

قال : وعن عبد الله بن واقد قال : إن آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! الحقوا ببلادكم فإنى أذكركم فى بلادكم وأنساكم عندى ، ألا وإنى قد استعملت عليكم رجالاً لا أقول هم خياركم ، ولكنهم خير ممن هم شر منهم ، فمن ظلمه عامله بمظلمة ، فلا إذن له على ، والله لئن منعت بهذا المال نفسى وأهلى ، ثم بخلت به عليكم ، لئن لئن لئن ، والله لولا أن أنعش لسنة أو أسير بحق ، ما أحببت أن أعيش فواقاً .

إياكم والمزاحمة :

وعن عبد العزيز بن أبي دؤاد قال : قال عمر بن عبد العزيز : اتقوا الله ، وإياكم والمزاحمة ، فإنها تورث الضغينة وتجر القبيحة ، تحدثوا بالقرآن ، وتجالسوا به ، فإن ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال .

ليالى الرحمة :

قال : وعن الزهرى قال : كتب عمر بن عبيد العزيز إلى عدى بن أوطاة - وهو عامله على البصرة - عليك بأربع ليالى من السنة ، فإن الله تعالى يفرغ فيهن الرحمة إفراغاً : أول ليلة من رجب ، وليلة النصف من شعبان ، وليلة الفطر ، وليلة النحر .

قال : وعن يحيى بن سعيد قال : خطب عمر بن عبد العزيز بعرفات ، فقال : إنكم وفد ، وإنكم قد شخصتم من القريب والبعيد ، وأنصبتكم الظهر وأثقلتكم ، وليس السابق اليوم من سبق بغيره ولا فرسه ، ولكن السابق يوم القيامة من غفر له .

قال : حدثنا سفيان قال : سمعت شيخاً من شيوخنا قال : سمعت عمر بن عبد العزيز ،

(١) أنصبتكم : أتعبتم .

وهو على المنبر بعرفة ، وهو يقول : اللهم زد في إحسان محسنهم ، وراجع مسيئهم إلى التوبة ، وحط من ورائهم بالرحمة ، قال : وأوماً بيده إلى الناس .

قال : وعن إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة قال : قال عمر بن عبد العزيز : لو أن المرء لا يعظ أخاه حتى يحكم أمر نفسه ، ويكمل الذي خلق له من عبادة ربه ، إذن لتواكل الناس الخير ، وإذن لرفع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقل الواعظون والساعون لله بالنصيحة في الأرض .

قال : حدثني الحسن بن الصباح قال : قال علي بن بكار : قال عمر بن عبد العزيز : إذا رأيتم الرجل يطيل الصمت ، ويهرب من الناس ، فاقربوا منه ، فإنه يلقي الحكمة .

خطبة نبوية :

قال : وعن حاجب بن خلف قال : شهدت عمر بن عبد العزيز يخطب الناس ، وهو خليفة ، فقال في خطبته : ألا إن ما سن رسول الله ﷺ وصاحباؤه فهو دين تأخذ به ، وننتهي إليه وما سن سواهم فإننا نرجئه .

قال : حدثنا الوليد بن مسلم قال : قال عبد الله بن العلاء : سمعت عمر بن عبد العزيز خطبة واحدة يرددها ، يفتتحها بسبع كلمات : (إن) الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى ^(١) ثم يوصي بتقوى الله ويتكلم . ثم يخطب خطبته الأخيرة بقراءة هؤلاء الآيات : ﴿ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ﴾ ^(٢) إلى تمام العشر . قال عبد الله بن العلاء : لم يدع قراءة ذلك مقامى قبله .

قال : وعن عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن أبي حبيبة قال : كتب عمر إلى أخ من إخوانه في الله عز وجل فكان في كتابه : لا تطلبن شيئاً من عرض الدنيا بقول ولا فعل

(١) هذه الخطبة حديث نبوي قاله النبي ﷺ لرجل اسمه (ضمار) يوم جاء ليرقيه . والحديث رواه مسلم . راجع فهرسه وضع الدكتور عبد المعطي قلجعي نشر دار الغد العربي (٢) سورة الزمر آية : ٥٣ وما بعد .

تخاف أن يضر بآخرتك ، ويزرى بدينك ، ويمقتك عليه ربك ، واعلم أن القدر سيجرى إليك برزقك ، ويوفيك أجلك من دنياك ، غير متزيد فيه بحول منك ولا قوة ، ولا منتقص منه بضعف ، إن ابتلاك الله عز وجل بفقر ، فتعفف في فقرك ، وأخبت لقضاء ربك ، واغتفر بما قسم الله لك من الإسلام ، ما زوى عنك من نعمة دنياك .

فإن في الإسلام خلفاً من الذهب والفضة والدنيا الفانية ، واعلم أن لا يضر عبداً صار إلى رضوان الله ، وإلى الجنة ، ما أصاب في الدنيا من فقر وبلاء ، وأنه لن ينفع عبداً صار إلى سخط الله ، ما أصابه من نعمة أو رخاء ، ما يجد أهل الجنة من مكروه أصابهم في دنياهم ، وما يجد أهل النار طعم لذة نعموا بها في دنياهم ، كأن شيئاً من ذلك لم يكن .

من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح :

قال : وعن سفيان قال : قال عمر : من لم يعد كلامه من عمله كثرت ذنوبه .

وعن سفيان الثوري قال : قال عمر بن عبد العزيز : من عمل على غير علم ، كان ما يفسد أكثر مما يصلح ، ومن لم يعد كلامه من عمله كثرت ذنوبه ، والرضا قليل ، ومعمل المؤمن الصبر .

قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمر بن عبد العزيز ، قال : الرضا قليل والصبر معول المؤمن .

وعن جعونة قال : قال عمر بن عبد العزيز : يا أيها الناس ! إنما أنتم أغراض تنتضل فيها المنايا ، إنكم لا تؤتون نعمة إلا بفراق أخرى ، وأي أكلة ليس معها غصة ؟ وأي جرعة ليس معها شرقة ؟ وإن أمس شاهد مقبول ، وقد فجعكم بنفسه ، وخلف في أيديكم حكمته .

وإن اليوم حبيب مودع ، وهو وشيك الظعن ، وإن غداً آت بما فيه ، وأين يهرب من يتقلب في يد طالبه ، إنه لا أقوى من طالب ولا أضعف من مطلوب ، وإنما أنتم ستحلون عقد رحالكم في غير هذه الدار ، ثم أنتم فروع أصول قد مضت ، فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله

يعذب الله الناس بمعاصي غيرهم إذا لم يغيروها :

قال : وعن إسماعيل بن أبي حكيم قال عمر بن عبد العزيز : إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة ، فإذا المعاصي ظهرت فلم يغيروا ، أخذت العامة والخاصة .

قال : حدثنا أبو الحسن المدايني قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عمر بن عبد الله بن عتبة يعزيه في أبيه : أما بعد ؛ فإننا قوم من أهل الآخرة ، سكنا الدنيا أموات أبناء أموات . فالعجب كل العجب لميت يكتب إلى ميت ، يعزيه في ميت ، والسلام .

قال : حدثني محمد الكوفي قال : شهدت عمر بن عبد العزيز خطب فحمد الله وأثنى ، ثم قال : أيها الناس ! إن الله تعالى خلق خلقه ، ثم أرقدهم ، ثم يبعثهم من رقدتهم ، فإذا إلى الجنة وإما إلى النار ، والله إن كنا مصدقين بهذا إنا لحمقى ، وإن كنا مكذبين بهذا لهلكي^(١) ثم نزل .

قال : حدثنا عبد الله بن غالب قال : سمعت أبا عاصم العباداني يقول : خطب عمر بن عبد العزيز قال : أما بعد ، فإن كنتم مؤمنين بالآخرة ، فأنتم حمقى ، وإن كنتم مكذبين ، فأنتم هلكى .

قال : حدثني عبد الله بن محمد بن سعد الأنصاري ، أن عمر بن عبد العزيز صعد المنبر ، واجتمع إليه الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ! فإنني لم أجمعكم لأمر أحدثه فيكم ، ولكن فكرت في هذا الأمر الذي أنتم إليه صائرون ، فعلمت أن المصدق بهذا الأمر أحقق ، والمكذب به هالك . ثم نزل .

قال : وعن العتبي قال : صعد عمر يوماً المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : إن كنتم على يقين فأنتم حمقى ، وإن كنتم في شك فأنتم هلكى . ثم نزل .

الفعال أولى بالمرء من القول :

قال : أنبأني ميمون بن مهران قال : إنني لعند عمر ، إذ فتح له منطق حسن ، حتى رق له

(١) إن إن كنا مصدقين ولم نعمل فإننا حمقاء وإما أن نكذب فنكون من الهالكين .

أصحابه قال : ففطن لرجل منهم ، وهو يحذف دمعته ، قال : فقطع منطقته ، فقلت له : امض فى منطقك ، فإننى لأرجو أن يمن الله به على من سمعه ، فانتهى إليه ، فقال بيده : إليك عنى ! فإن فى القول فتنة ، والفعال أولى بالمرء من القول .

قال : وعن عيسى ، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى رجل : أما بعد ، فإننى أوصيك بتقوى الله ، وتقديم ما استطعت من مالك ، وما رزقك الله إلى دار قرارك ، فإنك والله لكأنك قد ذقت الموت ، وعانيت ما بعده ، بتصرف الليل والنهار فإنهما سريعان فى طي الأجل ، نقص العمر ، لم يفتهما شيء اقتناه ، ولا زمن مر به ، مستعدان لمن بقى بمثل الذى أصابنا به من قد مضى ، فنستغفر الله ليسئ أعمالنا ونعوذ به من مقتته إيانا على ما نعظ به مما نقصر عنه .

قال : حدثنا حمزة الجزرى قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى رجل : أوصيك بتقوى الله لا يقبل غيرها ، ولا يرحم إلا أهلها ، ولا يثبت إلا عليها ، فإن الواعظين بها كثير ، والعاملين بها قليل .

قال : وحدثنا المفضل بن غسان قال قال : حدثنا أبى ، عن رجل من الأزد ، قال : قال لعمر بن عبد العزيز : أوصنى . فقال : أوصيك بتقوى الله وإيثاره ، تخف عليك المؤونة وتحسن لك من الله المعونة .

فعلام ذا يدخل النار ؟

قال حدثنى مسلمة بن عبد الملك قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، بعد صلاة الفجر فى بيت كان يخلو فيه بعد صلاة الفجر ، فلا يدخل عليه أحد ، فجاءت جارية بطبق فيه تمر صحيانى - وكان يعجبه التمر - فرفع بكفيه منه ، فقال : يا مسلمة ! أترى لو أن رجلاً أكل هذا ، ثم شرب عليه من الماء ، فإن الماء على التمر طيب ، أكان يجزيه إلى الليل ؟ قال : فقلت : لا أدرى ! فرفع أكثر منه فقال : فهذا ؟ فقلت : نعم ، يا أمير المؤمنين كافيته دون هذا حتى لا يبالي أن يذوق طعاماً غيره ، فقال فعلام ذا يدخل النار . فقال مسلمة : فما وقعت منى موعظة ما وقعت منى هذه .

قال : وعن عمرو بن مهاجر قال : كان متاع رسول الله ﷺ ، عند عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، فى بيت ينظر إليه كل يوم ، قال : وكان ربما اجتمعت اليه قريش ، فأدخلهم ذلك البيت ، ثم استقبل ذلك المتاع ، فيقول : هذا ميراث من أكرمكم الله وأعزكم به . قال : وكان سريرا مرمولا بشريط ، ومرفقة من أدم محشوة بليف ، وجفنة وقدحاً ، وقطيفة من صوف كأنها جر مقانية ، قال : ورعى ، وكنانة فيها أسهم ، وكان فى القطيفة أثر وسخ رأسه ، فأصيب رجل ، فطلبوا أن يغسلوا بعض ذلك الوسخ ، فيسعط به ، فذكر ذلك لعمر ، فسعط ، فبرأ .

قال : حدثنا محمد بن مهاجر قال : كان عند عمر بن عبد العزيز سرير النبی ﷺ وعصاه ، وقدحه وجفنته ، ووسادة حشوها ليف ، وقطيفة ورداء ، فكان إذا دخل عليه نفر من قريش قال : هذا ميراث من أكرمكم الله به ، ونصركم به ، وأعزكم به ، وفعل وفعل

اعملوا لآخرتكم :

قال : حدثنى صالح المرى قال : حدثنى رجل من الأزد أنه سمع عمر بن عبد العزيز يقول فى خطبته : يا أيها الناس ! لا تغرنكم الدنيا والمهلة فيها ، فعن قليل عنها تنقلبون ، وإلى غيرها ترحلون ، فالله الله عباد الله ، فى أنفسكم ، فبادروا بها الفوت قبل حلول الموت ، ولا يطل بكم الأمد ، فتفسو قلوبكم فتكونوا كقوم دعوا إلى حظهم فقصرُوا عنه بعد المهلة فندموا على ما قصرُوا عند الآخرة ، ثم نحب وهو على المنبر .

قال : حدثنا عبيد الله بن الفضل قال : خطبنا عمر بالشام على منبر من طين ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم تكلم بكلمات ثلاث فقال : يا أيها الناس ! أصلحوا سرائركم تصلح لكم علانيتكم ، واعملوا لآخرتكم تكفوا دنياكم ، واعلموا أن رجلا ليس بينه وبين آدم أب حى لمعرق له فى الموت . والسلام عليكم .

قال : وعن السرى بن يحيى أن عمر بن عبد العزيز حمد الله ، ثم خنقته العبرة ، ثم قال : أيها الناس ! أصلحوا آخرتكم تصلح لكم دنياكم ، وأصلحوا سرائركم تصلح لكم

علانييتكم . والله إن عبداً ليس بينه وبين آدم أب إلا قد مات ، إنه لمعرق له في الموت .

قال : حدثنا سهل بن يحيى المروزي قال : أخبرني أبي ، عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، قال : لما وليَ عمر بن عبد العزيز ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أوصيكم بتقوى الله ، فإن تقوى الله خلف من كل شيء ، وليس من تقوى الله خلف ، واعملوا لآخرتكم ، فإنه من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه ، وأصلحوا سرائركم يصلح الله الكريم علانييتكم ، وأكثروا ذكر الموت وأحسنوا الاستعداد له قبل أن ينزل بكم ، فإنه هادم اللذات ، وإنه من لم يذكر من آبائه ما بينه وبين آدم ، عليه السلام ، أباً ، لمعرق له في الموت .

كتاب عمر إلى بعض عماله :

قال : حدثنا أبو زياد ، عبيد الله بن عبيد الله بن عدى الكندي ، عن أبيه ، عن جده ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله : أما بعد ؛ فكأن العباد عادوا إلى الله ، ثم يبتغهم بما عملوا ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى فإنه لا معقب لحكمه ، ولا منازع لأمره . وإنى أوصيك بتقوى الله ، وأحثك على الشكر فيما اصطنع عندك من نعمه ، وأتاك من كرامته ، فإن نعمه يمدّها شكره ويقطعها كفره ، وأكثر ذكر الموت الذي لا تدري متى يغشاك ، فلا مناص ولا فوت ، وأكثر ذكر يوم القيامة وشدته ، فإن ذلك يدعوك إلى الزهادة فيما رغبت فيه ، والرغبة فيما زهدت فيه ، ثم كن مما أوتيت من الدنيا على وجل ، فإن من لا يحذر ذلك ، ولا يتخوفه ، توشك الصرعة أن تدركه في الغفلة ، وأكثر النظر في عملك في دنياك بالذي أمرت به ، ثم اقتصر عليه فإن فيه ، لعمري شغلا عن دنياك ، ولن تدرك العلم حتى تؤثره على الجهل ، ولا الحق حتى تذر الباطل ، نسأل الله لنا ولك حسن معونته وأن يدفع عنا وعنك بأحسن دفاعه برحمته .

عظة القبر :

قال : وعن أبي فروة قال : خرج عمر بن عبد العزيز على بعض جنائز بني أمية ، فلما صلى عليها ودفنت ، قال الناس : قوموا ، ثم توارى عنهم فاستبطأه الناس حتى ظنوا ، فجاء وقد احمرت عيناه وانتفخت أوداجه ، فقالوا : يا أمير المؤمنين لقد أبطأت ، فما الذي حبسك ؟ قال : أتيت قبور الأحبة قبور بني أبي فسلمت فلم يردوا السلام ، فلما ذهبت

أقفى ، نادانى التراب فقال : يا عمر ألا تسألنى ما لقيت الأحبة ؟ قلت : ماذا لقيت الأحبة ؟ قال : خرقت الأكفان وأكلت الأبدان . فلما ذهبت أقفى ، نادانى التراب فقال : يا عمر ! ألا تسألنى ما لقيت العينان ؟ قلت : وما لقيت العينان ؟ قال : قد عمت المقلتان ^(١) وأكلت الحدقتان . فلما ذهبت أقفى ، نادانى التراب : يا عمر ! ألا تسألنى ما لقيت الأبدان ؟ قلت : وما لقيت الأبدان ؟ قال : قطعت الكفان من الرسغين ، وقطعت الرسغان من الذراعين ، وقطعت الذراعان من المرفقين ، وقطعت الكتفان من الجنبين ، وقطعت الجنبان من الصلب ، وقطع الصلب من الوركين ، وقطعت الوركين من الفخذين والفخذان من الركبتين ، وقطعت الركبتان من الساقين ، وقطعت الساقان من القدمين . فلما ذهبت أقفى ، نادانى التراب فقال : يا عمر ! عليك بأكفان لا تبلى . قلت : وما الأكفان التى لا تبلى ؟ قال : اتقاء الله ، والعمل لطاعته . وكرر هذا الحديث بروايات أكدته بها وزاد فيه : - ثم بكى عمر وقال : ألا وإن الدنيا بقاءها قليل ، وعزيرها ذليل ، وغنيها فقير ، وشابها يهرم ، وحيها يموت ، فلا يفرنكم إقبالها مع معرفتكم بسرعة إدهارها ، فالمرور من اغتر بها . أين سكانها الذين بنوا مدائنهم ؟ وشقوا أنهارها ، وغرسوا أشجارها أقاموا فيها أياماً يسيرة ، غرّتهم بصحتهم ، وعزّوا بنشاطهم فركبوا المعاصى ، إنهم والله كانوا فى الدنيا مغبوطين بالأموال على كثرة النعم ، محسودين على جمعها .

ما صنع التراب بأبدانهم ، والرمل بأجسادهم ، والديدان بعظامهم وأوصالهم ، كانوا على الدنيا على أسرة ممهدة ، وفرش منضدة ، بين خدام يخدمون ، وأهل يكرمون ، وجيران يعضدون ، فإذا مررت فنادهم إن كنت منادياً . وادعهم إن كنت داعياً ، مر بعسكرهم وانظر إلى تقارب منازلهم التى كانت عيشهم ، وسل غنيهم ما بقى من غناه ، وسل فقيرهم ما بقى من فقره ، وسلهم عن الألسن التى كانوا بها يتكلمون ، وعن الأعين التى كانوا بها ينظرون ، وعن الجلود الرقيقة ، والوجوه الحسنة ، والأجساد الناعمة ، ما صنع بها الديدان أمحت الألوان ، وأكلت اللحمان ، وعفرت الوجوه ، وقبّحت المحاسن ، وكسرت الفقار وأبانت الأعضاء ، ومزقت الأثداء ، فأين حجالهم وقبايهم ؟ وأين خدامهم وعبيدهم ؟ وجمعهم ومكنوزهم ؟ والله ما زودهم فرائساً ، ولا وضعوا هنالك متكأ ، ولا غرسوا لهم

(١) قد عمت : كفت .

شجراً ، ولا أنزلوهم من اللحد قراراً ، أليسوا فى منازل الخلوات والفلوات ؟ أليس عليهم الليل والنهار سواء ؟ أليس هم فى مدلهمة ظلماء ؟ قد حيل بينهم وبين العمل ، وفارقوا الأحبة فكم من ناعم وناعمة أصبحت وجوههم بالية ، وأجسادهم من أعناقهم بائنة ، وأوصالهم متمزقة ، قد سالت الحديق على الوجنات ، وامتلاأت الأفواه دماً وصديداً ، ودبت دواب الأرض فى أجسادهم ، ففرقت أعضاءهم ، ثم لم يلبثوا ، والله ، إلا يسيراً حتى عادت العظام رميماً ، وقد فارقوا الحداثق ، وصاروا بعد السعة إلى المضائق قد تزوجت نساؤهم ، وترددت فى الطرق أبنائهم ، وتوزعت القربات ديارهم وتراثهم ، فمنهم ، والله ، الموسع له فى قبره الغض ، الناظر فيه المتنعم بلذته .

يا ساكن القبر غداً ، ما الذى غرك من الدنيا ؟ هل تعلم أنك تبقى أو تبقى لك ؟ أين دارك الفيحاء ونهرك المطرد ؟ وأين ثمرك الحاضر ينع ؟ وأين رفاق ثيابك ؟ وأين طيبك ؟ وأين بخورك ؟ وأين كسوتك لصيفك وشتائك ؟ أما رأيت قد نزل به الأمر فما يدفع عن نفسه ، وهو يرشح عرقاً ، ويتلمظ عطشاً ، ويتقلب فى سكرات الموت وغمراته ، جاء الأمر من السماء ، وجاء غالب القدر والقضاء ، جاء من الأجل ما لا يمتنع منه ، هيهات هيهات ! يا مغمد الوالد والأخ والولد وغاسله ، يا مكفن الميت وحامله ، يا مخليه فى القبر راجعاً عنه ، ليت شعرى ، كيف كنت على خشونة الثرى ، يا ليت شعرى ، بأى خديك بدأ البلى ، يا مجاور الهلكات صرت فى محلة الموتى ، يا ليت شعرى ، ما الذى يلقانى به ملك الموت عند خروجى من الدنيا ، وما يأتينى به من رسالة ربي . ثم تمثل بهذه الأبيات :

تُسَرِّبُما يَفْنَى ، وتُشْغَلُ بالصَّبِي	كما غر باللذات فى النوم حالمٌ
نهارك يا مغرور ، سهوٌ وغفلة	وليلك نومٌ والـردى لك لازمٌ
وتعمل فيما سوف تكره غيبهٌ	كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

ثم انصرف فما بقى بعد ذلك إلا جمعة :

إنما ابن آدم كفيء ظلال قلص فذهب :

قال : حدثني عمر بن محمد المكي قال : خطب عمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنه ، فقال : إن الدنيا ليست بدار قرار ،كم ، دار كتب الله عليها الفناء ، وكتب على أهلها منها الظعن ، فكم عامر موثق عما قليل يخرب ، وكم مقيم مغتبط عما قليل يظعن ، فأحسنوا ، رحمكم الله ، منها الرحلة و بأحسن ما يحضركم من النقلة ، وتزودوا ، فإن خير الزاد التقوى . إنما ابن آدم كفيء ظلال قلص فذهب ، بينا ابن آدم فى الدنيا ينافس فيها قرير عين إذا دعاه الله بقدره ، ورماه بيوم حتفه ، فسلبه آثاره ودياره ودنياه ، وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه . إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر ، إنها تسر قليلا ، وتحزن حزناً طويلا .

قال : حدثنا أسيد بن زيد قال : كنا مع عمر بن عبد العزيز فى جنازة ، فلما أن دفن الميت ، ركب بغلة له صغيرة إلى قبر ، فركز عليه المقرعة ، ثم قال : السلام عليك يا صاحب القبر . قال عمر ، فنادانى مناد من خلفى : وعليك السلام يا عمر بن عبد العزيز عم تسأل ؟

فقلت : عن ساكنك وجارك . فقال : أما البدن فعندى ، والروح عرج به إلى الله ، عز وجل وما أدرى أى شئ حاله فقلت : أسألك عن ساكنك وعن جارك قال : قدعت المقلتان وأكلت الحدقتان ومزقت الأكمفان ، وأكلت الأبدان - ثم ذكر نحوه ونحو الشعر - قال : حدثنى ميمون بن مهران قال : خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة ، فلما نظر إلى القبور بكى ، ثم أقبل على فقال : يا أبا أيوب هذه قبور آبائى من بنى أمية ، كأن لم يشاركوا أهل الدنيا فى لذتهم وعيشهم ، أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثالات ، واستحكم فيهم البلى ، وأصاب الهوام فى أبدانهم مقيلا ؟

ثم بكى حتى غشى عليه ، ثم أفاق فقال : انطلق بنا ، فوالله ما أحد أنعم ممن صار إلى هذا ، وقد أمن من عذاب الله .

قال : وعن صالح بن عبد الكريم قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله عدى بن أرتاة : أما بعد ، فإن الدنيا عدوة أولياء الله ، أما أولياء الله فغمتهم ، وأما أعداء الله فغرتهم

آخر خطبة خطبها :

قال : حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، قال : خطب عمر بن عبد العزيز هذه الخطبة وكانت آخر خطبة خطبها ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال : إنكم لم تخلقوا عبثاً ، ولم تتركوا سدى وإن لكم معاداً ينزل الله فيه ليحكم بين الناس ويفصل بينهم ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله وحرم جنة عرضها السموات والأرض ، ألم تعلموا أنه لا يأمن غداً إلا من حذر الله وخافه ، وباع نافداً بياق ، وقليلًا بكثير ، وخوفاً بأمان ؟ ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين ؟ وستصير بعدكم للباقيين ؟ وكذلك حتى تُردَّ إلى خير الوارثين ثم إنكم تشيعون كل يوم غادياً ورائحاً إلى الله قد قضى نحبه وانقضى أجله ، حتى تغيبوه في صدع من الأرض ، في شق صدع ، ثم تتركوه غير ممد ولا موسد ، قد فارق الدنيا والأحباب وبأثر التراب ، موجهاً للحساب ، مرتهاً بما عمل ، غنياً عما ترك فقيراً إلى ما قدم .

فاتقوا الله قبل موافاته وحلول الموت بكم ؛ ووالله ، إنى لأقول هذا ، وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما عندي ، فاستغفر الله ، وما منكم من أحد تبلغنا حاجته يتسع له ما عندنا إلا حرصنا أن نسد من حاجته ما استطعنا ، وما منكم من أحد تبلغنا حاجته لا يتسع له ما عندنا إلا تمنيت أن يبدأ بي وبخاصتي ، حتى يكون عيشنا وعيشه سواء .. أما والله ، لو أردت غير هذا من غضارة العيش لكان اللسان به ذلولاً ، وكنت بأسبابه عالماً ، ولكن سبق من الله كتاب ناطق وسنة عادلة ، دل فيهما على طاعته ، ونهى فيهما عن معصيته . ثم رفع طرف رداءه فبكى وأبكى من حوله .

قال : حدثنا أبو سليم الهذلي قال : خطب عمر بن عبد العزيز فقال : أما بعد ؛ فإن الله عز وجل لم يخلقكم عبثاً ، ولم يدع شيئاً من أمركم سدى ، وإن لكم معاداً ينزل الله عز وجل ، فيه في الحكم والقضاء بينكم ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله ، وحرم الجنة التي عرضها السموات والأرض ، واشترى قليلاً بكثير ، وفائتاً بياق ، وخوفاً بأمن ، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين وسيخلفها بعدكم الباقون ، كذلك حتى تُردَّ إلى خير الوارثين ؟

في كل يوم وليلة تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله ، عز وجل ، قد قضى نحبه وانقضى

أجله ، حتى تغيبوه فى صدع الأرض ، فى بطن صدع ، ثم تدعوه غير ممهد ولا موسد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وسكن التراب وواجه الحساب ، مرتهاً بعمله ، فقيراً إلى ما قدم ، غنياً عما ترك ، فاتقوا الله قبل نزول الموت بكم ، وإيم الله ، إني لا أقول لكم هذه المقالة ، وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب ما أعلم عندي ، وما يبلغني عن أحد منكم حاجة إلا أحببت أن أسد من حاجته ما قدرت عليه ، وما يبلغني أن أحداً منكم لا يسعه عندي إلا وددت أنه يمكنني تغييره ، حتى يستوى عيشنا وعيشه ، وإيم الله ، لو أردت غير ذلك من الغضارة والعيش لكان اللسان منى به ذلولاً ، عالماً بأسبابه ، ولكن سبق من الله عز وجل ، كتاب ناطق ، وسنة عادلة ، دل فيها على طاعته ، ونهى فيها عن معصيته . ثم وضع طرف رداءه على وجهه فبكى وشهق ، وبكى الناس ، فكانت آخر خطبة خطبها .

إن فى أيديكم أسلاب الهالكين :

قال : حدثنا عبد الله بن الفضل التميمي قال : آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز أن صعد النبر ، فحمد الله وأثنى عليه .

ثم قال : أما بعد ؛ فإن فى أيديكم أسلاب الهالكين ، وسيتركها الباقون كما تركها الماضون ، ألا ترون أنكم فى كل يوم وليلة تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله تعالى ؟

وتضعونه فى صدع من الأرض ، ثم فى بطن صدع ، غير ممهد ولا موسد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وسكن التراب ، وواجه الحساب ، فقيراً إلى ما قدم أمامه ، غنياً إلى ما ترك بعده ، أما والله ؛ إني لأقول هذا وأنا أعرف من أحد من الناس مثل ما أعرف من نفسي . قال : ثم وضع طرف ثوبه على عينيه فبكى ثم نزل ، فما خرج حتى أخرج إلى حفرتة ، رحمة الله عليه .

الباب الثالث والثلاثون

فى ذكر ما تمثّل به من الشعر أو قاله

ما تمثّل به من شعر عبد الله بن الأعلى :

قال : حدثنا محمد بن كثير قال : قال عمر بن عبد العزيز ذات يوم ، وهو لائم نفسه وعاتبها :

أيقظانُ أنتَ اليومَ ، أم أنتَ نائمٌ؟	وكيف يطيق النوم حيران هائمٌ؟
فلو كنت يقظان الغداة لحرقّت	محاجرَ عينيك الدموع السواجمُ
نهارك يا مغرورٌ ، سهو وغفلةٌ	وليلك نومٌ ، والردى لك لازمُ
وتشغل فيما سوف تكره غيبهٌ	كذلك فى الدنيا تعيش البهائمُ

قال : حدثنا سعيد بن محمد الثقفى قال : سمعت القاسم بن غزوان قال : كان عمر ابن عبد العزيز يتمثل بهذه الأبيات :

أيقظانُ أنتَ اليومَ ، أم أنتَ نائمٌ؟	وكيف يطيق النوم حيران هائمٌ؟
فلو كنت يقظان الغداة لحرقّت	مدامع عينيك الدموعُ السواجمُ
وقال : سليمان : « محاجر عينيك » :	

أصبحت فى النوم الطويل وقد دنت	إليك أمور مفضعات عظاممُ
نهارك ، يا مغرورٌ ، سهو وغفلة يغرك ما	وليلك نومٌ ، والردى لك لازمُ
يفنى ، وتشغل بالمنى	كما غرّ بالذات فى النوم حالمُ
وتشغل فيما سوف تكره غيبهٌ	كذلك فى الدنيا تعيش البهائمُ

قال : وعن القاسم بن عبد الله قال : كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بهذه الأبيات من قول عبد الله بن عبد الأعلى :

أيقظان أنت اليوم أم أنت نائم وكيف يطيق النوم حيران هائم ؟
فذكر الألفاظ على لفظ رواية القاسم بن غزوان ، إلا أنه قال : « تغر بما يفنى » مكان قوله « يغرك ما يفنى » .

قال : حدثنا عقيل بن مرة قال : أنشدني حرمي بن الهيثم لعمر بن عبد العزيز :
ولا خير في عيش امرئ لم يكن له مع الله في دار القرار نصيب
فإن تعجب الدنيا أناساً ، فإنها قليل متاع ، والزوال قريب

وصوابه : « متاع قليل »

قال : حدثنا موسى بن عبد الله الخزاعي قال : بلغني أن عمر بن عبد العزيز كان لا يجف فوه من هذا البيت :

ولا خير في عيش امرئ لم يكن له مع الله في دار القرار نصيب
قال : حدثنا أبو حاتم ، عن أبي عبيدة ، عن يونس ، قال : كان عمر بن عبد العزيز ذات يوم يسير في جماعة ، فلما كثر الغبار تلثم ، ثم ذكر أبياتاً قالها عبد الأعلى القرشي ، فجبذ^(١) اللثام ، ثم قال أنشأ يقول :

من كان حيث تصيب الشمس جبهته أو الغبار ، يخاف الشين والشعثا
ويألف الظل كي تبقى بشاشته فسوف يسكن يوماً راغماً جدثا
في قعر مظلمة ، غبراء مقفرة يطيل تحت الثرى في قعرها اللبثا
كذا وقع في هذه الرواية : « قالها عبد الأعلى » وإنما هو : ابن عبد الأعلى . وقد قيل إن هذه الأبيات لعمر :

قال : حدثنا محمد بن أبي يعقوب الدينوري قال : من أصبح ما روى لعمر بن عبد العزيز

(١) بمعنى « جذب » .

من الشعر هذه الأبيات :

من كان حين تصيب الشمس جبهته أو الغبار ، يخاف الشين والشعثا
فذكر الأبيات وزاد رابعاً في آخرها وهو :

تجهزى بجهاز تبلغين به يا نفس قبل الردى ، لم تُخلقى عبثا

(قال الشيخ) : وهذه القصيدة ليست لعمر ، إنما تمثل بها من قول ابن عبد الأعلى
ولها قصة :

سفارة عبد الأعلى إلى إمبراطور الروم وقصة ابنه مع عمر :

قال : حدثنا ابن لعبد الصمد بن عبد الأعلى قال : كان عمر بن عبد العزيز وجه عبد
الأعلى بن أبي عمرة رسولا إلى طاغية الروم يدعوهم إلى الإسلام ، فقال له عبد الأعلى :
يا أمير المؤمنين الذي لي بعرض ولدي يخرج معي - وكان أبا عشرة - فقال له : ومن
يخرج معك من ولدك ؟ فقال : عبد الله ، فقال : إنى رأيت عبد الله يمشى مشية مقتها ،
وبلغنى أنه يقول الشعر ، فقال عبد الأعلى : يا أمير المؤمنين أما مشيته فغريزة هي فيه ،
وأما الشعر فإنما هو نواحة ينوح على نفسه ، فقال : مه عبد الله يأتيني العشية ، وأخرج
معك غيره ، فراح به إليه ، فدخل عليه ، فاستنشدته فأنشدته :

تجهزى بجهاز تبلغين به	يا نفس ، قبل الردى لم تُخلقى عبثا
وسابقي بغتة الآجال ، وانكمشى	قبل اللزوم ، فلا منجا ولا غوثاً
ولا تكدى لمن يبقى وتفتقرى ،	إن الردى وارث الباقي وما ورثا
واخشى حوادث صرف الدهر فى مهل	واستيقظى ، لا تكونى كالدى بحثا
عن مديّة كان فيها قطع مدته	فوافت الحرث موفوراً كما حرثا

لا تأمنى فجَعَ دهرٌ مترفٌ نحتل
يا ربّ ذى أملٍ ، فيه على وجل
من كان حيث تصيب الشمس جبهته
ويألف الظل كي تبقى بشاشته
قد استوى عنده من طاب أو خبثا
أضحى به آمناً ، أمسى وقد حدثا
أو الغبارُ ، يخاف الشين والشعثا
فسوف يسكن يوماً راغماً جدثا
يطيل تحت الثرى في قعرها اللبثا

قال ؛ فبكى عمر من شعره .

مَثُولُ ابْنِ قَتَادَةَ بَيْنَ يَدَيِ عُمَرَ :

وعن الهيثم بن عدي ، عن أبيه ، قال : أصيبت عين ابن النعمان الطفوي يوم أُحُد ،
فأتى النبي ﷺ ، وهى فى يده ، فقال : ما هذا يا قتادة ؟ قال هذا ما ترى يا رسول الله ،
قال : إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت رددتها ودعوت الله لك . فلم تفقد منها
شيئاً ، فقال : يا رسول الله : إن الجنة لجزاء جميلٌ ، وعطاء جليل ، ولكنى رجل مبتلي
بحب النساء ، وأخاف أن يقلن أعور فلا يردننى ، ولكن تردها إلىّ وتسأل الله لى الجنة
، فقال : أفعل يا قتادة ، ثم أخذها رسول الله ﷺ ، بيده ، وأعادها إلى موضعها ، فكانت
أحسن عينيه إلى أن مات ، ودعا الله له بالجنة ، قال : فدخل ابنه على عمر بن عبد
العزیز فقال له : من أنت يا فتى ؟ فقال :

أنا ابن الذى سالت على الخد عيْنُهُ
فردّت بكفّ المصطفى أحسن الرد
فعادت كما كانت لأحسن حالها
فيا حسن ما عينٍ ، ويا طيب ما يد

فقال : عمر : رحمه الله ، بمثل هذا فليتوسل إلينا المتوسلون ، ثم قال :

تلك المكارم لا قعبان من لبن
شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وعن الأصمعى قال : قام رجل من الأنصار إلى عمر بن عبد العزيز فقال : يا أمير المؤمنين ! أنا
فلان ابن فلان ، قتل جدى يوم بدر ، وعمى يوم أحد ، فجعل يذكر مناقب آبائه ،

فنظر عمر إلى عنبسة بن سعيد فقال : هذه والله المناقب لا مناقبكم مسكن والجماجم ،
ثم تمثل :

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبو الـ .

قال : وعن عبيد بن عمر قال : دخلت ابنة عبد الله بن زيد بن عبد ربه على عمر
بن عبد العزيز فقالت : يا أمير المؤمنين ! أنا بنت عبد الله بن زيد ، أبى شهد بدرأً وقتل
يوم أحد ، فقال عمر :

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبو الـ

سلينى ما شئت ، فسألت ، فأعطاها ما سألت .

أبيات الخارجى لعمر ، وجواب عمر عليها :

قال : وعن الوليد بن مسلم قال : قال الأوزاعى : لما استخلف عمر بن عبد العزيز ،
كتب اليه رجل من الشراة يقال له عمرو : بأبيات :

قل للمولى على الإسلام مؤتلفاً	وقد يرى أنه رثّ القوى ، واهي
إذ رابه معشرٌ عدوه مأكلةً	بنخوة الملك والإسراف والباه
إنّا شرّنا بدين الله أنفسنا	نبغى بذاك إليه أعظم الجاه
نينهى الولاة بحد السيف عن سرفٍ	كفى بذاك لهم من زاجر ناهي
وإن قصدت سبيل الحق يا عمرأ	آخاك في الله أمثالي وأشباهي
وإن لحقت بقوم كنت واعظهم	فى جور سيرتهم ، فالحكم لله

قال : فأجابه عمر بن عبد العزيز :

يا أيها الرجل المهدي نصيحتك	إن المحاسن والتوفيق بالله
إن كان أمرٌ من السلطان تنكره	فما عرى الدين والإسلام بالواهي
هذا الكتاب ، كتاب الله نقرؤه	مصدق الوحي فينا ، أمر ناهي
فقد يزل الذى يبغي الهدى رهقاً	عند الشريعة ، وهو العالم الداهي

الملك ، يا عمرو ، ملك الله ، خالقنا والحكم يا عمرو ، مردود إلى الله

قال : فأتاه فبايعه ولم يخرج عليه .

لحن يغنونه في المدينة منسوباً لعمر :

قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثني عمي قال : أدركت الناس بالمدينة وهم

يغنون لحناً ينسبونه إلى عمر بن عبد العزيز :

كأن قد شهدت الناس يوم تقسمت خلائقهم ، فاخترت منهم أربعاً

إعارة سمع كل مغتاب صاحب ، وتأبى لعيب الناس إلا تتبعا

وأعجب من هاتين أنك تدعى السلامة من عيب الخلائق أجمعاً

وأنت لو حاولت فعل إساءة وكوفئت إحساناً ، جحدتهما معا

قال : حدثنا مسعود بن بشر أن رجلاً قال لعمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة :

تفرغ لنا ، فقال :

قد جاء شغلٌ وعدلت عن طريق السلامه

ذهب الفراغ ، فلا فراغ لنا ، إلى يوم القيامة

ما صح من شعر عمر بن عبد العزيز :

قال المرزبانى : وأخبرنا ابن دريد قال : تُروى لعمر بن عبد العزيز هذه الأبيات :

ومن الناس من يعيش شقياً جيفة الليل غافل السقظه

فلإذا كان ذا حياء ودين ، راقب الله واتقى الحفظة

إنما الناس : راحلٌ ومقيمٌ ، فالذى سار للمقيم عظه

قال المرزبانى : وكتب إلى أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا عمر بن شيبه - أو قال

شيبه - قال : يروى لعمر بن عبد العزيز :

إني لأمنح من يواصلني منى صفاء ليس بالمذق
وإذا أخ لي راء عن خلق داويت منه ذاك بالرفق
والمرء يصنع ^(١) نفسه ومتى ما تبلى ، يرجع إلى العرق

قال : وعن أبي عمرو الشيباني قال : قال عمر بن عبد العزيز قبل خلافته :

إنه الفؤاد عن الصبي وعن انقياد للهوى
ولعمرك ربك ، إن في شيب المفارق واللحي
لك واعظاً إن كنت تتعظ اتعظ أولى النهى
حتى متى لا ترعوى ؟ حتى متى ، وإلى متى ؟
ما بعد ما سميت كهلاً واستلبت اسم الفتى ؟
بلى الشهاب ، وأنت إن عمرت ، رهن للبلوى
وكفى بذلك زاجراً للمرء عن غي ، كفى !

قال : حدثنا العتبي ، عن حماد الراوية ، قال : ما صح عندنا من قول عمر بن عبد العزيز غير هذا ، قوله :

حتى متى لا تنتهى وإلى متى وإلى متى ؟
ما بعد ما سميت كهلاً واستلبت اسم الفتى ؟
قال : وعن علي بن خالد قال : لما مات ابن عمر بن عبد العزيز ، دخل عمر فنظر إليه ، ثم خرج وهو يتمثل :

لا يغرنك عشاء ساكن ، قد يوافي بالمنيات السحر
ما تمثل به عند انصرافه عن قبر سليمان :

قال : حدثني محمد بن الضحاك بن عثمان ، عن أبيه ، قال : لما انصرف عمر بن عبد العزيز عن قبر سليمان بن عبد الملك صفت له مراكب سليمان ، فقال :

(١) النهي : العقول

لولا التقى ، ثم النهى خشية الردى لعاصيت فى حب الصبى كل زاجر
قضى ما قضى ، فيما مضى ، ثم لا يرى له صبوة أخرى الليالى الغواير
ثم قال : إن شاء الله لا قوة إلا بالله ، قدموا لى بغلتى .

قال : حدثنا محمد بن القاسم الأنبارى قال : حدثنى أبى عن بعض شيوخه قال :
كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بهذه الأبيات :

لولا التقى ، ثم النهى خشية الردى لعاصيت فى حب الصبى كل زاجر
قضى ما قضى ، من عمره ، ثم لا يرى له سقطه أخرى الليالى الغواير
فإن عاد فى أمر يسودك بعدها فليس له منك استقالة عاذر
قال : وكان يتمثل بهذه البيت :
أنا عائد بالله من شر نعمة تفر فيها عيناي فيها ردهما

الجزء التاسع :

أبيات تمثل بها عمر أمام الشعبي :

قال : حدثنا عبيد الله بن موسى قال : كان الشعبي واقفاً على رأس عمر بن عبد
العزيز ، فأطال الوقوف ، فقال : إنك لواقف يا شعبي ؟ فقلت إني لواقف ، فقال : خذ
إليك يا شعبي ، فقال :

هب الدنيا تزف إليك زفا زفاف عرائس باكون قصفا
وقد ملكتها شرقاً وغرباً حويت بجمعها برأ وطفا^(١)
يجئ بألف ألف كل يوم ويتبع ألفها سبعون ألفا
إذا عاديت قوماً فى بلاد أتيت على جميع الناس عسفا
ألست ملاقياً ، لا شك فيه وإن عمرت طول الدهر ، حتفا
فما ترجو بدارٍ قد تراها بكل سرورها أبداً تكفا ؟

(١) كذا فى نسخة مصر والطف الشاطئ وفى نسخة حماء « ولطفاً » .

قال : حدثنا خالد بن يزيد العمرى قال : سمعت وهيب بن الورد يقول : كان عمر ابن عبد العزيز يتمثل بهذه الأبيات :

يُرى مستكيناً ، وهو للهو ماقثٌ به عن حديث القوم ما هو شاغله
وأزعجه علمٌ عن الجهل كله وما عالم شيئاً كمن هو جاهله
عبوس عن الجهال حين يراهم فليس له منهم خدين يهازله (١)
تذكر يبقى من العيش أجلاً فأشغله عن عاجل العيش آجله

. قال : حدثنا خالد بن يزيد قال : سمعت وهيب بن الورد يقول : كان عمر بن عبد العزيز (يتمثل بهذه الأبيات) :

يُرى مستكيناً ، وهو للهو ماقثٌ به عن حديث القوم ما هو شاغله
فذكر الأبيات وقال فيها :
وأزعجه خوف عن اللهو كله وما عالم شيئاً كمن هو جاهله
ولم يذكر البيت الثالث .

قال : حدثني أبو صالح الشمي قال : قال : عمر بن عبد العزيز :

أنا ميتٌ وعزٌّ من لا يموتُ قد تيقنت أنى سأموت
ليس ملك يزيله الموت ملكاً إنما الملك ملك من لا يموتُ

وأى عمر فى مخلد بن يزيد بن المهلب :

قال : وعن خالد بن حراش قال : صلى عمر بن عبد العزيز على مخلد بن يزيد ابن المهلب وقال :

« مات اليوم فتى العرب » وأنشد متمثلاً :

على مثل عمرو تهلك النفس حسرةً وتضحى وجوه القوم مسودة غُبرا
قال : حدثنا ابن عائشة قال : لما مات مخلد بن يزيد ، صلى عليه عمر بن عبد

العزيز ثم تمثّل :

(١) خدين : صديق .

بَكُوا حذيفة لن تبكوا مثله حتي تبس يد قبائل ^(١) لم تخلق
قال : وعن رباح بن عبيدة قال : كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بهذه الأبيات :

الحلم والعلم خلّتا كرم	للمرء زين إذا هما اجتمعا
صنوان لا يستتم حسنهما	إلا بجمع لذا وذاك معا
كم من وضع سما به الحلم	والعلم فحاز الشناء وارتفعما
ومن رفيع البنا أضاعهما	أخمله ما أضاع فأتضعما

قال : وعن سعيد ^(٢) بن عبيد الطائي قال : كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بهذه الأبيات :

التي بالبشر من لقيت من النّار	س جميعاً ، ولاقيهم بالطلاقه
تجنو منهم به جناء ثمّار	طيّياً طعمه لذيد المذاقنة
ودع التيه والعبوس على الناس	فإن العبوس رأس الحماقه
كلما شئت أن تعادي عاديت	صديقاً وقد تعزّ الصداقه

نستقرض على الله حتى العطاء .

قال : حدثنا ابن عائشة قال : كان عمر بن عبد العزيز كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات :

فما تزود مما كان يجمعه	إلا حنوطاً غداة البين مع خرق
وغير نفخة أعواد تُشبّ له	وقلّ ذلك من زاد لمنطلق

قال : وعن عاصم بن رجاء بن حيوة ، عن أبيه ، ذكر عمر بن عبد العزيز الموت يوماً ، فقال يتمثل :

ألم ترى أن الموت أدرك من مضى فلم ينج منه ذو جناح ولا ظفر
ثم دعا بسبعة دنانير فتصدق بها ، ثم قال : نستقرض على الله حتى يأتي العطاء .

الباب الرابع والثلاثون

فى ذكر كلامه فى فنون

قال : وعن أبى حنيفة اليمانى قال : جمع عمر بن عبد العزيز أصحابه ثم خرج إليهم ، فأوصاهم فقال : « إياكم والمزاح ، فإنه يورث الضغينة ، وينبت الغل » .

قال : حدثنى إبراهيم بن يزيد أن عمر بن عبد العزيز قال فى قوله تعالى : ﴿ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ﴾ ^(١) قال : « لم تكن أضاعتها أن تركوها ، ولكن أضاعوا المواقيت » .

قال : وعن عمرو بن دينار ، عن عمر بن عبد العزيز قال : « إذا جاءك الخصم وعينه فى كفه فلا تقض له حتى يجيئك خصمه » .

قال : حدثنا سفيان قال : بلغنى أن عمر بن عبد العزيز رأى بنتاً له أو امرأة ، نائمة مستلقية فنهاها .

قال : وعن مالك قال : قال عمر بن عبد العزيز لرجل : من سيد قومك ؟ قال : أنا . قال : لو أنك كذلك لم تقله .

قال : حدثنا سفيان ، عن عمر بن عبد العزيز ، قال : من عمل بغير علم ، كان ما يفسد أكثر مما يصلح .

نهيه عن بدعة تقديس الملوك :

قال : وعن جعفر بن برقان قال : كتب عمر بن عبد العزيز : « إن ناساً يلتمسون الدنيا بعمل الآخرة ، وإن مصيرهم ومرجعهم إلى الله وإن ناساً من هؤلاء القصاص يصلون على خلفائهم وأمرائهم ، فمروهم فليدعوا للمؤمنين عامة ، وليلغوا ما سوى ذلك » .

(١) سورة مريم آية : ٥٩

قال : وعن جعفر بن يرقان قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أمير الجزيرة : « أما بعد فإن ناساً من الناس قد التمسوا بعمل الآخرة الدنيا ، وإنما مصيرهم ومرجعهم إلى الله بعد الموت . وقد بلغني أن ناساً من القصاص قد أحدثوا الصلاة على أمرائهم ، عدل ما يصلون على النبي ﷺ ، فإذا جاءك كتابي هذا ، فمر القصاص فليجعلوا صلاتهم على النبي ﷺ ، خاصة ، وليكن دعاؤهم للمؤمنين والمسلمين عامة ، وليدعوا ما سوى ذلك . والسلام » .

قال : جعفر : أحب أن لا يذكروا مع النبي ﷺ . وعن معمر أن عمر بن عبد العزيز قال قد أفلح من عصم من المراء والغضب والطمع .

قال : وعن إسماعيل بن أبي حكيم أنه أخبره أنه سمع عمر بن عبد العزيز يقول : كان يقال : إن الله لا يعذب العامة بذنب الخاصة ، ولكن إذا عمل المنكر جهاراً استحقوا العقوبة كلهم .

منزل الأم والزوجة بين النساء :

قال : حدثنا عبد الله بن نافع قال : ماتت أخت لعمر بن عبد العزيز فشهدها الناس وانصرفوا معه إلى منزله ، فلما صار إلى بابه أخذ بحلقة الباب ثم قال : انصرفوا أيها الناس مأجورين ، أدى الله الحق عنكم ، فإننا أهل بيت لا نعرى في أحد من النساء إلا في اثنتين : أم لوأجب حقها وما فرض الله لها من برها ، وامرأة للطف موضعها . وأنه لا يحل موضعها أحد - أو قال : محلها وهو الأصح - .

قال : حدثنا إبراهيم بن يحيى بن يحيى قال : حدثني أبي ، عن جدي قال : كتب بعض عمال عمر إليه يقول في كتابه : يا أمير المؤمنين الإنى بأرض قد كثرت فيها النعم ، حتى لقد أشفقت على من قبلى من أهلها ضعف الشكر . قال : فكتب إليه عمر : إنى قد كنت أراك أعلم بالله ، إن الله لم ينعم على عبد نعمة ، فحمد الله عليها ، إلا كان حمده أفضل من نعمه ، لو كنت لا تعرف ذلك إلا في كتاب الله المنزل ، قال الله تعالى : ﴿ ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالوا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ﴾ ^(١) .

وقال الله تعالى : ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاءوها ﴾ ^(٢) إلى

(١) سورة النمل آية : ١٥ . (٢) سورة الزمر آية : ٧٤ .

قوله : ﴿ وقالوا الحمد لله ﴾ ^(١) . وأى نعمة أفضل من دخول الجنة ؟ .

وعن قدم بن مسور قال : قال عمر بن عبد العزيز : لما أمر الله عز وجل الملائكة بالسجود لآدم ، عليه السلام ، أول من سجد له إسرافيل فأثابه ، أن كتب القرآن في جبهته .

قال : وعن حسين بن صالح قال : تذكروا الزهاد عند عمر بن عبد العزيز ، فقال قائلون : فلان ، وقال قائلون فلان . فقال عمر بن عبد العزيز : أزهد الناس في الدنيا على ابن أبي طالب عليه السلام .

قال : وعن قتادة أن عمر بن عبد العزيز كان يقول : ما يسرنى لو أن أصحاب محمد ﷺ ، لم يختلفوا ، لأنهم لو لم يختلفوا ، لم تكن رخصة .

قال : حدثنا الأوزاعي قال : كان عمر بن عبد العزيز إذا عرض له أمر مما يكره قال : مقدر ما كان ، وعسى أن يكون خيراً .

قال : وعن الأوزاعي أن عمر بن عبد العزيز قال : خذوا من الرأي ما قاله من كان قبلكم ، ولا تأخذوا ما هو خلاف لهم ، فإنهم كانوا خيراً منكم وأعلم .

ما ينبغي أن يجتمع للقاضي من الخصال :

قال : وعن مزاحم بن زفر قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول : ينبغي أن يجتمع للقاضي خمس خصال : يكون عالماً بما مضت عليه السنة ، حليماً ، ذا أناة ، عفيفاً ، مشاوراً . فإذا اجتمع ذلك في القاضي كان قاضياً ، وإن نقص منهن شيء كان وصماً فيه .

قال : حدثنا بشر بن عبد الله بن بشار أن عمر بن عبد العزيز قال : احذروا المرء ، فإنه لا تؤمن فتنته ، ولا تفهم حكمته .

قال : وعن ميمون بن مهران قال : كنت جالساً عند عمر بن عبد العزيز فقراً : ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ حتى زرتم المقابر ^(٢) . فقال لي : يا ميمون ! ما أرى القبر إلا زيارة ، ولا بد للزائر أن يرجع إلى منزله ، يعنى إلى الجنة أو إلى النار .

(٢) سورة التكاثر الآيتان : ١ - ٢

(١) سورة الزمر آية : ٧٤ .

قال : وعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ ، بارك الله لرجل فى حاجة أكثر الدعاء فيها ، أعطىها أو منعهها . قال فحدثت به المنكدر بن محمد فقلت : أسمعت هذا من أهلك ؟ قال : لا ، ولكن دخلت مع أبى وأبى حازم على عمر بن عبد العزيز ، فقال عمر لأبى : يا أبا بكر ! ما لى أراك مهموماً ، قال : فقال له أبو حازم : لدين عليه ، فقال له عمر : ففتح لك فيه الدعاء ؟ - قال نعم ، قال : فقد بارك الله لك فيه .

قال : وعن مرثد بن يزيد قال : سمعت عمر يقول : أيها الناس ! قيدوا النعم بالشكر ، وقيدوا العلم بالكتاب .

من هو الأحمق ؟

قال : وعن سالم بن عبد الله قال : سمعت ميمون بن مهران قال : قال عمر بن عبد العزيز لجلسائه : أخبرونى من أحمق الناس ؟ قالوا : رجل باع آخرته بدنياه ، فقال لهم عمر : ألا أنبئكم بأحمق منه ؟ قالوا : بلى . قال : رجل باع آخرته بدنياه غيره .

قال : حدثنا المدائنى قال : دخل حُرَيْث بن عثمان الدجنى ، مع أبيه ، على عمر بن عبد العزيز ، فسأل الأب ، عن الابن ثم قال له : علمه الفقه الأكبر ، قال : وما الفقه الأكبر ؟ قال : القناعة ، وكف الأذى .

قال : حدثنا محمد بن زياد قال : تكلم رجل عند عمر بن عبد العزيز فأحسن ، فقال عمر : هذا والله السحر الحلال . قال : وعن ابن شوذب قال : دخل رجل على عمر بن عبد العزيز ، فجعل يشكو إليه رجل ظلمه ويقع فيه ، فقال له عمر : إنك إن تلقى الله ومظلمتك كما هى ، خير لك من أن تلقاه وقد انتقصتها . قال : حدثنا سفيان بن عيينة قال كان عمر بن عبد العزيز يقول : ملاقة الرجال تلقيح لألبابها .

قال : حدثنا عمر بن على قال : سمعت عبد ربه الحرزى ، عن ميمون بن مهران ، قال قلت لعمر ليلة : يا أمير المؤمنين ! ما بقاؤك على ما أرى ؟ أما أول الليل ففى حاجات الناس وأما وسط الليل فمع جلسائك ، وأما آخر الليل فالله أعلم ما تصير إليه ؟ قال :

فضرب على كتفى . وقال : ويحك يا ميمون ! إنى وجدت لقاء الرجال تلقياً لألبابهم .

قد فرغ من هذا فادع بالصلاح :

قال : وعن طلحة بن يحيى قال : كنت جالساً عند عمر بن عبد العزيز ، فدخل عليه عبد الأعلى بن هلال فقال : أبقاك الله ، يا أمير المؤمنين ! ما دام البقاء خيراً لك ، قال : قد فرغ من ذلك يا أبا النضر ، ولكن قل : أحياك الله حياة طيبة ، وتوفاك مع الأبرار . قال : حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس قال : سمعت سفيان الثوري قال : قال رجل لعمر بن عبد العزيز : أبقاك الله ، فقال : قد فرغ من هذا ، فادع بالصلاح . قال الشيخ الإمام أبو الفرج ^(١) المصنف : فإن قال قائل : فكأن الصلاح ما فرغ منه ، فالجواب : بلى ، ولكن سؤلنا ما ينفعنا مما نطلع عليه تعبداً لله تعالى ، فنحن مأمورون بذلك لموضع التعبد ، وإظهار فقرنا إلى ما يصلحنا ، وإلاً فالقدر قد سبق بالكل . قال : وعن أبي جعدة قال : قال عمر بن عبد العزيز : القلوب أوعية السرائر ، والألسن مفاتيحها ، فليحفظ كل امرئ منكم مفتاح وعاء سره . قال : حدثنا مالك أنه بلغه أن عمر بن عبد العزيز قال لرجل : من سيد قومك ؟ قال : أنا ، قال له عمر : لو كنت سيدهم ما قلت .

إذا وافق الحق الهوى فهو ألد من الشهيد :

قال : حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول : إذا وافق الحق الهوى ، فهو ألد من الشهيد .

قال : وعن أبي بكر بن عمرو بن حزم قال : قال لى عمر بن عبد العزيز : ما وجدت فى إمارتى هذه شيئاً ألد من حق وافق هواى . قال : وعن مجاهد قال : أعطانى عمر ثلاثين درهماً ، وقال : يا مجاهد ! هذه من صدقة مالى .

قال : وعن أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال : كنا عند عمر بن عبد العزيز ، فقال رجل لرجل : تحت إبطك ، فقال عمر : وما على أحدكم أن يتكلم بأجمل ما يقدر عليه ، قالوا : وما ذاك ، قال : لو قال : تحت يدك ، كان أجمل .

(١) فى الأصل « أبو الحسن » فصححناه لأنه غلط ظاهر .

الباب الخامس والثلاثون

فى ذكر ما رآه فى المنام

حالة الحجاج عند الحساب فى رؤيا عمر :

قال : وعن أبى حازم الخناصرى قال : قدمت دمشق فى خلافة عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة ، والناس رائحون إلى الجمعة ، فقلت : إن أنا صرت إلى الموضع الذى أريد نزوله فاتتنى الصلاة ، ولكن أبدأ بالصلاة ، فصرت إلى باب المسجد ، فأنختُ بعيرى ، ثم عقلتة ، فدخلت المسجد ، وإذا أمير المؤمنين على الأعواد يخطب ، فلما أن بصر بى عرفنى ، فنادانى : يا أبا حازم ! إلى مقبلا ، فلما أن سمع الناس نداء أمير المؤمنين لى ، أوسعوا لى فدنوت من المحراب ، فلما أن نزل أمير المؤمنين ، فصلى بالناس ، التفت إلى فقال : يا أبا حازم ! متى قدمت بلدنا ؟ قلت الساعة ، وبعيرى معقول بباب المسجد ، فلما أن تكلم عرفته ، فقلت أنت عمر بن عبد العزيز ؟ قال : نعم . قلت له : تالله أما كنت عندنا بالأمس بخناصرة أميراً لعبد الملك بن مروان ، وكان وجهك وضياً ، وثوبك نقياً ، ومركبك وطياً ، وطعامك شهياً ، وحرسك سرياً ، فما الذى غير بك وأنت أمير المؤمنين ؟ فقال : يا أبا حازم ! أنشدك الله ألا حدثتنى الحديث الذى حدثتنى بخناصرة ، قلت له : نعم ، سمعت أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن بين أيديكم عقبة كؤودا لا يجوزها إلا كل ضامر مهزول » ، فبكى أمير المؤمنين بكاء عالياً حتى علا نحيبه ثم ضحك ضحكاً عالياً حتى بدت نواجذه ، فأكثر الناس فيه القول ، فقلت : اسكتوا وكفوا ، فإن أمير المؤمنين لقى أمراً عظيماً ، قال أبو حازم : ثم أفاق من غشيته فبدرت الناس إلى كلامه ، فقلت : يا أمير المؤمنين لقد رأينا منك عجباً ، قال : ورأيتم ما كنت فيه ؟ قلنا نعم ، قال : إننى بينما أحدثكم أغمى على ، فرأيت أن القيامة قد قامت ، وحشر الله الخلائق ، وكانوا عشرين ومائة صف : أمة محمد ﷺ ، من ذلك ثمانون صفاً ، وسائر الأمم من الموحدين أربعون صفاً ، إذا وضع الكرسي ونصب الميزان ونشرت

الدواوين ، ثم نادى المنادى : أين عبد الله بن أبي قحافة ؟ فإذا شيخ طويل يخضب بالحناء والكتم ، فأخذت الملائكة بضبعيه ، فوقفوه أمام الله ، فحوسب حساباً يسيراً ، ثم أمر به ذات اليمين إلى الجنة . ثم نادى المنادى : أين عمر بن الخطاب ؟ فإذا شيخ طوال يخضب بالحناء ، فأخذت الملائكة بضبعيه ، فوقفوه أمام الله ، فحوسب حساباً يسيراً ، ثم أمر به ذات اليمين إلى الجنة . ثم نادى المنادى أين عثمان بن عفان ؟ فإذا شيخ طوال يصفر لحيته فأخذت الملائكة بضبعيه ، فوقفوه أمام الله ، فحاسبه حساباً يسيراً ، ثم أمر به ذات اليمين : إلى الجنة . ثم نادى المنادى : أين علي بن أبي طالب ؟ فإذا شيخ طوال أبيض الرأس ، عظيم البطن ، دقيق الساقين ، فأخذت الملائكة بضبعيه ، فوقفوه أمام الله فحوسب حساباً يسيراً ، ثم أمر به ذات اليمين : إلى الجنة . فلما رأيت أن الأمر قرب منى اشتغلت بنفسى فلا أدري ما فعل الله بمن كان بعد علي ، إذ ناداني المنادى : أين عمر بن عبد العزيز ؟ فقامت فوقعت على وجهي ، ثم قامت فوقعت على وجهي ، ثم قامت فوقعت على وجهي ، فأتاني ملكان فأخذوا بضبعي ، فوقفاني أمام الله ، قال : فسألني عن النكير والقطمير والفتيل وعن كل قضية قضيت حتى ظننت أنني لست بناج ثم إن ربي تفضل عليّ ، فتداركني منه برحمة ، وأمرني ذات اليمين إلى الجنة . فبينما أنا مار مع الملكين إذ مررت بجيفة ملقاة على رماد ، فقلت : ما هذه الجيفة ؟ فقالوا : أدن منه وسله يخبرك فدنوت منه فوكزته برجلي ، وقلت له : من أنت ؟ فقال لي : من أنت ؟ قلت : أنا عمر بن عبد العزيز قال لي : ما فعل الله بك وبأصحابك ؟ قلت : أما أربعة فأمر بهم ذات اليمين : إلى الجنة ، ثم لا أدري ما فعل الله بمن كان بعدهم ، فقال لي : أنت ما فعل الله بك ؟ قلت له : تفضل عليّ ربي ، وتداركني منه برحمة ، وقد أمر بي ذات اليمين ؛ إلى الجنة . فمن أنت ؟ قال : أنا الحجاج بن يوسف الشقي ، قلت يا حجاج ! ما فعل الله بك قال قدمت على ربّ شديد العقاب ، ذى بطشة ، ممن عصاه ، فقتلني بكل قتلة قتلت بها مثلاً ، ثم ها أنا ذا موقوف بين يدي ربي أنتظر ما ينتظر الموحدون من ربهم ، إما إلى الجنة وإما إلى نار . قال أبو حازم ، فأعطيت الله عهداً ، بعد رؤيا عمر بن عبد العزيز ، أن لا أوجب لأحد من هذه الأمة ناراً .

قال : وعن أبي حازم قال : قدمت على عمر بن عبد العزيز ، وقد ولى الخلافة ، فلما نظر إلى عرفني ولم أعرفه ، فقال : ادن مني ، فدنوت منه فقلت : أنت أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ، قلت : ألم تكن عندنا بالمدينة أميراً على المسلمين فكان مركبك وطياً ، وثوبك نقياً ، ووجهك بهياً ، وطعامك شهياً ، وقصرك مشيداً ، وخدمك كثيراً ، فما الذي غيرك وأنت أمير المؤمنين ؟ قال : فبكى ثم قال : يا أبا حازم ! كيف لو رأيته بعد ثلاث ، في قبري ، وقد سالت حدقتاي على وجنتي ، ثم جف لساني ، وانشق بطني ، وجرت الديدان في بدني ، لكنت أشد إنكاراً منك يومك هذا ، أعد على الحديث الذي حدثتني به بالمدينة ، قلت يا أمير المؤمنين ! سمعت أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن بين أيديكم عقبة كؤوداً مضرسة لا يجوزها إلا كل ضامر مهزول » . قال : فبكى بكاء طويلاً ثم قال : يا أبا حازم ! أما ينبغي لي أن أضمر نفسي لتلك العقبة فعسى أنجو منها يومئذ ، وما أظن ، أني مع هذا البلاء الذي ابتليت به من أمور الناس ، بناج ، ثم رقد ، ثم تكلم الناس ، فقلت : أقلوا الكلام فما فعل به ما ترون إلا سهر الليل ، ثم تصبب عرقاً في يوم حر ، الله أعلم كيف كان ، ثم تبسم ، فسبقت الناس إلى كلامه فقلت : يا أمير المؤمنين ! رأيت منك عجباً ، إنك لما رقدت تصببت عرقاً حتى ابتل ما حولك ، ثم بكيت حتى علا نحيبك ، ثم تبسمت . فقال لي : يا أبا حازم ! وقد رأيت ذلك ؟ قلت : نعم ، ومن كان حولك من الناس رآه . فقال لي : يا أبا حازم ! إنني لما وضعت رأسي فرقدت ، رأيت كأن القيامة قد قامت ، فاجتمع الخلق فقبل : إنهم عشرون ومائة صف ملأوا الأفق ، أمة محمد ﷺ ، من ذلك ثمانون صفاً مهطعين إلى الداعي مثني ، يدعون إلى الحساب ، إذا نودي : أين عبد الله بن عثمان أبو بكر الصديق فأجاب . فأخذته الملائكة ، فوقفوه أمام ربه ، عز وجل ، فحوسب ثم نحى ، وأخذ به ذات اليمين . ثم نودي بعمر ، فقربه الملائكة ، فوقفوه أمام ربه ، عز وجل ، فحوسب ثم نحى ، وأمر به وبصحابه إلى الجنة . ثم نودي بعثمان فأجاب ، فحوسب حساباً يسيراً ثم أمر به إلى الجنة . ثم أمر بعلي بن أبي طالب ، فحوسب ثم أمر به إلى الجنة . فلما قرب الأمر مني أسقط في يدي ، ثم جعل يؤتى بقوم لا أدري ما حالهم . ثم نودي : أين عمر ابن عبد العزيز : فتصببت عرقاً ، ثم سئلت عن القليل والنكير والقطمير ، وعن كل قضية

قضيت بها ثم غفر لى . فمررت بجيفة ملقاة فقلت للملائكة : من هذا : قالوا : إنك إن كلمته كلمك . فوكزته برجلى ، ورفع رأسه إلى ، وفتح عينيه ، فقلت له : من أنت ؟ فقال لى : من أنت ؟ قلت : أنا عمر بن عبد العزيز قال : ما فعل الله بك ؟ قلت : تفضل على ، وفعل بى وفعل بهم ، فقال لى : هنيئاً لك ما صرت إليه . قلت : من أنت ؟ قال : أنا الحجاج ، قدمت على الله عز وجل ، فوجدته شديد العقاب ، فقتلنى بكل قتلة قتلة ، وها أنا موقوف بين يدى الله ، عز وجل ، أنتظر ما ينتظر الموحدون من ربهم ، إما إلى جنة وإما إلى نار . قال أبو حازم : فعاهدت الله ، عز وجل ، بعد رؤيا عمر بن عبد العزيز ، أن لا أبطع على أحد بالنار ، ممن يموت يقول : لا إله إلا الله .

رؤيا أخرى لعمر :

(وعن مزاحم مولى عمر بن عبد العزيز) عن فاطمة بنت عبد الملك ، امرأة عمر ابن عبد العزيز ، قالت : قمت فى جوف الليل ، فانتبه لى عمر بن عبد العزيز ، فقال : لقد رأيت رؤيا معجبة ، قالت : قلت : جعلت فداك ، فأخبرنى بها ، قال : ما كنت لأخبرك بها حتى أصبح ، قالت : فلما طلع الفجر جاءه إذنه بالصلاة ، فخرج فصلى بالناس ، ثم عاد إلى مجلسه .

قالت فاغتتمت خلوته ، فقلت : أخبرنى بالرؤيا التى رأيت . قال رأيت ، فيما يرى النائم . كأننى دفعت إلى أرض ، كأنه الفضة . أو كأنه اللبن ، إذا خرج قد خرج من ذلك القصر ، فهتف بأعلى صوته يقول : أين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ؟ أين رسول الله ﷺ ؟ إذ أقبل رسول الله ﷺ حتى دخل ذلك القصر . قال : ثم آخر خرج من ذلك القصر فنادى : أين أبو بكر بن أبى قحافة ؟ إذ أقبل أبو بكر فدخل ذلك القصر . قال : ثم خرج آخر فنادى : أين عمر بن الخطاب ؟ فأقبل حتى دخل القصر ، ثم خرج آخر فنادى : أين عثمان بن عفان ؟ فأقبل عثمان حتى دخل القصر ، ثم إن آخر خرج فنادى : أين على ابن أبى طالب ؟ قال : فأقبل حتى دخل ذلك القصر ثم إن آخر خرج فنادى : أين عمر ابن عبد العزيز ؟ قال عمر : فقامت حتى دخلت القصر ، قال : فدفعته إلى رسول الله ﷺ والقوم حوله ، فقلت : بينى وبين نفسى : أين أجلس ؟ فجلست إلى

جنب أبى : عمر بن الخطاب فنظرت ، فإذا أبو بكر عن يمين رسول الله ﷺ وإذا عمر عن يساره فتأملت رسول الله ﷺ فإذا بين رسول الله ﷺ وبين أبى بكر رجل ، فقلت : أى أبة من هذا الرجل الذى بين رسول الله وبين أبى بكر ؟

قال : هذا عيسى ابن مريم ، فسمعت هاتفاً يهتف - وبينى وبينه حجب من نور - يا عمر بن عبد العزيز ! تمسك بما أنت عليه . واثبت على ما أنت عليه ، قال : ثم كأنه أذن لى فى الخروج ، فقامت فخرجت من ذلك القصر ، فالتفت خلفى ، فإذا بعثمان بن عفان وهو خارج من القصر : وهو يقول : الحمد لله الذى نصرنى ربى وهو يقول : الحمد لله الذى غفر لى ربى .

اعمل فى ولايتك نحواً من عمل هذين :

قال : وعن عراك بن حجرة ، عن عمر بن عبد العزيز ، قال : رأيت رسول الله ﷺ فى المنام فقال لى : ادن يا عمر ثم قال لى : ادن يا عمر ، ثم قال لى : ادن يا عمر ، حتى كدت أن أضيقه ، ثم قال لى : يا عمر إذا وليت فاعمل فى ولايتك نحواً من عمل هذين ! - وإذا كهلان قد اكتنفاه - قلت : من هذان ؟ قال : هذا أبو بكر ، وهذا عمر .

قال : وعن عراك بن حجرة عن عمر بن عبد العزيز ، قال : رأيت النبى ﷺ فى المنام ، فقال : ادن يا عمر ! فدنوت حتى كدت أصافحه ، وإذا كهلان قد اكتنفاه ، فقال : إذا وليت أمر أمتى فعمل فى ولايتك نحو ما عمل هذين فى ولايتهما . قلت : ، ومن هذان ؟ قال : هذا أبو بكر وهذا عمر .

قال : حدثنا سيار خادم عمر ، قال : دخلت على عمر فقال : رأيت النبى ﷺ وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله ، ورأيت عثمان وهو يقول : خصمت علياً ، ورب الكعبة وعلى يقول : غفر لى ورب الكعبة .

قال : عن سعيد بن أبى عروبة ، عن عمر بن عبد العزيز ، قال : رأيت رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر جالسان عنده ، فسلمت وجلست ، فبينما أنا جالس إذ أتى بعلى ومعاوية ، فدخلا بيتاً وأجيف عليهما الباب وأنا أنظر فما كان بأسرع من أن خرج على وهو يقول :

قضى لى ، ورب الكعبة وما كان بأسرع من أن خرج معاوية على أثره وهو يقول : غفر لى ورب الكعبة .

عمر بن عبد العزيز فى سجن الوليد :

وعن راشد بن زفر ، مولى سلمة بن عبد الملك عن أبيه ، قال : تناول الوليد بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز بلسانه ، فرد عليه عمر ، فغضب الوليد من ذلك غضباً شديداً ، وأمر بعمر فعُدل به إلى بيت فخبس فيه . قال راشد : فحدثنى أبى زفر مولى مسلمة - وكانت فاطمة أرضعتها أم زفر - قال : قالت لى فاطمة : يا زفر ! فمكث ثلاثاً لا يدخل عليه أحد ، ثم أمر بإخراجه إن وجد حياً قال : فأدركناه وقد زالت رقبته شيئاً ، فلم نزل نعالجه حتى صار إلى العافية ، قالت ، فقلت له يوماً إنك قد عرفت الوليد وعجلته ، فلو داريته بعض المداراة ، قالت ، فقال لى : أحدثك يا فاطمة حديثاً فاكتميه ما دمت حياً ، قالت : نعم ، قال : إنه لما حبسنى أتانى تلك الليلة آت فى منامى فقال لى :

ليس للعلم فى الجهالة حظٌ إنما العلم ظرفه الإغضاء
قال : فرفعت إلى القائل طرفى فإذا هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، قال : فسلمت عليه فى منامى فقال لى : إن الوليد جاهل بأمر الله ، عز وجل ، على كثير من جهله ، فأمر الله أحرى وأجدر أن لا يتركاً جميعاً « مع ما حرمه من ذلك ، لتبين فضل نعمة الله عليك فى العلم بأمر الله ، عز وجل » ^(١) قالت : قال عمر : فوالله ، يا فاطمة ! ما أكاد أغضب إلا كأنى أنظر إلى عبيد الله بن عبد الله قائماً يخاطبني تلك المخاطبة وعن الخزاعى ، عن عمر بن عبد العزيز ، أنه رأى النبى ﷺ فى روضة خضراء فقال له : إنك ستليأمر أمتى فزع عن الدم ، فزع عن الدم فإن اسمك فى الناس عمر بن عبد العزيز ، واسمك عند الله جابر .

(١) وزعه فاتزع : أى كف عنه .

الباب السادس والثلاثون

فى ذكر من رآه فى المنام

عن ابن جريج ، عن عمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنه ، قال : رأيت أبى فى النوم بعد موته كأنه فى حديقة فدفع إلى تفاحات تأولتهن الولد ، قلت : أى الأعمال وجدت أفضل ؟ قال : الاستغفار أى بنى !

والله ، ما استرحت إلا الآن :

وعن محمد بن النضر الحارثى . أن مسلمة بن عبد الملك رأى عمر بن عبد العزيز بعد موته ، فقال : يا أمير المؤمنين ! ليت شعرى لى أى الحالات صرت بعد الموت ؟ فقال : يا مسلمة ! هذا أوان فراغى ، والله ما استرحت إلا الآن . قال : فقلت : أين أنت يا أمير المؤمنين ؟ قال : مع أئمة الهدى فى جنات عدن .

الباب السابع والثلاثون

فى ذكر ما رؤى له فى المنام

عن وهيب بن الورد قال : بين عمر^(١) خلف المقام ، إذ رأيت كأن داخلاً من باب بنى شيبه ، وهو يقول : يا أمير المؤمنين ! ولى عليكم كتاب الله ، فقلت : من ؟ فأشار إلى ظفريه ، وإذا مكتوب عليه : « ع م ر » . فجاءت بيعة عمر بن عبد العزيز .

فدعاه النبى ﷺ فأقعدته فى حجره :

وعن حصاف ، أخى حصيف ، قال : رأيت النبى ﷺ فى المنام عن يمينه أبو بكر وعن

(١) لعلها « بينما نحن » أى وهيب بن الورد راوى القصة لأن عمر لم يكن فى مكة أبان بلوغ خبر بيعته إليها .

يساره عمر ، وميمون بن مهران جالس أمام ذلك ، فقلت : من هذا ؟ قال : هذا رسول الله ﷺ فقلت : من هذا ؟ قال : هذا أبو بكر عن يمينه ، وهذا عمر عن يساره ، فجاء عمر ابن عبد العزيز ليجلس بين أبي بكر وبين النبي ﷺ فشح أبو بكر رضى الله عنه بمكانه ، ثم جاء ليجلس بين النبي ﷺ وبين عمر فشح عمر رضى الله عنه بمكانه فدعاه النبي ﷺ فأقعده فى حجره .

إنه قد عدل فى العباد أدخلوه الجنة :

وعن أبى هشام الرمانى أن رجلاً جاء إلى عمر بن عبد العزيز فقال : رأيت النبي ﷺ وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله - فذكر نحوه .

وعن النضر بن سهل . عن أبيه ، قال : بينما عمر بن عبد العزيز ذات يوم مضطجع إذ قال لجارية له : اروحينى . قال : فأخذت المروحة ، فأقبلت تروحه ، فغلبتها عينها ، فنامت فانتبه فإذا هو بالجارية قد احمر وجهها وقد عرقت عرقاً شديداً ، فأخذ المروحة فأقبل يروحها ، فانتبهت فوضعت يدها على رأسها وصاحت ، فقال لها عمر : إنما أنت بشر مثلى ، أصابك من الحر ما أصابنى ، فأحببت أن أروحك مثل الذى روحتنى ، قال : فقالت له : يا أمير المؤمنين ! إنى لم أصح من ترويحك هذا ، ولكن رأيت فى منامى رؤيا ، فقال لها عمر : ما رأيت ؟ قالت كأن القيامة قد قامت ، وكأن الميزان قد علق ، وكأن الصراط قد نصب ، فإذا المنادى قد نادى : أين الخليفة الذى كان قبل عمر بن عبد العزيز ؟ قالت : فأتى به ، والله يا أمير المؤمنين ! وأنا أنظر إليه . ويده مشدودة إلى عنقه ، فوقف على شفير جهنم فنادى مناد ألا إنه قد جار فى كتاب الله ، وفسق فى العباد ، ألقوه فى النار . قال : فسقط ، يا أمير المؤمنين ! على حر وجهه فى جهنم ، ثم نادى الثانية : أين الذى كان قبل ذلك ؟ قالت فأتى به ، والله يا أمير المؤمنين ، وأنا أنظر إليه ، ويده مشدودة إلى عنقه فوقف على شفير جهنم فنادى مناد : إنه جار فى كتاب الله وفسق العباد ، ألقوه فى النار . قال : فسقط يا أمير المؤمنين ! على حر وجهه فى جهنم ، قال : فشهب عمر بن عبد العزيز شهقة فمكث نهاره جميعاً يخور كما يخور الثور ، حتى بال ، فعلمنا أن عقله قد ذهب لما أصابه ، ثم أصابه برد السحر فأفاق ، ثم قال لها : يا جارية ! ثم ماذا ؟ قالت : ثم أتى بك ،

والله يا أمير المؤمنين ، وأنا أنظر اليك ويدك مشدودة إلى عنقك ، فوقفت على شفير جهنم فنادى مناد : ألا إنه قد حكم فى الكتاب ، وعدل فى العباد ، أدخلوه الجنة ، فحمد الله وأثنى عليه .

وعن الحسن بن أبى أمية قال : سمعت أمانة يقول : رأى رجل فى منامه على الجنة مكتوباً « براءة من الله العزيز الرحيم ، لعمر بن عبد العزيز ، من عذاب يوم أليم » .

وعن معاذ ، مولى زيد بن تميم ، أن رجلاً من بنى تميم رأى فى المنام كتاباً منشوراً من السماء بقلم جليل : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من الله العزيز الحكيم . براءة لعمر بن عبد العزيز من العذاب الأليم . إني أنا الغفور الرحيم » .

وعن زيد بن أبى هاشم أن رجلاً جاء إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، فقال : رأيت النبى ﷺ وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله ، وأنت جالس ناحيته ، فقال لك : يا عمر ! إذا عملت فاعمل بعمل هذين : أبى بكر وعمر ، رضى الله عنهما ، قال : فاستحلفه عليه بالله الذى لا إله إلا هو . رأيت هذه الرؤيا ؟ قال : فحلف له ، فبكى عمر .

فأين عمر بن عبد العزيز ؟

وعن أبى هاشم الرماني أن رجلاً جاء لعمر بن عبد العزيز فقال : رأيت النبى ﷺ فى المنام ، وكان بنى هاشم يشكون إليه ، فقال لهم : فأين عمر بن عبد العزيز ؟

وعن الوليد قال : بلغنى أن رجلاً كان ببعض خراسان ، قال : فأتانى آت فقال : إذا قام أُمّيج بنى مروان « يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً »^(١) . فأتانى ثلاث مرات فى المنام ، فلما كان آخر ذلك زبرنى وأوعدنى ، فرحلت إليه ، فلما قدمت لقيته فحدثته الحديث ، فقال : ما اسمك ؟ ومن أنت ؟ وأين منزلك ؟ قلت : بخراسان ، قال : ومن أمير مكانك الذى أنت به ؟ ومن صديقك هناك وعدوك ؟ وألطف المسألة ثم حبسنى أربعة أشهر فقال : إني كتبت فيك ، فجاءنى ما أسر به « من » قبل صديقك وعدوك ، فهلم بايعنى

(١) هنا نقص ظاهر وقد أكملنا الضرورى منه من رواية ابن عبد ربه فى العقد الفريد

على السمع والطاعة، فإذا تركت ذلك فليس لى عليك بيعة، قال : فبايعه، قال : ألك حاجة ؟ فقلت : لا أنا غنى فى المال إنما أتيتك لهذا، فودعته وانصرفت .

اشدد يدك على العريف والماكس :

وعن ابن المهاجر أن رجلاً من أهل البصرة رأى فى منامه كأن قائلاً يقول له : تحج من عامك هذا، فقلت : والله ما لى من مال، فمن أين أحج ؟ قال : موضع كذا من دارك فإن فيه درعاً، فبعها ثم حج ؛ فلما أصبحت أحتفرت، فاستخرجت درعاً فبعتها، وحججت وقضيت مناسكى، وجئت إلى البيت لأودعه، فبينما أنا كذلك، إذ غشيتنى نعسة، وإذا النبى ﷺ بين أبى بكر وعمر، رضى الله عنهما، يمشى بينهما فقال النبى ﷺ، ائت عمر بن عبد العزيز فأقرئه منى السلام، وقل له : إن رسول الله يقول : إن اسمك عندنا عمر المهدي وأبو اليتامى، فاشدد يدك على العريف والماكس، وإياك أن تحيد عن طريقة هذا وطريقة هذا، فيحاد بك، فانتبه وهو يركى ويقول : إن رسول الله ﷺ أرسلنى، فلو كنت رسالته فى الظلمات لم أدعها، أو أبلغها وأموت ؛ فأقبل إلى الشام، إلى عمر، وكان بدير سمعان فأتى حاجبه فقال : استأذن لى على عمر، وقل له : إنى رسول رسول الله ﷺ فاستضعف الحاجب قوله . ثم أتاه فى اليوم الثانى، فقال له : من أنت يا عبد الله ؟ فقال : أنا رسول رسول الله ﷺ فقال الحاجب : هذا موله، ليس له عقل، ثم استأذن اليوم الثالث فقال : يا عبد الله : من أنت وما تريد ؟ ثم دخل على عمر وقال : يا أمير المؤمنين ! هذا إنسان ولع الاستئذان عليك، فإذا قلت : من أنت ؟ قال : رسول رسول الله ﷺ، فأذن له، فدخل على عمر، فقال : من أنت ؟ فقال : أنا رسول رسول الله ﷺ فأخبره بقصة رؤياه وما رأى فى منامه، فقال : لقيت رسول الله ﷺ بين أبى بكر وعمر، رضى الله عنهما - وأخبره بالذى أمره به، قال : إياك أن تحيد عن طريق هذا وهذا فيحاد بك غداً عنا، فقال : مروا له بكذا وكذا . قال : ما أقبل لرسالة رسول الله ﷺ شيئاً، ولو أعطيتنى جميع ما تملك ثم خرج عنه .

قال عمر بن مهاجر : وأنا إذ ذاك أنام على باب أمير المؤمنين، مخافة أن يحدث من أمر الناس أمر فأصلحه، وإلا أتيته به، فانتبهت ليلة على بكائه ونشيجه قد غلب عليه، فقلت

يا أمير المؤمنين ! ما هذا الذى دهاك ؟ ما هذا الذى بلغ بك هذا ؟ قال : إن الله عز وجل قد صدق رؤيا البصرى، جاءنى رسول الله ﷺ فى منامى ، بين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فقال : يا عمر بن عبد العزيز ! إن اسمك عندنا المهدي ، وأبو اليتامى ، اشد يدك على العريف والمالكس ، وإياك أن تحيد عن طريقة هذا وطريقة هذا ، فيحاد بك ، فجعل يبكى بنشيج وهو يقول : أنى لى بطريقة هذا وهذا ؟

وعن القاسم بن محمد قال : أخذ بيدي سفيان الثوري ، رحمه الله ، فقممت إلى رجل يكنى أبا همام ، من أهل البصرة ، فسأله عن حديث عمر بن عبد العزيز :

فقال : حدثني رجل من أهل الحى - وذكر فضله - قال : سألت الله ، عز وجل ، أن يرزقنى الحج ثلاث سنين ، فرأيت النبى ﷺ أتانى فقال لى : احضر الموسم العام ، فانتبهت وذكرت أنه ليس عندى ما أحج به ، فأتانى الليلة الثانية وقال لى : مثل ذلك فانتبهت فذكرت فقلت مثل ذلك ، فأتانى فى الليلة الثالثة - وكنت قلت فى نفسى : إن هو أتانى قلت : ليس عندى ما أحج به - قال : فقلت ذلك ، فقال : بل انظر فى موضع كذا وكذا من دارك ، فإن فيه درعاً لجدك - أو أهلك - قال : فصليت العشاء ، الغداة ، ثم احتفرت ذلك الموضع ، فكأنما رفعت عنها الأيدي . قال : فأخرجتها بأربعمائة درهم ، ثم أتيت المريد فاشتريت بعيراً وناقة ، وتهيأت الانصراف ، فذهبت لأودع ، وقد قدمت بعيرى إلى الأبطح فإنى لأصلى فى الحجر إذ غلبتنى عينى . فأريت النبى ﷺ فقال لى : يا هذا ! إن الله قد قبل سعيك ائت عمر بن عبد العزيز ، وأبا اليتامى ، وقل له : شد يدك على العريف والمالكس ، قال : فانتبهت ، فأتيت أصحابى فقلت امضوا على بركة الله تعالى ، وأخذت برأس بعيرى ، وسألت عن رفقة تخرج إلى الشام ، فمضيت معهم حتى انتهيت إلى دمشق فسألت عن منزله ، فأنخت ناقتى وأوصيت بها ، وذلك قبل انتصاف النهار ، فإذا رجل قاعد على باب الدار ، فقلت : يا عبد الله ! استأذن لى على أمير المؤمنين . فقال : قال : ماأمنعك - أو قال ما أمتنع عليك - ولكن أخبرك ، كان من شأنه - يعنى من تشاغله بالناس - حتى كان الساعة ، فإن صبرت وإلا دخلت « فلما دخلت على عمر بن عبد العزيز » قال لى : من أنت ؟ قلت له أنا رسول رسول الله ﷺ قال : فنظرت إليه ، فإذا نعلاه فى اصبعه ، وإذا هو يستقى ماء فلما رآنى تنحى فألقى نعليه ، ثم جلس ، فسلمت

وجلست ، فقال لى : ممن أنت ؟ قلت : رجل من بنى فلان . قال : كيف الزبيب عندكم ؟ كيف التمر عندكم ؟ كيف الزيت عندكم ؟ كيف السمن عندكم ؟ كيف البر عندكم ؟ ... حتى عد هذه الأنواع التى تباع ، فلما فرغ من هذا ، عاد إلى المسألة الأولى ، ثم قال لى : ويحك ! قد جئت بأمر عظيم . قلت : يا أمير المؤمنين ؟ ما أتيت إلا بما رأيت ، ثم قصصت من لدن رؤياى إلى مجيئى إليه ، قال : فكأن ذلك تحقق عنده ، قال : ويحك ! أقم عندى فأواسيك ، قلت : لا فدخل وأخرج لى صرة فيها أربعون ديناراً ، فقال : لم يبق من عطائى غير ما ترى ، وأنا مواسيك منها : قلت : لا والله ، لا آخذ على رسالة رسول الله ﷺ شيئاً أبداً . قال : فكان ذلك يصدق عنده . قال : فودعته فقام إلى فاعتقنى ومشى معى إلى باب الدار ، ودمعت عينه ، فرجعت إلى البصرة فمكثت حولاً ، ثم قيل لى : مات عمر بن عبد العزيز ، فخرجت غازياً ، فلما كنت فى الروم ، إذا الرجل الذى كان استأذن لى قد عرفنى ولم أعرفه ، فسلم على ثم قال : علمت أن الله عز وجل صدق رؤياك ؟ مرض عبد الملك ابنه ، فكنت أنا وهو من الليل ، فكان إذا كانت ساعتى التى أكون عنده يذهب فيصلى ، فإذا كانت ساعته ذهبت أنا فنمت ، وقام يصلى وأغلق الباب دونى . قال : فوالله إنى ليلة من الليالى إذ سمعت بكاء جليلاً عالياً ، فقلت : يا أمير المؤمنين هل حدث بعبد الملك «حادث» ؟ فجعل لا يكثرث لمقالتى ، ثم إنه سرى ففتح الباب ، فقال إن الله تبارك وتعالى صدق رؤيا البصرى ، أتانى النبى ﷺ فقال : مقالته .

صفة العرفاء والمتقبلين والعشارين :

وعن عثمان بن عبد الحميد قال : حدثنى رجل قال : بلغنى أن رجلاً قال : بينا أنا أطوف فى الكعبة ، إذ نعست فنمت ، فرأيت النبى ﷺ فقال : انطلق إلى عمر بن عبد العزيز فأقرئه منى السلام ، وأخبره أن اسمه عندنا ثلاثة : عمر وجابر ومهدى ، ومره يحفظ ثلاث خصال فإن حفظهن حفظ الله أمر دينه ودنياه : العرفاء : فإنهم أكلة أموال اليتامى ، والمتقبلين : فإنهم أكلة الربا ، والعشارين : أكلة النحاس . ثم رأيت مرة أخرى فقال لى مثل ذلك وزبرنى وأوعدنى ، فشخصت إليه ، فلما قدمت لقيت حاجبه ، فقلت : استأذن لى على أمير المؤمنين ! قال : من أنت ؟ قلت رسول رسول الله ﷺ إليه فكأنه أنكر ذلك ، وظن أن بى لمأ ، إلى أن مرّ بى لإنسان من وجوه الناس ، فدخل الرجل على أمير

المؤمنين فقال له الحاجب : سمع ما يقول هذا ! فدخل على الرجل فأخبره بذلك ، فأدخل عليه فأخبره بما رأى ، فكتب مكانه أن لا يعطى إنسان عطاءه إلا فى يده ، وكتب فى المتقبلين والعشارين بما ينبغى ، ثم قال : ألا أعطيك من مال الله ، عز وجل ، أو من مالى إن شئت ؟ فقال : أنا غنى عن المال ، وإنما شخصت لهذا .

وعن الليث بن سعد أنه قال : استشهد رجل من أهل الشام ، فكان يأتى إلى أبيه كل ليلة جمعة فى المنام ، فيحدثه ويستأنس به ، قال : فغاب عنه جمعة . ثم جاءه فى الجمعة الأخرى ، فقال له : يا بنى ! لقد أحزننى وشق على تخلفك ! فقال : إنما شغلنى عنك أن الشهداء أمروا أن يتقلبوا عمر بن عبد العزيز ، وذلك عند وفاة عمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنه .

الباب الثامن والثلاثون

فى عدد أولاده وأخباره

سياق وصيته لمؤدبهم :

عن أبى حفص عمر بن عبيد « الله »^(١) الأموى قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى مؤدب ولده :

من عبد الله عمر ، أمير المؤمنين : إلى سهل مولاه . أما بعد ، فإنى اخترتك على علم منى بك لتأديب ولدى ، فصرفتهم إليك عن غيرك من موالى ، وذوى الخاصة بى ، فحدثهم بالجفاء فهو أمعن لقدامهم . وترك الصحبة فإن عاداتها تكسب الغفلة ، وقلة الضحك فإن كثرت يبيت القلب ، وليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاحى التى بدوها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن ، فإنه بلغنى عن الثقات من أهل العلم أن حضور المعازف^(٢) واستماع الأغانى واللهج بها ينبت النفاق فى القلب كما ينبت العشب الماء ، ولعمري لتوقى ذلك ، بترك حضور تلك المواطن ، أيسر على ذى الذهن من الثبوت

(٢) المعازف : أما كن العزف .

(١) من : مختصر

على النفاق فى قلبه ، وهو حين يفارقها لا يعتقد مسمعت أذناه على شىء مما ينتفع به .
وليفتح كل غلام منهم بجزء من القرآن يثبت فى قراءته ، فإذا فرغ ، تناول قوسه ونبله
وخرج إلى الغرض حافياً ، فرمى سبعة أرشاق ثم انصرف إلى القائلة ، فإن ابن مسعود ،
رضى الله عنه ، كان يقول : يا بنى ! قتلوا ، فإن الشياطين لا تقيل .

سياق عدد الذكور من أولاده:

منهم : عبد الملك

عن ابن شوذب قال : جاءت امرأة عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز إليه ، وقد
ترجلت ولبست إزاراً ورداء ونعلين ، فلما رآها قال : اعتدى اعتدى .

تأثير عبد الملك بن عمر على أخلاق أبيه :

وعن بعض مشيخة أهل الشام قال : كنا نرى أن عمر بن عبد العزيز ، إنما أدخله فى
العبادة ما رآه من ابنه عبد الملك .

وعن سليمان بن حبيب المحاربى قال : قال : عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز - وأصابه
الطاعون فى خلافة أبيه فمات - قال : والله ، ما من أحد أعز على من عمر ، ولأن أكون
سمعت بموته أحب إلى من أن يكون كما رأيته .

وعن سليمان بن حميد أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عبد الملك ابنه : إنه ليس من
أحد رشده وصلاحه أحب إلى من رشذك وصلاحك ، إلا أن يكون والى عصابة من
المسلمين ، أو من أهل العهد ، يكون لهم فى صلاحه ما لا يكون لهم فى غيره ، أو يكون
عليهم من فساد ما لا يكون لهم من غيره .

كتاب عمر من دمشق إلى ابنه فى المدينة :

وعن عمرو بن ميمون بن مهران قال : حدثنى ليث بن رقية ، كاتب عمر بن عبد
العزيز فى خلافته ، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى ابنه فى العام الذى استخلف فيه - وابنه
إذ ذاك بالمدينة يقال له : عبد الملك :

أما بعد ؛ فإن أحق من تعاهدت بالوصية والنصيحة بعد نفسى أنت ، وإن أحق من وعى

ذلك وحفظه عني . أنت . إن الله ، له الحمد قد أحسن إلينا إحساناً كثيراً بالغاً في لطيف أمرنا وعامته ، وعلى الله إتمام ما غبر من النعمة ، وإياه نسأل العون على شكرها . فاذا ذكر فضل الله عليك وعلى أبيك . ثم أين أباك على ما قوى عليه وعلى ما ظننت أن عنده فيه عجزاً عن العمل فيما أنعم به عليه ، وعليك في ذلك فراغ نفسك وشبابك وصحتك ، وإن استطعت أن تكثر تحريك لسانك بذكر الله تحميداً وتسبيحاً وتهليلاً فافعل ، فإن أحسن ما وصلت به حديثاً حسناً حمد الله وشكره ، وإن أحسن ما قطعت به حديثاً سيئاً حمد الله وذكره ، فلا تفتتن فيما أنعم الله عليك فيما عسيت أن تقرظ به أباك فيما ليس فيه إن أباك . كان بين ظهري خوته يفضل عليه الكبير ويدني دونه الصغير ، وإن كان الله ، وله الحمد ، قد رزقني من والدي حسباً جميلاً كنت به راضياً ، أرى أفضل بیره ولله عجب حقاً ، حتى ولدت ، وولدت طائفة من إخوتك ، ولا أخرج بكم من المنزل الذي أنا فيه . فمن كان راغباً في الجنة وهارباً من النار ، فالآن التوبة مقبولة ، والذنوب مغفورة ، قبل نفاذ الأجل ، وانقضاء العمل ، وفراغ من الله للمتقربين ، ليدينهم بأعمالهم في موضع لا تقبل فيه الفدية ، ولا تنفع فيه المعذرة ، تبرز فيه الخفيات ، وتبطل فيه الشفاعات ، يرده الناس بأعمالهم ، ويصدرون عنه أشتاتاً إلى منازلهم ؛ فطوبى . يومئذ ، لمن أطاع الله ، وويل ، يومئذ ، لمن عصى الله ، فإن ابتلاك الله بغنى فاقصد في غناك ، وضع لله نفسك ، وأد إلى الله فرائض حقه من مالك ، وقل كما قال العبد الصالح : ﴿ هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم ﴾ ^(١) وإياك أن تفخر بقولك ، وأن تعجب بنفسك ، أو يخيل إليك أن ما رزقته لكرامة لك على ربك ، وفضيلة على من لم يرزق مثل غناك ، فإذا أنت أخطأت باب الشكر ، وتركت منازل أهل الفقر ، وكنت ممن طغى للغنى ، وتعجل طبيباته في الحياة الدنيا ، فإني لأعظك بهذا ، وإنني لكثير الإسراف على نفسي غير محكم لكثير من أمري ، ولو أن المرء لم يعظ أخاه حتى يحكم أمر نفسه ، ويعمل في الذي خلق له من عبادة ربه ، إذن لتوا كل الناس الخير ، وإذن لرفع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقل الواعظون والساعون لله بالنصيحة في

(١) سورة النمل ، آية : ٤٠

الأرض فله الحمد رب السماوات ورب الأرض ، رب العالمين ، وله الكبرياء في
السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم »

كان عبد الملك ، رحمه الله ، يفضل على عمر :

وعن سيار بن الحكم قال : كان ابن لعمر بن عبد العزيز يقال له : عبد الملك ، وكان
رحمه الله ، يفضل على عمر ، قال : يا أبت ! أقم الحق ولو ساعة من نهار .

وعن إسماعيل بن أبي حكيم قال : غضب عمر بن عبد العزيز يوماً غضباً شديداً ،
وكان فيه حدة - وعبد الملك ، ابنه ، حاضر - فلما - سكن غضبه قال : يا أمير المؤمنين !
أنت في قدر نعمة الله عليك ، وموضعك الذي وضعك به ، وما ولاك من أمر عباده ، يبلغ
بك الغضب ما أرى ؟ قال : كيف قلت ؟ فأعاد عليه كلامه ، فقال : أما تغضب يا عبد
الملك ؟ قال : ما تغنى سعة جوفى إن لم أرد فيه الغضب ، حتى لا يظهر منه شيء أكرهه -
قال : وكان بطيناً -

متى ما أريد مكابدتهم لم آمن أن يفتقروا فتقاً :

وعن شعيب . أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز دخل على عمر فقال : يا أمير
المؤمنين ! إن بى اليك حاجة ، فأدخلنى - وعنده مسلمة بن عبد الملك - فقال له عمر : أسر
دون ابن عمك ؟ قال : نعم فقام مسلمة وخرج ، وجلس بين يده ، فقال : يا أمير المؤمنين ما
أنت قائل غداً لربك إذا سألك فقال : رأيت بدعة فلم تمتها أو سنة فلم تحيها ؟ فقال : يا بنى !
أشئ حملك الرعية إلى ؟ أم رأى رأيته ؟ « قال : بل رأى » رأيته من قبل نفسى ، وعرفت
أنك مسؤول فيما أنت قائل . فقال له أبوه : رحمك الله وجزاك من ولد خيراً ، فإنى ،
والله لأرجو أن تكون من الأعوان على الخير . يا بنى ! إن قومك قد شدوا هذا الأمر عقدة
عقدة ، وعروة عروة ومتى أريد مكابدتهم على انتزاع ما فى أيديهم لم آمن أن يفتقروا على
فتقاً تكثر فيه الدماء ، والله لزوال الدنيا أهون على من أن يهرق بسببى محجمة من دم ،
أو ما ترضى أن لا يأتى على أبيك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يميت فيه بدعة ويحيى فيه سنة ،
حتى يحكم الله بيننا وبين قومنا بالحق ، وهو خير الحاكمين ؟

وعن هشام بن حسان قال : قال عمر بن عبد العزيز لمولاه مزاحم : كم ترانا أصبنا من

أموال المسلمين؟ قال : يا أمير المؤمنين ! أتدرى ما عيالك ؟ قال : نعم ، الله لهم ، فخرجت من عنده ، فلقيت ابنه عبد الملك فقلت له : أتدرى ما قال أمير المؤمنين ؟ قال : وما قال أمير المؤمنين؟ قال : قال : يا مزاحم ؟ كم أصبنا من أموال المسلمين ؟ فقلت له : هل تدري ما عيالك ؟ قال : نعم الله لهم ، فقال عبد الملك : بئس الوزير أنت يا مزاحم ! ثم جاء يستأذن على أبيه ، فقال للآذن : استأذن لى عليه فقال له الآذن : إنما لأبيك من الليل والنهار هذه الساعة ، قال : لا بد من لقائه . فسمع عمر ، رضى الله عنه ، مقاتلتهما ، فقال : من هذا ؟ قال الآذن : عبد الملك ! قال : ائذن له ، فدخل فقال :

ما جاء بك فى هذه الساعة ؟ قال : شىء ذكره لى مزاحم . قال : نعم ، فما رأيك ؟ قال : رأى أن تمضيه . قال : فإنى أروح إلى الصلاة فأصعد إلى المنبر فأرده على رؤوس الناس ، قال : ومن لك أن تعيش إلى الصلاة ؟ قال : فمه ؟ قال : الساعة ، قال : فخرج ، ونودى : الصلاة جامعة ، فصعد المنبر فردده على رؤوس الناس .

وعن إسماعيل بن أبى حكيم قال : دخل عبد الملك على أبيه عمر فقال : أين وقع لك رأيك فيما ذكر لك مزاحم من رد المظالم ؟ قال : على إنفاذه ، فرفع عمر يده ثم قال : الحمد لله الذى جعل من ذريتى من يعيننى على أمر دينى ، نعم يا بنى ، أصلى الظهر ، إن شاء الله تعالى ثم أصعد المنبر . فأردها على رؤوس الناس ، فقال عبد الملك : يا أمير المؤمنين ! من لك بالظهر ؟ ومن لك بأن تسلم نيتك إلى الظهر ؟ فقال عمر : فقد تفرق الناس للقائلة . قال عبد الملك : تأمر مناديك فينادى : الصلاة جامعة ، حتى يجتمع الناس . فأمر مناديه فنادى فاجتمعوا ، وقد جىء بسفط أو جونة فيها تلك الكتب ، وفى يد عمر جلم يقصه ، حتى نودى بالظهر .

أوأمنت الموت يأتيك ورعيتك على بابك :

وعن ابن أبى عليه قال : جلس عمر بن عبد العزيز يوماً للناس ، فلما انتصف النهار ضجر ومل وكل ، فقال للناس : مكانكم حتى أنصرف إليكم ، ودخل ليستريح ساعة ، فجاء ابنه عبد الملك فسأل عنه فقالوا : دخل . فاستأذن عليه ، فأذن له ، فلما دخل قال : يا أمير المؤمنين ! ما أدخلك ؟ قال : أردت أن أستريح ساعة . قال : أوأمنت الموت أن

يأتيك ، ورعيتك على بابك ينتظرونك ، وأنت تحتجب عنهم ؟ فقام عمر من ساعته ، وخرج إلى الناس .

وعن ميمون بن مهران أنه قال : ما رأيت ثلاثة في بيت خيراً من عمر بن عبد العزيز ، وابنه عبد الملك ، ومولاه مزاحم .

وعن نافع قال : قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ! ما يمنحك أن تمضي الذي تريد ؟ فوالذي نفسى بيده ما أبالي أن لو غلت بى وبك القدور . قال : وحق هذا منك ؟ قال : نعم ، والله ؛ قال عمر : الحمد لله جعل من ذريتى من يعيننى على أمر دينى ، يا بنى لو باهت الناس بالذى تقول لم آمن أن ينكروها ، فإذا أنكروها لم أجد بداً من السيف ، ولا خير فى من لا يجىء إلا بالسيف ، يا بنى ! إني أروض الناس رياضة الصعبة ، فإن بطأ بى عمر أرجو أن ينفذ الله مشيئتى ، وأن تعدو على منيتى ، فقد علم الله أريده .

وعن جعونة قال : دخل عبد الملك على أبيه عمر ، قال : يا أمير المؤمنين ! ماذا تقول لربك إذا أتيت ، وقد تركت حقاً لم تحيه وباطلاً لم تمته ؟ قال : اقعد يا بنى ! إن آباءك وأجدادك خدعوا الناس الحق ، فانتهمت الأمور إلى ، وقد أقبل شرها وأدبر خيرها ، لكن ليس حسناً جميلاً أن لا تطلع الشمس على ، فى يوم لا أحييت فيه حقاً وأمت فيه باطلاً ، حتى يأتى الموت وأنا على ذلك .

امتحان عقل عبد الملك وأدبه :

وعن ميمون بن مهران قال : قال لى عمر بن عبد العزيز : إن ابنى عبد الملك قد زين فى عينى ، وقد أعجبت به ، وما أرى إلا الهوى قد غلب على علمى بفضله ، وأحب أن تأنيه وتستشيره ، فتنظر إلى عقله . قال : فأتيته ، فاستأذنت عليه فقعدت عنده ساعة ، فأعجبت به ، إذ جاءه الغلام فقال : قد فرغنا مما أمرتنا به . قلت : وما ذاك ؟ قال : الحمام . أمرته أن يخليه لى ، قلت : آه آه ، قد كنت أعجبت بك حتى سمعت هذا . قال : وما ذاك يا عماه ؟ قلت : رأيت الحمام ملكاً لك ؟ قال : لا : قلت : فما الذى يحملك على أن تصد عنه غاشيته ، وتعطله على أهله ؟ قال : أنا أعطيه غلة يومه ، قلت : وهذه نفقة كبر خالطها إسراف ، كأنك تريد بذلك الأبهة ، وإنما أنت رجل من المسلمين كأحدهم ،

يجزيك أن تكون مثلهم ، قال : فقال : والذي عظم حقك ، ما يمنعني أن أدخل معهم إلا أنى أرى قوماً رعاعاً بغير مياز ، وأكره أدبهم على المياز ، فيضعون ذلك على سلطاننا خلصنا الله منهم كفافاً .

فقلت : تدخله ليلاً . قال : أفعل ، ولولا برد بلادنا ما دخلته ليلاً ولا نهاراً .

قال الشيخ أبو الفرج ، المصنف ، رحمه الله تعالى : ومات عبد الملك فى حياة أبيه رضى الله عنهما .

تأبين عمر لابنه عبد الملك :

وعن زياد بن حسان أنه شهد عمر بن عبد العزيز حين دفن ابنه عبد الملك ، رحمه الله ، وسوى عليه التراب ، سورا قبره بالأرض وضعوا عند رأسه خشبتين من زيتون ، إحداهما عند رأسه والأخرى عند رجليه ، ثم جعل قبره بينه وبين القبلة واستوى قائما فأحاط به الناس فقال :

« والله ، يا بنى ! لقد كنت براً بأبيك ، والله ، ما زلت مذ وهبك الله لى مسروراً بك ولا ، والله ، ما كنت قط أشد سروراً ، ولا أرجى لحظى من الله فيك منذ وضعتك فى المنزل الذى صيرك الله فيه . فرحمك الله وغفر ذنبك ، وجزاك بأحسن عملك ، ورحم الله لكل شافع لك بخير ، من شاهد أو غائب ، رضينا بقضاء الله وسلمنا لأمره ، والحمد لله رب العالمين » . وانصرف .

وعن حفص بن عمر قال : لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ظل يثنى عليه ، فقال له مسلمة : يا أمير المؤمنين ! رأيت لو بقى أكنت تعهد إليه ؟ قال لا . قال : لم وأنت تثنى عليه هذا الشناء ؟ قال : لولا أنى أخاف أن أكون قد زين فى عينى من أمره ، ما زين فى عين الوالد من الولد ، لرأيت أنه أهل للخلافة .

وعن رجاء بن أبى مسلمة قال : لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ، كتب إلى الأمصار ينهاهم أن يَناح عليه ، فكتب : إن الله تعالى أحب قبضه ، وأعوذ بالله أن أخالف محبته .

أما في موت عبد الملك ما يشغل عن نصيحة المسلم :

وعن عون بن المعمر أن عمر بن عبد العزيز رأى ، وهو يدفن ابنه عبد الملك ، رجلاً يشير بشماله ، فقال : يا هذا ! إذا تكلمت فلا تشر بشمالك ، أشر يمينك . فقال الرجل : ما رأيت كاليوم أن رجلاً دفن أعز الناس ، ثم إنه يهمله شمالي ويميني ، فقال عمر : إذا استأثر الله بشيء قال عنه .

وعن أبي عبد الرحمن القرشي قال : قال رجل لعمر بن عبد العزيز ، وهو في قبر ابنه : آجرك الله ، يا أمير المؤمنين ! - وأشار الرجل بشماله - فقال له عمر : يا عبد الله ! أشر يمينك . فقال الرجل : أما في موت عبد الملك ما يشغل عن نصيحة المسلم ؟ .

وعن الربيع بن سبرة قال : لما هلك عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ، وسهل بن عبد العزيز ، ومزاحم ، في أيام متتابعة ، دخل الربيع بن سبرة عليه ، فقال : أعظم الله أجرك ، يا أمير المؤمنين ! فما رأيت أحداً أصيب بأعظم من مصيبتك في أيام متتابعة ، والله ، ما رأيت مثل ابنك ابناً ولا مثل أخيك أخاً ، ولا مثل مولاك مولى قط ، قال : فطأطأ عمر رأسه ، قال لى رجل معى على الوسادة : لقد هيجت على أمير المؤمنين . قال : ثم رفع رأسه فقال : كيف قلت الآن يا ربيع ؟ فأعدت عليه ما قلت أولاً ، فقال : والذى قضى عليهم بالموت ، ما أحب أن شيئاً من ذلك كان لم يكن .

وأعاد الحديث وزاد فيه : ما أحب أن شيئاً من ذلك كان لم يكن ، لما أرجو من الله ، تعالى ، فيهم .

وعن علي بن حصن قال : شهدت عمر بن عبد العزيز تتابعته عليه مصائب : مات أخ له ، ثم مات مزاحم ، ثم مات ابنه عبد الملك ، فلما مات عبد الملك تكلم ، فحمد الله تعالى ، وأثنى عليه ، ثم قال : لقد دفعته إلى النساء فى الخرق ، فما زلت أرى فيه السرور وقرّة العين إلى يوم الناس هذا ، فما رأيت فيه أمراً قط أقرّ عيني من أمر رأيت يوم .

وعن مالك قال : قام عمر بن عبد العزيز إلى مصلاه ، فذكر سهل بن عبد العزيز ، وعبد الملك ، ومزاحماً فقال : اللهم ! إنك قد علمت ما كان من عونهم ومعونتهم فأخذتهم فلم يزدنى ذلك إلاّ حبا ولا إلى عندك إلاّ شوقاً . ثم رجع إلى مجلسه .

وعن على بن خالد بن زيد قال : لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز دخل عليه ، فنظر إليه وخرج وهو يتمثل :

لا يغرنك عشاء ساكن قد يوافي بالمنيات السحر

وعن المدائني قال : قام عمر بن عبد العزيز على قبر ابنه عبد الملك فقال :

رحمك الله يا بني ! فقد كنت ساراً مولوداً ، وباراً ناشئاً ، وما أحب أنى دعوتك فأجبتنى .

وعن سليمان بن أرقم أن عمر بن عبد العزيز قال لأبى قلابة - وقد ولى غسل ابنه عبد الملك - : إذا غسلته وكفنته ، فأذننى قبل أن تغطى وجهه ، ففعل ، فنظر إليه فقال : رحمك الله يا بني ، وغفر لك .

كل ما فى الأرض من محبوب متروك ومن مكروه مضمحل :

وعن المدائني بإسناده ، أن عمر بن عبد العزيز خطب الناس بعد وفاة ابنه عبد الملك ، ونهى عن البكاء عليه وقال : إن الله عز وجل ، لم يجعل لمحسن ولا لمسيء فى الدنيا خلداً ولم يرض بما أعجب أهلها ثواباً لأهل طاعته ، ولا ببلائها عقوبة لأهل معصيته ، فكل ما فيها من محبوب متروك ، وكل ما فيها من مكروه مضمحل ، لذلك خلقت ، وكتب على أهلها الفناء ، فأخبر أنه يرث الأرض ومن عليها . فاتقوا الله ، واعملوا اليوم لا يجرى والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً .

إنما الجزع قبل المصيبة فإذا وقعت المصيبة ، فإله عما فاتك :

وعن المدائني ذكروا أن عمر بن عبد العزيز : لما مات ابنه عبد الملك ، رجع من المقبرة ، فرأى قوما يرمون ، فلما رأوه أمسكوا ، فقال : ارموا ، ووقف عليهم ، فرمى أحد الرامين ، فأخرج . فقال له عمر : أخرجت فقصر . ثم قال للآخر : ارم فقصر فقال له عمر قصرت فبلغ . فقال له مسلمة : يا أمير المؤمنين ! أتفرغ قلبك لما تفرغ له ، وإنما نفضت يدك من تراب ابنك الساعة ، ولم تصل إلى منزلك بعد ؟ فقال له عمر : يا مسلمة ! إنما الجزع قبل المصيبة ، فإذا وقعت المصيبة فإله عما فاتك .

وعن الزبير بن بكار قال : دخل عمر بن عبد العزيز على ابنه عبد الملك وهو مريض فقال له : كيف تجددك يا بنى ؟ قال : أجدنى فى الحق ، والله ، لأن يكون ما تحب أحب إلى مما أحب . فلما هلك عبد الملك قال عمر : يا بنى لقد كنت فى الدنيا كما قال الله جل ثناؤه : ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴾ ^(١) ولقد كنت أفضل زيتها ، وإنى لأرجو أن تكون اليوم من الباقيات الصالحات التى هى خير ثواباً وخير أمداً ، والله ما سرنى أنى دعوتك فأجبتنى . فعزاه الناس ، وعزاه محمد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، فقال : يا أمير المؤمنين ! ليشغلك ما أقبل من الموت عليك ، عما هو فى شغل مما يدخل عليك ، وأعد لنزوله عدة يكن لك حجاباً وستراً من النار ، - وقال - يا أمير المؤمنين ! لو ترك رجل تعزیه أخیه ، لعلمه وانتباهه ، لكن الله قضى أن الذكرى تنفع المؤمنين .

وقام أعرابى من بنى كلاب بين السماطين فقال :

تعزّ ، أمير المؤمنين ! فإنه لما قد ترى يغذى الوليد ويولد
هل ابنك إلا من سلالة آدم ؟ لكل على حوض المنية مورد

ما كتب عمر فى وفاة ابنه عبد الملك :

ثم كتب عمر :

أما بعد ؛ فإن الله تعالى كتب على خلقه ، حين خلقهم ، فجعل مصيرهم إليه ، فقال ، جل ثناؤه ، فيما أنزل فى كتابه الصادق الذى حفظه : « إنه يرث الأرض ومن عليها وإليه يرجعون » ^(٢) وقال لنبيه ، ﷺ : ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون ﴾ ^(٣) وقال تعالى : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ ^(٤) وقال عز وجل : ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ ^(٥) . فالموت سبيل الناس فى الدنيا ، لم يكتب الله لمحسن ولا لمسىء فيها خلوداً ولم يرض ما أعجب أهلها ثواباً لأهل طاعته ، ولم يرض ببلائها عقوبة لأهل معصيته ، فكل شىء منها ، أعجب أهلها أو كرهوا منه شيئاً متروك ، لذلك خلقت منذ خلقت ، ولذلك سكنت منذ سكنت ، ليلو الله فيها عباده

(٣) سورة الأنبياء آية : ٣٤ .

(٢) معنى الآية ٤٠ من سورة مريم

(١) سورة الكهف آية : ٤٦

(٥) سورة طه آية : ٥٥ .

(٤) سورة الأنبياء آية : ٣٥ .

أيهم أحسن عملاً ، فمن قدم عند خروجه من الدنيا إلى طاعة الله ورضوانه ، من أنبيائه وأئمة الهدى الذين أمر الله نبيه أن يقتدى بهداهم ، خلد في دار الإقامة من فضله ، لا يمسه فيها نصب ، ولا يمسه فيها لغوب ، ومن كانت مفارقتة الدنيا إلى غيرهم ، وإلى غير منازلهم ، فقد قابل الشر الطويل ، وأقام على ما لا قبل له به ، وأسأل الله ، برحمته ، أن يبقينا ما أبقانا في الدنيا مطيعين أمره ، متبعين لكتابه ، وأن يقدمنا ، إذا خرجنا من الدنيا ، إلى نبينا ومن أمر أن يقتدى بهداه من المصطفين الأخيار ، وأسأله برحمته أن يبقينا أعمال السوء في الدنيا ، والسيئات يوم القيامة . ثم إن عبد الملك ابن أمير المؤمنين ، كان عبداً لله ، أحسن الله إليه ، وأحسن إلى أبيه فيه ، أعاشه ما أحب أن يعيشه ، ثم قبضه حين أحب أن يقبضه ، وهو فيما علمت بالموت مغتبط ، يرجو من الله فيه رجاء حسناً ، وأعوذ بالله أن تكون له محبة في شيء من الأمور تخالف محبة الله تعالى ، فإن ذلك لا يصلح لي في بلائه عندي ، ولا إحسانه إليّ ، ولا نعمته عليّ . وقد قلت ما رجوت به ثواب الله الحسن ، وموعوده الصادق من المغفرة ، إنا لله وإنا إليه راجعون . ثم لم أجد في نفسي بعد ذلك ، والحمد لله ، إلا خيراً . من رضيت بقضاء الله تعالى ، واحتساب لما كان من المصيبة ، فحمداً لله على ما مضى ، وعلى ما بقى ، وعلى كل حال من أمر الدنيا والآخرة . أحببت أن أعلمكم بذلك ، وأكتب إليكم به ، فلا أعرفنّ مما أنيح عليه في شيء مما قبلكم ، ولا يجتمع على ذلك أحد من الناس ، ولا رخصت فيه لقريب من الناس ولا بعيد ، والسلام .

ما كتبه إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن في شأن ابنه عبد الملك :

قال : حدثنا حازم قال : بلغنا أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن ، في شأن ابنه عبد الملك ، حين توفي :

أما بعد ؛ فإن الله ، تبارك اسمه وتعالى جده كتب على خلقه ، حين خلقهم ، الموت وجعل مصيرهم إليه ، فقال فيما أنزل من كتابه الصادق الذي حفظه بعلمه ، وأشهد ملائكته على حقه : « إنه يرث الأرض ومن عليها وإليه يرجعون » ^(١) . ثم قال لنبيه عليه السلام : ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون ﴾ ^(٢) ثم قال عز

(١) معنى الآية ٤٠ من سورة مريم .

(٢) سورة الأنبياء آية : ٣٥ .

وجل : ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ (١) . فالموت سبيل الناس في الدنيا لم يكتب الله لمحسن ولا لمسيء فيها خلوداً ولم يرضَ ما أعجب أهلها فيها ثواباً لأهل طاعته ، ولم يرضَ ببلائها عقوبة لأهل معصيته ، فكل شيء منها ، أعجب أهلها أو كرهوا منه شيئاً ، متروك ، لذلك خلقت ، ولذلك سكنت منذ سكنت ، ليلو الله فيها عباده أيهم أحسن عملاً ، فمن قدم عند خروجه من الدنيا إلى أهل طاعة الله ورضوانه ، من أنبيائه وأئمة الهدى الذين أمر الله نبيه أن يقتدى بهداهم ، خالداً في دار المقامة من فضله لا يمسه فيها نصب ، ولا يمسه فيها لغوب ، ومن كانت مفارقتها الدنيا إلى غيرهم ، وغير منازلهم ، فقد قابل الشر الطويل ، وأقام على ما لا قبل لديه ، أسأل الله ، برحمته ، أن يبقينا ما أبقانا في الدنيا مطيعين أمره ، متبعين لكتابه ، ويجعلنا ، إذا خرجنا من الدنيا ، إلى نبينا ومن أمر أن يقتدى بهداه من المصطفين الأخيار ، وأسأله برحمته أن يبقينا أعمال السوء في الدنيا ، والسيئات يوم القيامة . ثم إن عبد الملك ابن أمير المؤمنين ، كان عبداً لله ، أحسن الله إليه ، وأحسن إلى أبيه فيه ، أعاشه ما أحب أن يعيشه ، ثم قبضه حين أحب أن يقبضه ، وهو فيما علمت بالموت مغتبط ، ويرجو فيه من الله رجاء حسناً ، وأعوذ بالله أن تكون له محبة في شيء من الأمور تخالف ما أحب الله تعالى ، فإن خلاف ذلك لا يصلح لي في بلائه عندي ، وإحسانه إليّ ، ونعمته عليّ . وقد قلت عندما كان في سبيله أحمد الله على ما رجوت به ثواب الله الحسن ، وموعوده الصادق من المغفرة ، إنا لله وإنا إليه راجعون . ثم لم أجد في نفسي بعد ذلك ، والحمد لله ، إلا خيراً . من رضئ بقضاء الله تعالى ، واحتساب لما كان من المصيبة ، فحمدت الله على ما مضى ، وعلى ما بقى ، وعلى كل حال من أمر الدنيا والآخرة . أحببت أن أعلمكم بذلك ، وأكتب إليكم به ، فلا أعلم مما أنيح عليه في شيء مما قبلك ، ولا اجتمع على ذلك أحد من الناس ، ولا رخصت لقريب من الناس ولا لبعيد . واكفني ذلك بكفاية الله ، ولا ألومك فيه إن شاء الله ، والسلام عليك .

وعن خالد بن عطية قال : قال عمر بن عبد العزيز عند وفاة ابنه عبد الملك :

(١) سورة طه آية : ٥٥ .

الحمد لله الذى جعل الموت حتما واجبا على خلقه ، ثم سوى فيه بينهم ، فقال تعالى ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ ^(١) ، فليعلم ذرو النهى أنهم صائرون إلى أمورهم ، مفردون بأعمالهم ؛ واعلموا أن عند الله مسألة فاضحة ، قال الله سبحانه : ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون ﴾ ^(٢) .

ما كنت على حالة فسرني أنى على غيرها :

وعن أبى إبراهيم البكاء قال : كتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز يعزیه بابنه عبد الملك ، فقال لكاتبه ؛ أجبه ، وأدق القلم : أما بعد ؛ فإن هذا أمرٌ كنا وطمنا أنفسنا عليه فلما نزل لم ننكره والسلام . وعن أبى زياد بن زاذان قال : قال عمر بن عبد العزيز : ما كنت على حالة من حالات الدنيا فسرني أنى على غيرها .

وعن يحيى بن سعيد قال : قال عمر بن عبد العزيز ما لى فى الأمور هوئى ، سوى مواقع قضاء الله فيها .

وعن سليمان بن حبيب قال : لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ، دخل هشام بن الغار على عمر ، فعزاه ، فقال عمر : وأنا أعود بالله أن تكون لى محبة فى شىء من الأمور تخالف محبة الله ، عز وجل ، فإن ذلك لا يصلح لى ، فى بلائه عندى .

ومن أولاده : عبد العزيز

ولى المدينة ومكة ليزيد بن عبد الملك ، ثم أثبته مروان بن محمد عليهما ،

ثم عزله عنها

قال الزبير بن بكار ، وقد أسند عبد العزيز الحديث : روى عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز الحديث ، عن صالح بن كيسان ، عن عثمان بن عفان ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلم خرج من بيته يريد سفراً أو غيره ، فقال حين خرج : « باسم الله آمنت بالله ، اعتصمت بالله ، وتوكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » - إلا رزق خير ذلك المخرج ، وصرف عنه شره » .

(١) سورة الأنبياء آية : ٣٥ . (٢) سورة الحجر الآيتان : ٩١ ، ٩٢ .

وروى عن يحيى ، عن إسماعيل بن جرير ، عن قزعة ، فقال : أرسلنى ابن عمر إلى حاجته ، فأخذ بيدي وقال : تعال أودعك كما ودعنى رسول الله ﷺ ، وأرسلنى إلى حاجته ، فقال : « أستودعك الله دينك ، وأمانتك ، وخواتيم عملك » .

وروى عن مكحول قال : قال رسول الله ﷺ ، « من صلى بعد المغرب ركعتين قبل أن يتكلم ، رفعت فى عليين » .

وعنه قال : قال لى جعفر - يعنى أمير المؤمنين - : كم كانت غلة أبيك عمر حين ولى الخلافة ؟ قلت : أربعين ألف دينار . قال : فكم كانت غلته لما توفى ؟ قلت : أربعمائة دينار ولو بقى لنقصت .

وروى عنه أنه قال : دعانى أبو جعفر فقال : كم كانت غلة عمر بن عبد العزيز حين أفضت إليه الخلافة ؟ فقلت : خمسين ألف دينار ، قال : فكم كانت يوم مات ؟ قلت : ما زال يردها حتى كانت مائتى دينار ولو بقى لردها .

وعنه أنه قال : ما كان أبى يعدل بعراك بن مالك .

لا تحملها على الشر ما وجدت لها محملا على الخير :

وعنه قال : قال لى أبى : يا بنى ! إذا سمعت كلمة من امرئ مسلم ، فلا تحملها على شئ من الشر ، ما وجدت لها محملا على الخير .

وعنه قال : كنت أحب لقاء الزهرى ، فرأيت فى النوم ، فقلت له : يا أبا بكر ! هل من خاصة دعوة ؟ قال : لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، توكلت على الحى الذى لا يموت ، اللهم إنى أسألك العافية ، وأسألك أن تعيذنى وذريتى من الشيطان الرجيم .

ومن أولاده عبد الله

ولى الكوفة

عن أبى ضمرة ، عن أسامة بن زيد ، عن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز عن أبيه ، أنه قال : تهادوا يذهب . كأنه يريد : السخيمة .

ليست من ثيابي ولا من ثياب قومي :

قال : حدثنا يعقوب . عن أبيه ، أن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز أتى إلى أبيه ، وهو خليفة ، يستكسى أباه فقال : يا أبت ! اكسني ، فقال اذهب إلى الخيار بن رباح البصري ، فإن لي عنده ثياباً فخذ منها ما بدا لك ، قال : فذهبت إلى الخيار بن رباح ، فقلت إني استكسيت أبي ، فأرسلني إليك ، وقال : إن لي عند الخيار بن رباح ثياباً ، فقال : صدق أمير المؤمنين ، فأخرج إليه ثياباً سنبلانية أو قطرية ، فقال : هذا ما لأُمير المؤمنين عندي فخذ منها ما بدا لك . قال عبد الله : ما هذا من ثيابي ولا من ثياب قومي . فقال : هذا ما لأُمير المؤمنين عندي ، فرجع عبد الله إلى أبيه عمر ، فقال : يا أبتاه ! استكسيتك فأرسلتنني إلى الخيار بن رباح ، فأخرج لي ثياباً ليست من ثيابي ، ولا من ثياب قومي . قال : فذاك ما لنا عند الرجل ، فانصرف عبد الله ، حتى إذا كاد يخرج ، ناداه فقال : هل لك أن أسلفك من عطائك مائة درهم ؟ قال : نعم ، يا أبتاه ! فأسلفه مائة درهم ، فلما خرج عطاؤه حوسب بها فأخذت منه .

ومنهم إبراهيم

قال : حدثني الليث أن إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز حدثه أنه سمع أباه يقول لابن شهاب : ما أعلمك تعرض على شيئاً قد مرّ على مسامعي ، إلا أنك أوعى له مني ^(١) .

كيف أقلدكم ديني تدنسوه في كل جند :

قال : حدثنا الأوزاعي أن عمر بن عبد العزيز قال لبنيه : كيف أنتم إذا وليت كل رجل منكم جنداً ؟ فقال ابنه ، ابن الحارثية : لما تعرض علينا أمراً لا تريد أن تفعله ؟ فقال : أترون بساطي هذا ؟ إنّه لصائر إلى بلي ، وإنني أكره أن تدنسوه بخفافكم ، فكيف أرضي أن تدنسوا على ديني ؟ .

قال : حدثنا سليمان بن حبان أن عمر بن عبد العزيز قال لبنيه : أتحبون أن أولى كل رجل منكم جنداً ، فينطلق تصلصل به جلاجل البريد ؟ فقال ابنه ، ابن الحارثية : لم تعرض علينا شيئاً لست صانعه بنا ؟ .

(١) سبق في معنى

فقال : عمر : إني لأعلم أن بساطي هذا يصير إلى البلى ، وإنني لأكره أن تدنسوه بخفافكم فكيف أقلدكم ديني تدنسوه في كل جند ؟ .

قال يعقوب بن سفيان ، وحدثني عبد العزيز بن عمر قال : أخبرني ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، قال : سمعت مسلمة بن عبد الملك يقول : رحم الله عمر ، والله لقد هلك ، وما بلغ ابن له قط شرف العطاء .

ومنهم إسحاق ويعقوب

قال : الزبير بن بكار قال : ولدت فاطمة بنت عبد الملك لعمر بن عبد العزيز : إسحاق ويعقوب ابني عمر بن عبد العزيز .

ومنهم : بكر وموسى والوليد وعاصم ويزيد وزيان

قال : حدثنا عثمان بن عبد الحميد قال : حدثني أبي قال : بلغنا أن ابناً لعمر بن عبد العزيز مات صغيراً ، فدخل عليه الناس يعزونه وهو ساكت لا يتكلم طويلاً ، حتى قال بعضهم : إن ذا لمن جزع ، قال : ثم تكلم فقال :

الحمد لله الذي أدخل ملك الموت حجرتي ، فذهب ببعضي ، فكأنه قد ذهب بي .

قال : وعن سعيد بن علي قال : مات ابن لعمر بن عبد العزيز صغير ، فغشى عليه ، فلما أفاق قلنا له : على مثل هذا ؟

قال : ليس ذاك بي ، ولكن بضعه مني ، فأوشك أن أتبعها .

بِعُهُ وَأَشْبَعُ بِهِ أَلْفُ جَائِعٍ :

قال : وبلغني أن بعض أولاد عمر بن عبد العزيز اتخذ خاتماً ، واشترى له فصاً بألف درهم ، فكتب إليه عمر :

أما بعد ؛ فقد بلغني أنك اشتريت فصاً بألف درهم ، فبعه ، وأشبع به ألف جائع ، واتخذ خاتماً من حديد صيني ، واكتب عليه : « رحم الله امرأ عرف قدر نفسه »

عدد بناته

منهن أمينة

قال : وعن قوباء بن دبيق قال : مرت ابنة لعمر بن عبد العزيز ، يقال لها : أمينة ، فدعاها عمر : يا أمين ! يا أمين ! فلم تجبه ، فأمر إنساناً فجاء بها ، فقال : ما منعك أن تجيبيني ؟

قالت : إني عارية ، فقال : يا مزاحم ! انظر إلى تلك الفراش التي فتقناها ، فاقطع لها منها قميصاً ، فذهب إنسان إلى أم البنين ، عمتها .
فقال : ابنة أخيك عارية ، وأنت عندك ما عندك ، فأرسلت إليه بتخت من ثياب ، وقالت : لا تطلبى من عمر شيئاً .

ومنهن أم عمار وأم عبد الله

قال : حدثنا محمد بن سعيد قال : اسم ولد عمر بن عبد العزيز : عبد الله ، وبكر ، وأم عمار ، وأمهم ، ليس بنت على بن الحارث . وإبراهيم وأمه : أم عثمان بنت شعيب بن زيان . وإسحاق ويعقوب وموسى درجوا وأمهم : فاطمة بنت عبد الملك بن مروان .
وعبد الملك والوليد وعاصم ويزيد وعبد الله وعبد العزيز وزيان وأمينة وأم عبد الله وأمهم : أم ولد .

الباب التاسع والثلاثون

فى ذكر مرضه ووفاته

سياق بدء مرضه :

قال : حدثنا الوليد عن أبى عمر أن محمد بن عبد الملك بن مروان سأل فاطمة بنت عبد الملك ، امرأة عمر : ما ترين بدأ مرض عمر الذى مات فيه ؟ فقالت : أرى جُلّ ذلك أو بدأه الخوف .

قال : حدثنا محمد بن سعد قال : قال عبد الحميد بن سهيل : رأيت الطبيب حرج من عند عمر بن عبد العزيز ، فقلت : رأيت بوله اليوم ؟ فقال : ما يبوله من بأس إلا الهم بأمر الناس .

تقتله خشية الله :

قال ابن سعد ؛ وقال : ابن لهيعة : وجدوا فى بعض الكتب : تقتله خشية الله ، عز وجل - يعنى عمر - .

قال ابن سعد : قال محمد بن قيس : أول مرضه ، اشتكى لهلال رجب سنة إحدى ومائة ، وكان شكواه عشرين يوماً .

سياق ما روى أنه سقى السم :

قال : وعن الوليد بن هشام قال : لقينى يهودى ، فأعلمنى أن عمر سيلى هذا الأمر ، فيعدل فيه ، فلقيت عمر فأخبرته بقول اليهودى .

قال : فلما لى لقينى اليهودى فقال : ألم أقل لك أن عمر سيلى هذا الأمر ويعدل فيه ؟ قال : قلت بلى قال : ثم لقينى بعد ذلك فقال : إن صاحبك قد سقى ، فمره فليتدارك نفسه . قال : فلقيت عمر ، فذكرت له ذلك ، فقال عمر : قاتله الله . ما أعلمه ؟ لقد

عرفت الساعة التى سقيت فيها ، ولو كان شفائي أن أمس شحمة أذنى ما فعلت ، أو أوتى بطبيب أرفعه إلى أنفى ما فعلت .

قال : وقد رويت لنا من طريق آخر ، قال : حدثنا ضمرة ، عن أبى جميلة ، عن عمر ابن مهاجر ، قال : لقينى يهودى - فذكر نحو ما تقدم - .

قال : حدثنا أبو زيد الدمشقى قال : لما ثقل عمر بن عبد العزيز دعى له طبيب ، فلما نظر إليه قال الرجل : قد سقى السم ، ولا آمن عليه الموت فرفع عمر بصره فقال : ولا تأمن الموت ، أيضاً ، على من لم يسق السم . قال الطبيب : هل أحسست بذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ، قد عرفت حين وقع فى بطنى . قال : فتعالج يا أمير المؤمنين لا يأتى أخاف أن تذهب نفسك ، فقال : ربي خير مذهب إليه ، والله لو علمت أن شفائي عند شحمة أذنى ، ما رفعت يدي إلى أذنى ، فتناولته . اللهم خّر لعمر فى لقائك ، قال : فلم يلبث أياماً حتى مات .

سياق مكتوباته فى مرضه إلى يزيد بن عبد الملك :

قال : وعن قتادة أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى ولى العهد من بعده : بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر ، أمير المؤمنين ، إلى يزيد بن عبد الملك . السلام عليكم !

فإنى أحمد اليك الله الذى لا إله إلا هو .

أما بعد ، فإنى كتبت إليك ، وأنا دنف^(١) من وجعى . وقد علمت أنى مسؤول عما وليت يحاسبنى عليه فى الدنيا والآخرة . ولست أستطيع أن أخفى عليه من عملى شيئاً : يقول تعالى فيما يقول : ﴿ فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ﴾^(٢) . فإن يرض عنى الرحيم ، فقد أفلحت ونجوت من الهوان الطويل ، وأن سخط على ، فيا ويح نفسى إلى ما أصير ، أسأل الله الذى لا إله إلا هو ، أن يجيرنى من النار برحمته ، فإنك لن تبقى بعدى إلا قليلاً حتى تلحق باللطيف الخبير . والسلام .

(١) دنف : أشفى على الموت . (٢) سورة الأعراف آية ٧ .

قال : وعن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن عبد الملك في مرض عمر الذي توفي فيه - فذكر نحوه وقال - : وأنا مشفق مما وليت ، لا أدري على ما أطلع ، فإن يعف عني ، فهو العفو ، وإن يؤخذني بذنبي ، فيأويح نفسي إلى ما أصير ! .

قال : حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى يزيد بن عبد الملك : إياك أن تدركك الصرعة عند العزة ، فلا تقال العثرة ^(١) ولا تمكن من الرجعة يحمدك من خلفت بما تركت ، ولا يعذرك من تقدم عليه بما اشتغلت به ، والسلام .

قال : حدثنا محمد بن أبي عبيدة المهبلي قال : قرأت رسالة عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن عبد الملك :

سلام الله وبركاته عليك ! فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد .

فإن سليمان بن عبد الملك كان عبداً من عباد الله ، قبضه الله ، واستخلفني وباع لي من قبله ، وليزيد بن عبد الملك إن كان من بعدى ولو كان الذي أنا فيه لاتخاذ أزواج ، أو اعتقاد أموال ، كان الله قد بلغ بي أحسن ما بلغ بأحد من خلقه ، ولكنني أخاف حساباً شديداً ، ومسألة لطيفة ، إلا ما أعان الله عليه ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

رجلان عظيمان :

قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثني غير واحد ، أن عمر بن عبد العزيز قال : لو كان إلى أن أعهد ، ما عدوت أحد رجلين : صاحب الأوص - يريد إسماعيل بن عمرو - أو أعمش بنى تميم يريد القاسم بن محمد .

قال الشيخ الإمام المصنف : إسماعيل ، هو ابن عمرو بن سعيد بن العاص ، وكان يسكن الأوص في شرقي المدينة على بضعة عشر ميلاً ، وكان له فضل كبير .

سياق ما جرى له مع أولاده عند الموت :

قال : حدثنا سفيان قال سألت عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز : ما آخر ما تكلم به

(١) تقال العثرة : يصفح عنه .

أبوك عند موته ؟ قال : كان له من الولد عبد العزيز وعاصم وإبراهيم ، قال عبد العزيز : وكنا أغلبية ، فجئنا إليه كالمسلمين عليه والمودعين له ، وكان الذى ولى ذلك منه مولى له فقيل له : تركت ولدك هؤلاء وليس لهم مال ، ولم تولهم إلى أحد ، قال : ما كنت لأعطيهم شيئاً ليس لهم ، وما كنت لأخذ منهم حقاً لهم ، أولى فيهم الذى يتولى الصالحين إنما هؤلاء أحد رجلين رجل أطاع الله ، ورجل ترك أمر الله وضيعه .

قال : حدثنا عمار بن أبى حفصة أن مسلمة بن عبد الملك دخل على عمر بن عبد العزيز فى مرضه ، الذى مات فيه ، فقال : من توصى بأهلك ؟ - وهو يرى أن يستوصيه - فقال : إذا نسيت فذكرنى ، قال : فعاد فقال : من توصى بأهلك ؟ فقال : إن ولى الله الذى نزل الكتاب ، وهو يتولى الصالحين ، .

هلا غير ذلك يا مسلمة ؟

قال : وعن مسلمة بن محارب قال : دخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز فى مرضه ، فقال : يا أمير المؤمنين ! ألا توصى ؟ قال : وهل لك فأوصى فيها ، قال فهلا غير ذلك يا مسلمة ؟ قال : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : تردها من حيث أخذتها ! قال : فبكى مسلمة ، وقال : رحمك الله ، لقد لينت منا قلوباً كانت قاسية ، وزرعت فى قلوب الناس لنا مودة ، وأبقيت لنا فى الصالحين ذكراً . قال مسلمة : يا أمير المؤمنين ! أوص بينيك فقال عمر : أوصى بهم الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ، ثم نظر إلى ولده فقال : بنفسى فتية أقفرت أفواههم من هذا المال . فسمعوا قائلاً من ناحية البيت يقول : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾ .^(١)

ما منعهم حقاً ، لهم ولم أعطهم ما ليس لهم :

قال : حدثنا هاشم قال : لما كانت الصرعة التى هلك فيها عمر ، دخل عليه مسلمة بن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ! إنك أقفرت أفواه ولدك من هذا المال ، فتركتهم عيلة لا شئ لهم ، فلو أوصيت بهم إلى وإلى نظرائى من أهل بيتك ، قال : فقال : أسندونى ثم قال : أما

(١) سورة القصص آية : ٨٣ .

قولك لاني أقفرت أفواه ولدي من هذا المال ، فوالله لاني ما منعتهم حقاً هو لهم ، ولم أعطهم ما ليس لهم . وأما قولك : لو أوصيت بهم إلى وإلى نظرائي من أهل بيتك ، فإن وصيتي ، ووليتي فيهم ، الله الذي نزل الكتاب ، وهو يتولى الصالحين . بنى أحد رجلين : إما رجل يتقى الله ، فسيجعل الله له مخرجاً ، وإما رجل مكبّ على المعاصي ، فإنني لم أكن أقوى على معصية الله . ثم بعث إليهم - وهم بضعة عشر ذكراً - .

قال : فنظر إليهم فذرفت عيناه فبكى ، ثم قال : بنفسى الفتية التي تركتهم عيلة لا شيء لهم ، فإنني بحمد الله قد تركتهم بخير أي بنى إنكم لن تلقوا أحداً من العرب ولا من المعاهدين إلا أن لكم عليهم حقاً ، أي بنى ! إن أباكم ميل بين أمرين : بين أن تحتاجوا ويدخل الجنة أحب إليه من أن تستغنوا ويدخل النار . قوموا عصمكم الله .

• سياق وصيته إلى من يغسله ويكفنه :

قال : وعن رجاء بن حيوة قال : قال لي عمر بن عبد العزيز ، في مرضه : كن فيمن يغسلني ويكفني ويدخل قبري ، فإذا وضعوني في لحدي فحل العقدة ثم انظر في وجهي فإنني قد دفنت ثلاثة من الخلفاء كلهم إذا أنا وضعت في لحده حللت العقدة ، ثم نظرت إلى وجهه ، فإذا وجهه مسود في غير القبلة .

قال رجاء : فكنت فيمن غسله وكفنه ، ودخل في قبره فلما حللت العقدة ، نظرت إلى وجهه فإذا وجهه كالقراطيس في القبلة .

كيف وجدوه بعد استقراره في القبر :

قال : حدثنا رافع بن حفص المدني أن عمر بن عبد العزيز ، لما حضرته الوفاة ، قال لرجاء بن حيوة : يا رجاء ! إذا أنا مت وغسلتموني وكفنتموني ، وصليتم على وأدخلتموني لحدي ، فاجذب اللبنة من عند رأسي فإن رأيت وجهي إلى القبلة فاحمدوا الله وأثنوا عليه ، وإن رأيت قد زويت عنها ، فاخرج إلى المسلمين ما داموا عند لحدي حتى يستوهبوني من ربي قال : فلما وضع في لحده وقبل باللبن على وجهه ، جذبت اللبنة من عند رأسه ، فإذا وجهه إلى القبلة فحمد الله وأثنى عليه .

قال : حدثنا المفضل بن أبي يونس قال : قال عمر بن عبد العزيز لمسلمة بن عبد الملك يا مسلمة ؟ من دفن أباك ؟ قال : مولاي فلان ، قال : فمن دفن الوليد ؟ قال : مولاي فلان قال : وأنا أحدثك ما حدثني به حدثني أنه لما دفن أباك والوليد ، فوضعهم في قبورهم ، ذهب ليحل العقدة عنهم ، فوجد وجوههم قد حولت في أقفيتهم ، فانظر يا مسلمة ، إذا أنا مت فدفنتني ، فالتمس وجهي ، فانظر هل نزل بي ما نزل بالقوم ، أم هل عوفيت من ذلك . قال مسلمة : فلما مات عمر ، وضعته في قبره ثم لمست وجهه فإذا هو مكانه .

قال : وعن عمرو بن قيس قال : قالوا لعمر بن عبد العزيز ، حين حضره الموت : اعهدي يا أمير المؤمنين ! قال : أحذركم مصرعي هذا فإنه لا بد لكم منه ، وإذا وضعتوني في قبري ، فانزعوا عني لبنة ، ثم انظروا ما لحقني من دنياكم هذه .

قال : وعن عاصم قال : شهدت عمر بن عبد العزيز قال لأمة له : أراك ستلين حنوطي فلا تجعل علي فيه مسكاً .

قال : حدثنا حصين ، أن عمر بن عبد العزيز نهى أن يبنى على القبر بآجر ، وأوصى بذلك .

سياق ما روى في تخيره موضع قبره :

قال : حدثنا حنظلة بن عبد العزيز ، عن ربيع بن سبرة ، عن أبيه ، عن ابن لعمر بن عبد العزيز ، « أن عمر بن عبد العزيز » قال ، حين اشتكى شكواه التي هلك فيها : اشتروا من الراهب موضع قبري ، فاشتري منه موضع قبره بستة دنانير .

قال : وعن محمد بن قيس قال : اشتكى عمر بن عبد العزيز لغرة هلال رجب سنة إحدى ومائة ، فكان عليه عشرين يوماً ، فأرسل إلى نصراني ، فساومه بموضع قبره فقال له النصراني والله يا أمير المؤمنين ! إنني لأتبرك بقربك وبجوارك ، فقد أحللتك ، فأبى ذلك عمر إلا أن يبيعه فباعه إياه بثلاثين ديناراً ، ثم دعا بالدنانير فوضعها في يده .

قال : حدثنا أبو أمية ، غلام عمر بن عبد العزيز ، قال : بعثني عمر بدنانير إلى أهل

الدير ، فقال : إن بعثوني موضع قبري ، وإلا تحولت عنكم ، فأتيتهم فقالوا : لولا أنا نكره أن يتحول عنا ما قبلناه .

قال : حدثنا محمد بن سعد قال : قال محمد بن قيس : أرسل عمر بن عبد العزيز إلى ذمي فساومه في موضع قبره ، فقال الذمي : يا أمير المؤمنين ! والله إنها لخيرة أن يكون قبرك في أرضي ، قد أحللتك ، فأبى عمر حتى ابتاعه بدينارين ، ثم دعا بالدينارين فدفعهما إليه .

قال : وقال إبراهيم بن ميسرة ، اشترى موضع قبره بعشرة دنانير .
قال ابن سعد ، قال معاوية بن صالح : لما احتضر عمر قال : احفروا لي ، ولا تعمقوا ، فإن خيرها أعلاها ، وشرها أسفلها .

تواضعه عن أن يدفن في الروضة النبوية :

قال : حدثنا أيوب قال : نبئت أن عمر ذكر له ذلك الموضع الرابع الذي فيه قبر النبي ﷺ ، فعرضوا له به ، فقالوا : لو دنوت من المدينة ؟ فقال : لأن يعذبني الله بكل عذاب إلا النار ، أحب إلي من أن يعلم الله أني أراني لذلك أهلاً .

قال : وعن أيوب قال : لعمر بن عبد العزيز : لو أتيت المدينة ، فإن قضى الله موتاً دفنت في موضع القبر الرابع ، مع رسول الله وأبي بكر وعمر ، قال : والله لأن يعذبني الله بكل عذاب - إلا النار ، فإني لا صبر لي عليها - أحب إلي من أن يعلم الله من قلبي أني أراني لذلك أهلاً .

قال : وعن أيوب أنه قيل لعمر بن عبد العزيز لما مرض : إن في البيت موضع قبر ، فإن أتيت المدينة فحدث بك حدث دفنت ، فقال : ما يسرنى ولو عذبني الله بكل عذاب أن يعلم الله من قلبي أني أرى نفسي أهلاً لذلك .

سياق كراهيته تهوين الموت عليه :

قال : وعن الأوزاعي قال ، قال عمر بن عبد العزيز : ما أحب أن تخفف عني سكرات الموت ، لأنه آخر ما يرفع المؤمنين - أو قال للمؤمنين - .

• قال : وعن الأوزاعي ، عن عمر بن عبد العزيز . قال : ما أحب أن تهون على سكرات الموت ، إنه آخر ما يكفر به عن المرء المسلم .

قال : وعن الأوزاعي قال ، عمر بن عبد العزيز : ما أحب أن تخفف عني الموت ، لأنه آخر ما يؤجر عليه المسلم .

قال : وعن الأوزاعي قال : قال عمر بن عبد العزيز : اللهم لا تهون على سكرات الموت .

سياق ما جرى له حال احتضاره :

قال : حدثني المغيرة بن حكيم قال : قالت لي فاطمة بنت عبد الملك : كنت أسمع عمر ، رحمه الله ، في مرضه الذي مات فيه يقول : اللهم اخف عليهم موتى ولو ساعة واحدة من نهار ، قالت : فقلت له يوماً : يا أمير المؤمنين ! ألا أخرج عنك عسى أن تغفى شيئاً ، فإنك لم تنم ، قالت : فخرجت عنه إلى بيت غير البيت الذي هو فيه ، قالت : فجعلت أسمعه يقول : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾ ^(١) يرددها مراراً ، ثم أطرق ، فلبث طويلاً لا أسمع له حساً ، فقلت لوصيف له يخدمه : ويحك أنظر ؛ فلما دخل صاح ، فدخلت عليه ، فوجدته ميتاً قد أقبل بوجهه على القبلة ، ووضع إحدى يديه على فيه ، والأخرى على عينيه . رحمه الله .

قال : حدثنا جرير بن حازم قال : سمعت المغيرة بن حكيم قال : حدثتني فاطمة بنت عبد الملك قالت : كنت أسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول : اللهم اخف عليهم موتى ولو ساعة من نهار . فلما كان اليوم الذي قبض فيه ، خرجت فجلست في بيت آخر بينى وبينه باب وهو في قبة له ، فسمعتة يقول : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾ ^(١) ثم هدأ ، فجعلت لا أسمع له حساً ولا كلاماً ، فقلت للوصيف الذي يخدمه : انظر أمير المؤمنين !! فلما دخل عليه صاح فوثبت ، فدخلت عليه ، فإذا هو ميت ، قد استقبل القبلة ، وأغمض نفسه ووضع

(١) سورة القصص آية : ٨٣ .

إحدى يديه على عينيه ، والأخرى على فيه .

قال : وعن عبيدة بن حسان قال : لما احتضر عمر بن عبد العزيز قال : اخرجوا عني ، فلا يبقى عندي أحد ، قال : وكان عنده مسلمة بن عبد الملك ، قال : فخرجوا ، فقعد على الباب هو وفاطمة ، قال : فسمعه يقول : مرحباً بهذه الوجوه ، ليست بوجوه إنس ولا جان ، قال : ثم قال : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾ ^(١) قال : ثم هدأ الصوت . فقال مسلمة لفاطمة : قد قبض صاحبك ، فدخلوا ، فوجدوه قد قبض وغمض وسوى .

قال : حدثني ليث ، عن أبي رقية عن عمر أنه لما كان مرضه الذي قبض فيه قال : أجلسوني فأجلسوه ، ثم قال : أنا الذي أمرتني فقصرت ، ونهيتني فعصيت ، ولكن لا إله إلا الله . ثم رفع رأسه ، وأحد النظر ، فقالوا : إنك تنتظر نظراً شديداً . فقال : إني لأرى حضرة ما هم بإنس ولا جن . ثم قبض .

الجزء الحادي عشر :

الباب الأربعون

في ذكر تاريخ موته ، ومبلغ سنه ، وموضع دفنه ، رحمه الله

قال : وعن علي بن زيد قال : سمعت عمر يقول : لقد تمت حجة الله على ابن الأربعين ، فمات لها عمر بن عبد العزيز . قال : حدثنا الفضل بن دكين قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : كان عمر بن عبد العزيز ابن أربعين سنة . قال : حدثني عمرو بن عثمان قال : مات عمر بن عبد العزيز لعشر ليال بقين من رجب سنة إحدى ومائة . وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر ، ومات بدير سليمان قال الهيثم بن واقد : توفي عمر بخنصرة ، يوم الأربعاء ، لخمس ليالي بقين من رجب سنة إحدى ومائة ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام ، ومات وهو ابن تسع وثلاثين وأشهر . ودفن بدير سمعان .

(١) سورة القصص ، الآية : ٨٣

قال ابن أبي الزناد :توفى وهو ابن تسع وثلاثين وخمسة أشهر . قال : وعن سفيان بن عاصم قال :توفى عمر بن عبد العزيز لخمس ليالى مضين من رجب سنة إحدى ومائة ؛ وهو يومئذ ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر ، ودفن بدير سمعان ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام ، وصلى عليه مسلمة بن عبد الملك . قاله القرشى .

قال : حدثنا سفيان بن عيينة قال : قلت لعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز : كم كان أتى على أبيك ؟ قال : ما بلغ أربعين .

قال : حدثنا سفيان قال : قلت لعبد العزيز بن عمر : كم بلغ سنون أبيك ؟ قال : بلغ بلغ أربعين فاختيل . قال : وحدثنا معمر قال : مات عمر بن عبد العزيز على رأس خمس وأربعين سنة . قال : حدثنا أبو منصور بن عبد العزيز العكبرى قال : مات عمر بن عبد العزيز ، بدير سمعان من أرض حمص ، لأربع بقين من رجب ، سنة إحدى ومائة ، وصلى عليه يزيد بن عبد الملك ، وكانت مدة خلافته سنتين وخمسة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً . قال : وعن يوسف بن ماهك قال : بينا نحن نسوى التراب على قبر عمر بن عبد العزيز إذ سقط علينا رق من السماء فيه كتاب : بسم الله الرحمن الرحيم . أمان من الله لعمر ابن عبد العزيز من النار .

الباب الحادى والأربعون

فى ذكر ما ورد أن السماء والأرض بكثا عليه

قال : وعن خالد الربعى قال : مكتوب فى التوراة أن السماء تبكى على عمر بن عبد العزيز أربعين صباحاً .

قال : وعن خالد الربعى قال : قرأت فى التوراة أن السماء والأرض تبكى على عمر ابن عبد العزيز أربعين سنة .

الباب الثاني والأربعون

فى ذكر تأبين الناس له بعد موته وحزنهم عليه

تأبين مسلمة :

قال : حدثنا إسماعيل الأموى قال : نظر مسلمة بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز مسجى ، قال : يرحمك الله ، لقد لينت لنا قلوباً قاسية ، وأبقيت لنا فى الصالحين ذكراً .

تأبين الحسن البصرى له :

قال : حدثنا هاشم بن القاسم قال : سمعت شيخاً من أهل البصرة قال : لما أتى الحسن موتُ عمر بن عبد العزيز ، قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، يا صاحب كل خير .

وقول زوجته عنه :

قال : وعن وهيب بن الورد ، قال : بلغنا أن عمر بن عبد العزيز ، لما توفى ، جاء الفقهاء إلى زوجته يعزونها ، فقالوا لها : جئناك لتعزيك بعمر ، فقد عمّت مصيبتة الأمة ، فأخبرنا ، يرحمك الله ، عن عمر : كيف كانت حاله فى بيته ، فإن أعلم الناس بالرجل أهله . فقالت : والله ما كان عمر بأكثر صلاة ولا صياماً ، ولكنى والله ، ما رأيت عبداً لله قط كان أشد خوفاً لله من عمر ، والله إن كان ليكون فى المكان الذى ينتهى إليه سرور الرجل بأهله ، بينى وبينه لحاف ، فيخطر على قلبه الشئ من أمر الله ، فينتفض كما ينتفض طائر وقع فى الماء ، ثم ينشج ، ثم يرتفع بكأوه حتى أقول : والله لتخرجن نفسه ، فأطرح اللحاف عني وعنه ، رحمة له وأنا أقول : يا ليتنا كان بيننا وبين هذه الإمارة بعد المشرقين ، فوالله ما رأينا سروراً منذ دخلنا فيها .

تأبين عبد الملك بن عمير له :

قال : حدثنا عبد الرحمن ، عن عمه ، قال : قال عبد الملك بن عمير لما مات عمر بن عبد العزيز : يرحمك الله ، يا أمير المؤمنين ! إن كنت لغضيض الطرف ، أمين الفرج جواداً

بالحق ، بخيلاً بالباطل ، تغضب في حين الغضب ، وترضى في حين الرضى ، وما كنت مزاحاً ولا عيباً ولا بهاتاً ولا مُغتتاباً .

كلمة ملك الروم :

قال : حدثني محمد بن معبد أن عمر بن عبد العزيز أرسل بأسارى من أسارى الروم ، ففادى بهم أسارى من أسارى المسلمين ، قال : فدخلت على ملك الروم يوماً ، فإذا هو جالس على الأرض ، مكتئباً حزيناً ، فقلت : ما شأن الملك ؟ فقال : وما ترى ما حدث ؟ قلت : ما حدث ؟ قال : مات الرجل الصالح ، قلت : من ؟ قال : عمر بن عبد العزيز ، ثم قال ملك الروم : لأحسب أنه لو كان يحيى الموتى بعد عيسى ابن مريم ، لأحياهم عمر بن عبد العزيز . ثم قال : إني لست أعجب من الراهب إن أغلق بابه ورفض الدنيا ، وترهب وتعب ، ولكن أعجب ممن كانت الدنيا تحت قدميه ، فرفضها وترهب .

كلمة بعض الرهبان في عمر :

قال : وعن مجاهد أنه شهد وفاة عمر بن عبد العزيز ، فمر بعبادى أو نبطى وهو يثير على ثورين له ، فقام حين مررت به فقال : من أين أقبلت ؟ أشهدت وفاة هذا الرجل ؟ فقلت له : نعم . فذرفت عيناه ، وترحم عليه ، فقلت له : لم تترحم عليه وليس هو على دينك ؟ فقال : إني لا أبكى عليه ، ولكن أبكى على نور كان في الأرض فطفئ .

قال : وعن الأوزاعى قال : شهدت جنازة عمر بن عبد العزيز ، ثم خرجت أريد مدينة قنسرين ، فمررت على راهب فقال : يا هذا أحسبك شهدت وفاة هذا الرجل . قال : فقلت له : نعم . فأرخى عينيه فبكى سجماً ، فقلت له : ما يبكيك ولست من أهل دينه ؟ فقال : إني لست أبكى عليه ، ولكن أبكى على نور كان في الأرض فطفئ .

قال : حدثنا عبد الله بن وهب قال : سمعت مالك بن أنس يحدث أن صالح بن علي حين قدم الشام سأل عن قبر عمر بن عبد العزيز ، فلم يجد أحداً يخبره ، حتى دل على راهب ، فأتى فسأل عنه ، فقال : أقبر الصديق تريدون ؟ هو في تلك المزرعة ! .

الباب الثالث والأربعون

في ذكر المنتخب من مدائحه ومراثيه بالشعر

قصيدة كثير في مدح عمر :

قال أبو الفرج بن الجوزي : قد كانت الشعراء تمدحه في إمارته فلما ولي الخلافة لم يؤثر ذلك ، فرمما أنشدوه وهو كاره ، وقد ذكرنا قصة الشعراء معه في باب ورعه . ومن كان يمدحه كثير بن عبد الرحمن الخزاعي ، فمن ذلك قوله :

تكلمت بالحق المبين ، وإنما	تبين آيات الهدى بالتكلم
وقلت فصدقت الذي قلت والذي	فعلت ، فأمسي راضياً كل مسلم
وأظهرت نور الحق فاشتد ضوءه	على كل لبس فسارق الحق مظلم
وغمقت فيما قد تقدمت قبله	وأعرضت عما كان قبل التقدم
وليت فلم تشتم علياً ولم تخف	بريئاً ولم تتبع سجية مجرم
وقد لبست لبس الملوك ثيابها	ترأى لك الدنيا بكف ومعصم
وتومض أحياناً بعين مريضة	وتبسم عن مثل الجمان المنظم
فأعرضت عنها مشمئزاً كأنما	سقتك مدوفاً من سمّام وعلقم
وقد كنت من أجبالها في منع	ومن بحرهما في زاخر المروج مفعم

قال : وعن « خالد بن يزيد بن » جعونة قال : كان لا يقوم أحد من بنى أمية إلا سب علياً ، ورضي الله عنه ، فلم يسبه عمر بن عبد العزيز ، فقال كثير عزة :

وليت فلم تشتم علياً . ولم تخف	بريئاً ، ولم تتبع سجية مجرم
وقلت فصدقت الذي قلت والذي	فعلت ، فأضحى راضياً كل مسلم

قال أبو الفرج رحمه الله : وفي هذا المعنى يقول الشريف الرضى رحمه الله :

أنت نزهتنا عن السب والشتم فلو يمكن الجزاء جزيتك

قال : حدثنا عبد الله بن المبارك قال : قال كثير بن عبد الرحمن الخزاعي في عمر بن

عبد العزيز :

هو المرء لا يبدى الأسى فى مصيبة ولا فرحاً يوماً إذا النفس سرت
قليل الألياء حافظ ليمينه وإن بدرت منه الأليسة برت

شعر جرير فى عمر :

قال الشيخ رحمه الله : وقد ذكرنا فى باب ورعه أبياتاً مدحه بها جرير ، ومن قوله فيه :

إليك رحلت يا عمر بن ليلى ! على ثقة وأنت على اعتماد
تعود صالح الأعمال ، إني رأيت المرء يلزم ما استعاد
إلى الفاروق تنسب ، يا بن ليلى ! ومروان الذى رفع العماد
فما كعب بن مامة ، وابن سعدى بأكرم منك يا عمر الجواد !

قال الشيخ رحمه الله : كعب بن مامة هو الأيادى ، وابن سعدى أوس بن حارثة بن

سلام الطائي :

هنيئاً للمدينة إذ أهلت بأهل الملك أبدى ثم عادا
يعود الملك منك على قریش وتفرج عنهم الكرب الشدادا
وقد لينت وحشتهم برفق ويغنى الناس وحشك أن يصادا
وتبنى المجد ، يا عمر ابن ليلى وتكفى المحل السنة الجمادا
وتدعو الله مجتهداً ليرضى وتذكر فى رعيته المعادا
ونعم أخو الحروب إذا تردى على الزحف المضاعفة النجادا
وأنت أبو الخضارم من قریش هم نصروا النبوة والجهادا
وقادوا المؤمنين ولم تعود غداة الروع خيلهم القيادا
إذا فاضلت مدك من قریش بحور عم زاخرها الثمادا

(١) جمع ألية بالتشديد وهى اليمين .

قوله « الزحف » الدرع الصغيرة الخلق . « والنجاد » : حمائل السيف وقال أيضاً :

إن الذى بعث النبى محمداً	جعل الخلافة فى الإمام العادل
ولقد نفعت بما منعت تحرجاً	مكس العشور على جسور الساحل
قد نال عدلك من أقام بأرضنا	فإليك حاجة كل وفد راحل
إنى لآمل منك خيراً عاجلاً	والنفس مولعة بحب العاجل
والله أنزل فى الكتاب فريضة	لابن السبيل وللفقير العائل

رثاء جرير فى عمر :

فلما توفى عمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنه ، رثاه الشعراء فقال جرير ، فيما أخبرنا به محمد بن عبد الباقي ، عن جعونة قال : قال جرير حين مات عمر بن عبد العزيز :

تنعى النعاة أمير المؤمنين لنا	يا خير من حج بيت الله واعتمرا
حملت أمراً عظيماً فاضطلعت به	وسرت فيه بحكم الله يا عمرا
الشمس طالعة ليست بكاسفة	تبكى عليك ، نجوم الليل والقمر

قال ابن حبيب : تبكى عليك الدهر قال كاسفة نجوم الليل والقمر وهذا بعيد .

رثاء الفرزدق فى عمر :

قال أبو بكر بن عياش : قال الفرزدق ، لما مات عمر بن عبد العزيز :

كم من شريعة حق قد شرعت لهم	كانت أميتت وأخرى منك تنتظر
يا لهف نفسى ولهف اللاهفين معى	على العدول التى تغتالها الحفر

رثاء محارب فى عمر

قال : حدثنا عمرو بن صالح الزهرى قال : حدثنى الثقة قال : لما بلغ بن دثار موت عمر ابن عبد العزيز ، دعا بكاتبه فقال : اكتب ، فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال : امحه ، فإن الشعر لا يكتب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال :

لو أعظم الموت خلقاً أن يواقعـه
كم من شريعة حق قد نعشت لهم
يا لهف نفسى ولهف الواجدين معى
ثلاثة ما رأت عيني لهم شبيهاً
وأنت تتبعهم لم تأل مجتهداً
لو كنت أملك والأقدار غالبـة
صرفت عن عمر الخيرات مصرعه

لعدله ، لم يصبك الموت ياعمر !
كسادت قموت وأخرى منك تنتظر
على العدول التى تغتالها الحفر
تضم أعظمهم فى المسجد الحفر
سعيداً ، لهم سنن بالحق تفتقر
تأتى رواحاً وتبياناً وتبتكر
بدير سمعان لكن يغلب القدر

مرات أخرى :

قال : حدثنا حنظلة بن عبد العزيز بن ربيع بن سبرة ، عن أبيه ، عن ابن لعمر بن عبد
العزيز قال : قال الشاعر يذكر عمر :

قد غادر القوم فياللحد الذى لحدوا
أقول لما نعى الناعون لى عمراً
بدير سمعان ، جيران الموازين
لا يبعدان قضاء العدل والدين

قال : حدثنا حرملة بن عبد العزيز قال : حدثنى أبى عن ابن لعمر بن عبد العزيز
قال : أمرنا أن نشترى موضع قبره ، فاشتراه من الراهب ، قال : فقال الشاعر :

أقول لما نعى الناعون لى عمراً
قد غادر القوم فى اللحد الذى لحدوا
لا تبعدن قضاء العدل والدين
بدير سمعان جيران الموازين
قال : وعن نافع بن أبى نعيم قال : رثى رجل من موالى أهل المدينة عمر بن عبد العزيز
فقال :

قد غيب الدافنون اللحد إذ دفنوا
من لم يكن له عيناً يفجرها
بدير سمعان ، حرثان الموازين
ولا النخيل ، ولا ركض البراذين

قال : حدثنا مسبح بن حاتم قال : أنشدنا ابن عائشة يرثى عمر بن عبد العزيز فقال :

أقول لما نعى الناعون لى عمراً
لم تلهه عمره عين يفجرها
لا يبعدن قوام الحق والدين
ولا النخيل ، ولا ركض البراذين
قد غيب اليوم إذ غمسوا
بدير سمعان ، قسطاس الموازين

الباب الرابع والأربعون

فى ذكر تركته التى خلف

قال : وعن سليمان - يعنى بن داود - أن عمر بن عبد العزيز قال لبنيه : لا تتهموا الخازن فىئنى لا أدع إلا أحداً وعشرين ديناراً ، فيها لأهل الدير أجر مساكنهم ، وثمان حقلة كانت له فيه ، وموضع قبره ، رحمه الله تعالى .

وعن عمر بن حفص المعيطى قال : حدثنا عمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنه ، قال : قلت : كم ترك لكم من المال ؟ فتبسم وقال : حدثنى مولى لنا كان يتولى نفقته ، قال : قال لى عمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنه حين احتضر : كم عندك من المال ؟ قلت : أربعة عشر ديناراً قال : فقال : تحتملون بها من منزل إلى منزل ، فقلت : كم ترك لكم من الغلة ؟ قال : ترك لنا غلة ستمائة دينار ورثناها عنه ، عن اختيار ، عبد الملك . وتركنا اثنى عشر ذكراً وست نسوة ، فقسمنها على خمس عشرة .

قال : الشيخ المصنف رحمه الله : وبلغنى أن المنصور قال لعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، رضى الله عنه : عظمى قال : بما رأيت أو بما سمعت ؟ قال : بما رأيت . قال : مات عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله ، وخلف أحد عشر ابنأ وبلغت تركته سبعة عشر ديناراً ، كفن بخمسة دنانير ، واشترى له موضع قبره بدینارين « وقسم الباقي على بنیه » وأصاب كل واحد من ولده « تسعة عشر درهماً » مات هشام « بن عبد الملك ، وخلف أحد عشر ابنأ » « فقسمت تركته » وأصاب كل واحد من تركته ألف ألف ، ورأيت رجلاً من ولد عمر بن عبد العزيز ، قد حمل فى يوم واحد على مائة فرس فى سبيل الله ، عز وجل ، ورأيت رجلاً من ولد هشام يتصدق عليه والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين إلى يوم الدين .

وحسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ، ونعم النصير

تم الكتاب بعون الله تعالى

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	رب يسر إتمامه
٨	الباب الأول :
٨	فى ذكر مولده
٨	الباب الثانى
٨	فى ذكر نسبه
٨	خبر جده عمر لأمه
٩	البشائر بصلاح عمر وعدله
١٠	الباب الثالث
١٠	فى ذكر طلبه للعلم وسؤاله العلماء واستشارته إياهم
١٠	سماع عمر من عبيد الله
١١	نشأة عمر بن عبد العزيز
١٢	نحول جسم عمر بعد الخلافة
١٢	طلبه النصيح من العلماء
١٤	الباب الرابع :
١٤	فى ذكر طرف مما أسند من الحديث عن رسول الله ﷺ
١٤	روايته عن انس
١٤	روايته عن ابن عمر
١٥	روايته عن ابن جعفر
١٥	روايته عن ابن أبى سلمة
١٥	روايته عن السائب

الصفحة	الموضوع
١٦	روايته عن ابن سلام
١٦	إرساله الحديث
١٧	فصل : قصته مع مولى على
١٨	فصل : روايته عن جماعة من كبار التابعين
١٩	الأعيان الباقية عند المفلس
١٩	حديث خديجة بشأن جبريل
٢٠	روايته عن سالم بن عبد الله بن عمر
٢٠	روايته عن ابن عبد الرحمن
٢١	روايته عن عروة
٢١	روايته عن عبيد الله بن عتبة ، وخارجة بن زيد بن ثابت
٢٢	روايته عن عامر بن سعد بن أبي وقاص
٢٢	روايته عن أبي بردة
٢٣	روايته عن الربيع بن أبي سبرة
٢٤	روايته عن عراك بن مالك
٢٤	روايته عن أبيه
٢٤	روايته عن الزهري
٢٥	روايته عن محمد بن كعب
٢٥	صفات شرار الناس
٢٦	سماعه من أبي سلام
٢٦	روايته عن أبي حازم وغيره
٢٧	الباب الخامس :
٢٧	في ذكر غزارة علمه وفصاحته وثناء الناس عليه
٢٧	صلاته أشبه بصلاة رسول الله ﷺ
٢٧	علمه وفصاحته

الموضوع	الصفحة
كلامه لما خطبت إليه أخته	٢٨
زيارة مكحول لقبر عمر	٢٩
الباب السادس :	٣٠
في ذكر ما يروى من شهادة رسول الله ﷺ له خير أهل زمانه	٣٠
حكاية الهاتف من الجن	٣٠
الجزء الثاني :	٣٢
الباب السابع :	٣٢
في ذكر ولايته قبل الخلافة	٣٢
شروط عمر لقبوله ولاية المدينة	٣٢
ندم عمر على ضرب خبيب	٣٣
أطوار خبيب وكيفية ضربه	٣٣
موت خبيب وحزن عمر عليه	٣٤
الباب الثاني	٣٥
في ذكر إقدامه على قول الحق عند الخلفاء قبله	٣٥
كتاب عمر إلى عبد الملك	٣٥
براءة عمر من الكذب	٣٥
تأنيب عمر لولى عهد سليمان	٣٧
تهكم عمر على سليمان	٣٧
إغراق عمر في الأخذ بمبدأ المساواة	٣٧
حسن نظر عمر في توليه عماله	٣٨
وعظ عمر لسليمان بن عبد الملك في عقبة عسفان	٣٩
ما قاله عمر لسليمان لما أفرغه الرعد	٤٠
الباب التاسع :	٤١
في ذكر بشارة الخضر له بأنه سيلي الخلافة	٤١

الموضوع	الصفحة
الباب العاشر	٤٢
في ذكر الهاتف بخلافته	٤٢
الباب الحادى عشر	٤٣
فيما يروى أنه مذكور فى الكتب الأول	٤٣
عمر بن عبد العزيز فى الإسرائيليات	٤٣
الباب الثانى عشر	٤٤
فى ذكر خلافته	٤٤
حمى دابق التى مات بها سليمان	٤٤
كيف عهد سليمان إلى عمر	٤٥
عهد سليمان إلى عمر	٤٥
حديث عمر وهشام مع رجاء	٤٦
أثر رجاء فى استخلاف عمر	٤٧
تواضع عمر وسلوكه عقب استخلافه	٤٧
عود إلى أخبار استخلاف عمر	٤٨
اهتمام عمر بما لأفراد الأمة على الخليفة من حقوق	٤٩
خطبته عقب استخلافه	٥٠
ابن عمر يعظ عمر	٥١
إجلال الخوارج لعمر	٥١
سرور الناس باستخلاف عمر	٥٢
سباق الخيل فى دولة بنى أمية	٥٢
خطبة عمر	٥٣
زهد عمر فى التمتع	٥٤
حالة جسمه ولباسه وهو خليفة	٥٤
الباب الثالث عشر	٥٥

الموضوع	الصفحة
في ذكر أنه من الخلفاء الراشدين المهديين	٥٥
عمر إمام عادل	٥٦
عمر مرشد المائة الأولى والشافعي مرشد المائة الثانية	٥٦
بشارة أحمد بن حنبل لمن ينشر محاسن عمر	٥٧
عمر أمة وحده	٥٧
الباب الرابع عشر	٥٨
في ذكر خلافته	٥٨
حسن سياسة عمر للحرورية	٥٨
اجتماع بني مروان لاستعطاف عمر عليهم	٥٩
أدبه وسمه وما كان يشترط على أصحابه	٥٩
ما قاله للذي يدعو الله وهو يلعب	٦٠
ما كان يقرؤه في صلاة الجمعة	٦١
الباب الخامس عشر	٦١
في ذكر علو همته	٦١
نفس عمر تواقه إلى العلى	٦١
الباب السادس عشر	٦٢
في ذكر اعتقاده ومذهبه	٦٢
رأيه في القدرية	٦٢
كتابه إلى عماله بشأنهم	٦٣
رسائله إلى نفر كتبوا بالكذب بالقدر	٦٣
الباب السابع عشر	٦٥
في ذكر سيرته وعدله في رعيته	٦٥
ما كان يتناقله الناس عند استخلافه	٦٥
استدراجه الناس إلى الخير	٦٥

الصفحة	الموضوع
٦٦	اقتصاده في مال الأمة
٦٧	ما كتب في المحابس
٦٧	كتابه إلى أهل الموسم
٦٨	عدله بين الخصوم
٦٩	إرساله المرشدين ليفقهوا الناس في البادية
٦٩	الرجوع إلى الحق خير في التماذي في الباطل
٧١	الأكباد الجائعة أولى بالصدقات من البيت الحرام
٧١	منذ كم لعنتم فرعون ؟
٧٢	كتابه إلى الحرورية
٧٢	كتابه إلى يحيى بن يحيى
٧٣	رفق عمر بالحيوان
٧٤	ما كان مكتوباً على فلوس عمر بن عبد العزيز
٧٥	الباب الثامن عشر
٧٥	في ملاحظته لعماله ومكاتبته إياهم في القيام بالعدل
٧٥	جوابه على كتاب عمرو بن حزم
٧٦	كتاب أبي بكر بن حزم إلى عمر وجوابه عليه
٧٧	ترجيحه التحقيق العادل على التحقيق الصارم
٧٩	أنا حجييج المسلمين في أموالهم
٧٩	لا حاجة لي برجل صبغ يده بدماء المسلمين
٨٠	توزيع صدقات الأغنياء على الفقراء
٨١	نهيه عماله عن صنائع الحجاج
٨٢	ما أعجب عمر من الحجاج
٨٢	نهى عمر عن سب الظالم
٨٣	حصن مدينتك بالعدل

الموضوع	الصفحة
الجزء الرابع	٨٤
كتاب عمر إلى بعض الأجناد	٨٤
امتحانه الذين يريد توليتهم	٨٦
لا قليل من الإثم	٨٧
لا تجمع للمسلمين إلا الحلال الطيب	٨٧
أنت يا أمير المؤمنين الأم التي فرشت فأنامت	٨٨
كيف أصلحت الموصل	٨٩
كفى بالقدر حاجزاً وبالأجل حارساً	٩٠
قلة الخراج بكثرة الداخلين في الإسلام	٩١
تخويفه عماله من عقاب الله	٩٢
ثناؤه على الحسن البصري	٩٣
نهي عن النبذ	٩٣
خطأ الوالي في العفو خير من تعديه في العقوبة	٩٤
إن منزلتين أحسنهما الكذب لمنزلتا سوء	٩٥
الباب التاسع عشر	٩٥
في ذكر رده المظالم	٩٥
ابن عمر يعظ عمر	٩٦
إما أن تردى حليك إلى بيت المال وإما أن تأذني لي بفراقك	٩٧
بين الابن وأبيه	٩٨
ألا ترحمونه	٩٩
خبر (فدك) وتنازل عمر عنها	١٠٠
احترام الناس عمر بعد وفاته	١٠١
الباب العشرون	١٠٢
في ذكر نفور بني مروان من عدله وجوابه لهم	١٠٢

الموضوع	الصفحة
كتاب عمر بن الوليد في تأنيب عمر	١٠٢
جواب عمر بن عبد العزيز لعمر بن الوليد	١٠٢
كان إذا وقع في أمر مضى فيه	١٠٣
لولا أن تستعينوا عليّ بمن أطلب هذا الحق لأضرعت حدودكم	١٠٤
لأكسرن تلك السواقى حتى أجريه مجراه الأول	١٠٥
كل يوم أخافه دون يوم القيامة فلا وقانى الله شره	١٠٦
إنها نفسى أحاول عنها	١٠٧
أتأمرنى بالزنا ؟	١٠٨
ما كان أشده على بنى أمية	١٠٨
الجزء الخامس	١٠٩
الباب الحادى والعشرون .	١٠٩
في ذكر ما وعظ به	١٠٩
سياق مواعظ الحسن البصرى لعمر بن عبد العزيز رحمهما الله	١٠٩
الموعظة الأولى	١٠٩
ما هى الدنيا ؟	١٠٩
الموعظة الثانية	١١١
الموعظة الثالثة	١١٢
الموعظة الرابعة	١١٢
الزهد رأس الإصلاح	١١٢
الموعظة الخامسة	١١٢
لا بد من اقتحام العقبة ومن ورائها الجنة أو النار	١١٢
الموعظة السادسة	١١٣
خذ من فنائك الذى لا يبقى لبقائق الذى لا يفنى	١١٣
الموعظة السابعة	١١٣

الموضوع	الصفحة
موعظة طاوس لعمر بن عبد العزيز	١١٤
موعظة سالم بن عبد الله لعمر بن عبد العزيز	١١٤
رأيت أن أسير في الناس بسيرة عمر بن الخطاب	١١٤
موعظة سالم ومحمد بن كعب لعمر	١١٩
موعظة محمد بن كعب لعمر	١٢٠
افتح الأبواب وسهل الحجاب	١٢٠
موعظة أخرى لمحمد بن كعب لعمر	١٢١
موعظة أبي حازم لعمر	١٢١
موعظة القاسم بن مخيمرة لعمر	١٢٢
موعظة ابن الأَهمم لعمر	١٢٢
حال العرب قبل الإسلام وبعده	١٢٢
امض رحمتك الله ولا تلتفت	١٢٣
موعظه خالد بن صفوان لعمر	١٢٤
لأخافه مخافة ولأحبته محبة	١٢٤
موعظة زياد لعمر	١٢٥
ما أحد من أمة محمد إلا وهو خصم لك	١٢٥
موعظة سالم مولى محمد بن كعب لعمر	١٢٥
أخاف عليك أن لا تخاف	١٢٥
موعظة مزاحم لعمر	١٢٦
أحذرك ليلة تمخض بالقيامة	١٢٦
موعظة رجل لعمر	١٢٧
خاف العالم فلم ينطق ، وجهل الجاهل فلم يسأل	١٢٧
موعظة رجل آخر	١٢٧
ذكر ما وعظ به عمر بن عبد العزيز من الشعر	١٢٨

الموضوع	الصفحة
قصيدة سابق البربرى	١٢٨
من شعر سابق البربرى فى موعظة عمر	١٣٠
الباب الثانى والعشرون	١٣٢
فى ذكر لباسه وهيئته	١٣٢
أفضل القصد عند الجدة ، وأفضل العفو عند المقدرة	١٣٢
يكفى الرجل من الكلام قدر ما يسمع	١٣٢
كان نقش خاتم عمر (لكل عمل ثواب)	١٣٣
أنتظر ثيابى تغسل لأصعد بها المنبر	١٣٤
الباب الثالث والعشرون	١٣٥
فى ذكر زهده	١٣٦
تلك حال وهذا حال	١٣٦
أين عيشنا اليوم من عيشنا إذا كنا بمصر	١٣٦
يا بنى هذا طعام مولاك أمير المؤمنين	١٣٧
الجزء السادس	١٣٨
والله ما له قميص غيره	١٣٩
يا فاطمة عندك درهم اشترى به عنبا؟	١٣٩
أويس القرنى أزهد من عمر؟	١٤٠
أين وجدتك بى يا أمير المؤمنين	١٤١
الناس كلهم بخير غيرى وغيرك	١٤١
الباب الرابع والعشرون	١٤٢
فى ذكر كرمه	١٤٣
الباب الخامس والعشرون	١٤٣
فى ذكر ورعه رحمه الله	١٤٣
لئن عدت إلى مثلها لا تعمل لى عملا	١٤٣

الموضوع	الصفحة
أفسدت علينا عسلك	١٤٤
كانت الهدية للنبي هدية ولنا اليوم رشوة	١٤٥
رحمك الله والله إن كنت لأشتهيه	١٤٥
كلها يا بنى فإنك رزقتها ولم أرزقها	١٤٧
وهل ينتفع منه إلا بريحه ؟	١٤٧
احتاج أهل أمير المؤمنين إلى نفقة ولا أدرى من أين آخذها	١٤٨
يمنعنى فى كثير من الكلام مخافة المباهاة	١٤٩
لا حاجة لى بجرتك	١٤٩
خذها . فإن شئت فاحمد ، وإن شئت فذم	١٥٠
إن رسول الله امتدح وأعطى	١٥٢
رأى عمر بن عبد العزيز فى بعض الشعراء	١٥٣
دخول جرير عليه	١٥٤
الباب السادس والعشرون	١٥٦
فى ذكر تواضعه رحمه الله	١٥٦
قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ، وجلست وأنا عمر بن عبد العزيز	١٥٧
لا يدرى أيهم هو حتى يشار إليه	١٥٧
لو عرفت من نفسى ما أعرف منها ما نظرت فى وجهي	١٥٨
رحم الله امرأ عرف قدره	١٥٩
يا أبا قلابة تشدد ولا تشمت بنا المنافقين	١٥٩
الباب السابع والعشرون	١٦٠
فى ذكر حلمه وصفحه	١٦٠
إن التقى ملجم	١٦٠
إنما سألتنى : أمجنون أنت ؟ فقلت : لا .	١٦١
الباب الثامن والعشرون	١٦٢

الموضوع	الصفحة
فى ذكر تعبہ واجتهاده	١٦٢
كيف كان عمر يقضى ليله	١٦٢
قلما يدع يوماً يقرأ فى المصحف فلا يطيل	١٦٣
الجزء السابع	١٦٤
الباب التاسع والعشرون	١٦٤
فى ذكر بكائه وحزنه	١٦٤
كأن عليه بث هذه الأمة	١٦٤
ثم بكى حتى جعلت أرثى له	١٦٥
حدثوها أن الفرح أمامها	١٦٦
ما رأيته بعد ذلك متبسماً حتى مات	١٦٦
ما رأيت أحداً من خلق الله أكثر بكاء منه	١٦٧
إياك أن تخلو بامرأة غير ذات محرم	١٦٩
الباب الثلاثون	١٦٩
فى ذكر خوفه من الله تعالى	١٦٩
نغص علينا أمير المؤمنين الحياة منذ ولى ، فليته لم يل	١٦٩
قد أخبرتك فاتعظى الآن أو دعي	١٧٠
كان يكثر أن يقول : « اللهم سلم سلم »	١٧٢
حسبى عمل يوم فى يومه ، فكيف بعمل يومين ؟	١٧٢
إن لى عقلاً أخاف أن يعذبنى الله عليه	١٧٣
ادع لى بالموت	١٧٤
الباب الحادى والثلاثون	١٧٥
فى ذكر مناجاته ودعائه	١٧٥
رحمتك وسعت كل شىء وأنا شىء	١٧٥
اللهم اغفر لى ما بينهما	١٧٦

الموضوع	الصفحة
الباب الثانى والثلاثون	١٧٧
فى ذكر خطبه ومواعظه	١٧٧
من صحبنا فليصحبنا بخمس	١٧٧
ليس بين الجنة والنار منزلة	١٧٧
أفضل العبادة أداء الفرائض واجتناب المحارم	١٧٩
اغتنم الدفعة تسيلها على خدك	١٨٠
لا ينفع القلب إلا ما خرج من القلب	١٨١
وجدت هذا القلب لا يعبر عنه اللسان	١٨١
إن ابتلاك الله بفقر فتعفف	١٨٢
ما هى تقوى الله	١٨٣
ليس الناصر على الظالم عاصياً بل الإمام الظالم هو العاصى	١٨٤
وصايا عسكرية	١٨٥
إنما خلقتكم للأبد . ولكن من دار إلى دار تنقلون	١٨٦
حبس الحق حتى يشتري . وبسط الظلم حتى يفتدى	١٨٧
الجزء الثامن	١٨٧
بؤسا لمن كانت بطنه أكبر همه	١٨٨
أحسن بصاحبك الظن ما لم يغلبك	١٨٨
كيف كانت المساجد وكيف صارت	١٨٩
إياكم والمزاحة	١٩٠
ليالى الرحمة	١٩٠
خطبة نبوية	١٩١
من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح	١٩٢
يعذب الله الناس بمعاصي غيرهم إذا لم يغيروها	١٩٣
الفعال أولى بالمرء من القول	١٩٣

الموضوع	الصفحة
فعلام ذا يدخل النار ؟	١٩٤
اعملوا لآخرتكم	١٩٥
كتاب عمر إلى بعض عماله	١٩٦
عظة القبر	١٩٦
إنما ابن آدم كفىء ظلال قلص فذهب	١٩٩
آخر خطبة خطبها	٢٠٠
إن في أيديكم أسلاب الهالكين	٢٠١
الباب الثالث والثلاثون	٢٠٢
في ذكر ما تمثل به من الشعر أو قاله	٢٠٢
ما تمثل به من شعر عبد الله بن عبد الأعلى	٢٠٢
سفارة عبد الأعلى إلى إمبراطور الروم وقصة ابنه مع عمر	٢٠٤
مثول ابن قتادة بين يدي عمر	٢٠٥
أبيات الخارجي لعمر ، وجواب عمر عليها	٢٠٦
لحن يغنونه في المدينة منسوباً لعمر	٢٠٧
ما صح من شعر عمر بن عبد العزيز	٢٠٧
ما تمثل به عند انصرافه عن قبر سليمان	٢٠٨
الجزء التاسع	٢٠٩
أبيات تمثل بها أمام الشعبي	٢٠٩
رأى عمر في مخلد بن يزيد بن المهلب	٢١٠
نستقرض على الله حتى يأتي العطاء	٢١٢
الباب الرابع والثلاثون	٢١٢
في ذكر كلامه في فنون	٢١٢
نهي عن بدعة تقديس الملوك	٢١٢
منزل الأم والزوجة بين النساء	٢١٣

الصفحة	الموضوع
٢١٤	ما ينبغي أن يجتمع للقاضي من الخصال
٢١٥	من هو الأحمق ؟
٢١٦	قد فرغ من هذا فادع بالصلاح
٢١٦	إذا وافق الحق الهوى فهو ألد من الشهد
٢١٧	الباب الخامس والثلاثون
٢١٧	في ذكر ما رآه في المنام
٢١٧	حالة الحجاج عند الحساب في رؤيا عمر
٢٢٠	رؤيا أخرى لعمر
٢٢١	اعمل في ولايتك نحواً من عمل هذين
٢٢٢	عمر بن عبد العزيز في سجن الوليد
٢٢٣	الباب السادس والثلاثون
٢٢٣	في ذكر من رآه في المنام
٢٢٣	والله ما استرحت إلا الآن
٢٢٣	الباب السابع والثلاثون
٢٢٣	في ذكر ما رأى له في المنام
٢٢٣	فدعاه النبي ﷺ ، فأقعده في حجره
٢٢٤	إنه قد عدل في العباد أدخلوه الجنة
٢٢٥	فأين عمر بن عبد العزيز ؟
٢٢٦	اشدد يدك على العريف والماكس
٢٢٨	صفة العرفاء والمتقبلين والعشارين
٢٢٩	الباب الثامن والثلاثون
٢٢٩	في عدد أولاده وأخبارهم
٢٢٩	سياق وصيته لمؤدبهم
٢٣٠	سياق عدد الذكور من أولاده

الصفحة	الموضوع
٢٣٠	منهم : عبد الملك
٢٣٠	تأثير عبد الملك بن عمر على أخلاق أبيه
٢٣٠	كتاب عمر من دمشق إلى ابنه في المدينة
٢٣٢	كان عبد الملك ، يفضل على عمر
٢٣٢	متى ما أريد مكابدتهم لم آمن أن يفتقوا فتقاً
٢٣٣	لو أمنت الموت يأتيك ورعيتك على بابك
٢٣٤	امتحان عقل ابنه عبد الملك وأدبه
٢٣٥	تأبين عمر لابنه عبد الملك
٢٣٦	أما في موت عبد الملك ما يشغل عن نصيحة المسلم ؟
٢٣٧	كل ما في الأرض من محبوب متروك ومن مكروه مضمحل
٢٣٧	إنما الجزع قبل المصيبة فإذا وقعت المصيبة ، فاله عما فاتك
٢٣٨	ما كتب عمر في وفاة ابنه عبد الملك
٢٣٩	ما كتبه إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن في شأن ابنه عبد الملك
٢٤١	ما كنت على حالة فسرني أنى على غيرها
٢٤١	ومن أولاده عبد العزيز
٢٤١	لا تحملها على الشر ما وجدت لها محملاً على الخير
٢٤٢	ومن أولاده : عبد الله
٢٤٣	ليست من ثيابي ولا من ثياب قومي
٢٤٣	ومنهم إبراهيم
٢٤٣	كيف أقلدكم ديني تدنسوه في كل جند
٢٤٤	ومنهم إسحاق ويعقوب
٢٤٤	ومنهم بكر وموسى والوليد وعاصم ويزيد وزيان
٢٤٤	بعه وأشبع به ألف جائع
٢٤٥	عدد بناته . منهن أمينة

الموضوع	الصفحة
ومنهن أم عمار وأم عبد الله	٢٤٥
الباب التاسع والثلاثون	٢٤٦
في ذكر مرضه ووفاته	٢٤٦
سياق بدء مرضه	٢٤٦
تقتله خشية الله	٢٤٦
سياق ما روى أنه سُقى السم	٢٤٦
سياق مکتوباته في مرضه إلى يزيد بن عبد الملك	٢٤٧
رجلان عظيمان	٢٤٨
سياق ما جرى له مع أولاده عند الموت	٢٤٨
هلا غير ذلك يا مسلمة ؟	٢٤٩
ما منعهم حقاً لهم ، ولم أعطهم ما ليس لهم	٢٤٩
سياق وصيته إلى من يغسله ويكفنه	٢٥٠
كيف وجدوه بعد استقراره في القبر	٢٥٠
سياق ما روي في تخيره موضع قبره	٢٥١
تواضعه عن أن يدفن في الروضة النبوية	٢٥٢
سياق كراهيته تهوين الموت عليه	٢٥٢
سياق ما جرى له في حال احتضاره	٢٥٣
الجزء الحادى عشر	٢٥٤
الباب الأربعون	٢٥٤
في ذكر تاريخ موته ، ومبلغ سنه ، وموضع دفنه	٢٥٤
الباب الحادى والأربعون	٢٥٥
في ذكر ما روى أن السماء والأرض بكتا عليه	٢٥٥
الباب الثانى والأربعون	٢٥٦
في ذكر تأبين الناس له بعد موته وحزنهم عليه	٢٥٦

الموضوع	الصفحة
تأبين مسلمة	٢٥٦
تأبين الحسن البصرى له	٢٥٦
وقول زوجته عنه	٢٥٦
تأبين عبد الملك بن عمير له	٢٥٦
كلمة ملك الروم	٢٥٧
كلمة بعض الرهبان في عمر	٢٥٧
الباب الثالث والأربعون	٢٥٧
في ذكر المنتخب في مدائحه ومراثيه بالشعر	٢٥٨
قصيدة كثير في مدح عمر	٢٥٨
شعر جرير في عمر	٢٥٩
رثاء جرير في عمر	٢٦٠
رثاء الفرزدق في عمر	٢٦٠
رثاء محارب في عمر	٢٦٠
مراث أخرى	٢٦١
الباب الرابع والأربعون	٢٦٢
في ذكر تركته التي خلف	٢٦٢
الفهرس	٢٦٣



